

الينبوع الحي
٧

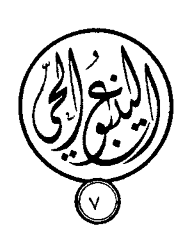
تاريخ شعب العهد القديم

وضعه
الأب ديلي
الاستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية

عرّبه
الأب جرجس مارديني

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

تاريخ
شعب العهد القديم



تاريخ شعب العهد القديم

وضعه

الأب ديلي

الاستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية

عرّبه

الأب جرجس مارديني

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

فليطبع
بيروت في اول كانون الثاني ١٩٦١

الحقير
اغناطيوس زياده
مطران بيروت

وضع هذا الكتاب بالفرنسية تحت عنوان

J. DHEILLY

LE PEUPLE DE L'ANCIENNE ALLIANCE

(3e édition)

Les Éditions de l'École — Paris

المقدّمة

لا تنفك الطلبات تنهال علينا من مختلف الجهات لكي نضع لدرس العهد القديم دليلاً يمهد السبيل اليه . فاذا كانت النصوص الجيدة متوفرة اليوم لدينا فان المعلومات التي يجب الاعتماد عليها قد توزعت على كتب عديدة اكثرها لذوي الاختصاص ، مما حدانا على جمع أهمها في كتاب واحد يجيب على المسائل الرئيسية في الموضوع ، ويسلك بالكاثوليكي في هذا المضمار الخطير السبيل الحكيم الرشيد .

وقد وضعنا لكل فصل من الفصول التاريخية مقدمة وجيزة عن مصادره ونوعه الادبي ، وملحقاً قصيراً عن مدلوله الروحي . فذكرنا الموارد والمصادر ليسهل على القارئ الرجوع الى الكتاب المقدس والاتصال به اتصالاً شخصياً صميماً . وذكرنا النوع الأدبي لانه من الأهمية بمكان لفهم الكتاب المقدس الفهم الصحيح وتوجيه الفكر فيه التوجيه السديد . وذكرنا المدلول الروحي ، وقد استخلصناه من الحوادث واستوحيناه من الشخصيات ، لأننا نعتقد ان الدرس النظري يجب ان يؤدي بنا الى الحياة العملية ويقربنا من الله .

درسنا ، علاوة على حياة موسى واعماله ، حقبة الانبياء ايضاً ، دراسة واسعة وافية ، لأن الباحثين لا يولونها كثيراً ما حقها من الاهتمام ، فيفوتهم من جراء ذلك فهم ما طرأ على الوحي من التدرج والنمو .

وقد ذكرنا من المراجع والمستندات ما هو جليل الفائدة قريب المنال ، واقتصرنا من الابحاث الاختصاصية على بعضها ، لكي نلبي مطالب مختلف القراء ، اذ ان كتابنا هذا هو للتلميذ وللمعلم ، للمسيحي المثقف ولراهبة التعليم على السواء ، يجد فيه كل منهم ما يطلبه ، فيتوقف ، على هواه ، امام هذا او ذاك من المواضيع المطروحة بين يديه على بساط البحث ، يقبل عليها اقبال راغب ، ويتمثلها تمثل حياة .



توطئة

يقول الكاهن على الخمر في القداس ما قاله السيد المسيح على الخمر في العشاء : « هذه هي كأس دمي ، كأس العهد الجديد الابدي » .

ذبيحة الصليب اذاً ، وما ذبيحة القداس الاّ تجديد لها ، تنشئ عهداً وتضع ميثاقاً ، فتشير الكلمات المذكورة الى عهد سابق حلّ محله عهد جديد ، العهد الذي لن يخلفه عهد ولن ينتهي ، لأنه ابدي .

هذا العهد القديم هو موضوع درسنا في هذا الكتاب .

عديدة المسائل التي يثيرها هذا الموضوع :

١ . اين هو هذا العهد ؟ تجيب الكنيسة انه في تلك المجموعة الادبية التي تسمى الكتاب المقدس . ولكن هل يدعم العلم هذا الجواب ؟

٢ . ما معنى كلمة العهد ؟ وما هي الغاية التي توخّاها الله منه ؟ وما هي المكانة التي يحتلّها من تاريخ العالم ؟

٣ . كيف نشأ هذا العهد ، وكيف نما وازدهر ؟

٤ . هل جاء العهد الجديد ينقض القديم أم يتمّمه ؟

٥ . لسنا بغرباء عن العهد متطفلين عليه ، بل نحن أهم عناصر تنفيذه . ولذا فتاريخه يمتّ بصلة وثيقة الى تاريخنا . وبالتالي علينا ان نتساءل : كيف يجب ان نقرأ اسفار العهد القديم ، وما الوسيلة الى درسه درساً شخصياً يؤول بنا الى معرفة إله العهد معرفة اكبر ، والى محبته محبة أشد ؟



الكتاب الأوّل

الكُتُب

التي تروي لنا تاريخ هذا العهد



الفصل الاول

ما هي هذه الكتب ؟

١ - كتب العهد القديم

يشتمل العهد القديم على ٤٥ كتاباً تنقسم ، حسب نوعها وموضوعها ، على الصورة التالية :

- كتب الناموس
- كتب التاريخ
- كتب الانبياء
- كتب الحكمة

كتب الناموس :

هي الخمسة الاولى من الكتاب المقدس، التي تعرف بالتوراة . وهي :

١ . سفر التكوين: يروي بداية البشرية ومنشأ الشعب المختار ، من ابراهيم الى موسى .

٢ . سفر الخروج: يذهب بنا منذ خروج الشعب المختار من مصر حتى دخوله صحراء سينا .

٣ . سفر الأحبار: يورد ما يتعلق بالعبادة من مراسيم الناموس الموسوي .

٤ . سفر العدد: يسرد ما جرى للشعب المختار من أحداث منذ مغادرته سينا حتى بلوغه ارض الميعاد .

٥ . سفر تثنية الاشتراع : كتاب يغلب عليه الطابع التشريعي ، فيأتي على دقائق الناموس وتفاصيله .

كتب التاريخ :

هي ستة عشر كتاباً :

٦ . سفر يشوع بن نون: يقص اخبار دخول اليهود ارض الميعاد وبدء فتحها .

٧ . سفر القضاة: يسرد الحوادث التي جرت منذ موت يشوع حتى مولد صموئيل .

٨ . سفر راعوت: يروي قصة امرأة مؤابية فاضلة صارت من اجداد داود .

٩ و١٠ . سفر صموئيل الاول والثاني: يرويان سيرة صموئيل آخر القضاة ، وشاول وداود الملكين الاولين (هذان الكتابان هما في ترجمة اليسوعيين الاول والثاني من سفر الملوك) .

١١ و١٢ . سفر الملوك الاول والثاني: يرويان أخبار مملكة الشمال ومملكة الجنوب ، منذ ارتقاء سليمان العرش حتى خراب اورشليم (٥٨٦) ، مع اخبار النبيين الياس وأليشع (هذان الكتابان هما في ترجمة اليسوعيين الثالث والرابع من سفر الملوك) .

١٣ و١٤ . سفر أخبار الايام الاول والثاني: يرسمان للشعب المختار ، منذ بدء تاريخه حتى قرار الملك كورش (٥٣٨) صورةً عامة تتّسم بطابع شرعي لاهوتي ، تبثّ الفكرة القائلة بان على اسرائيل ان يحتفظ من تاريخ ماضيه بعقيدة راسخة عن دعوته الخاصة . فالله لم يصطفه ، ولم يطهره على مدى اجيال ، ولم يحرره من رباطات الجنسية والوطنية الاّ ليقيمه شعباً ذا رسالة دينية شاملة تدعو الى عبادة الله وتمجيده .

١٥ و١٦ . عزرا ونحميا: كتابان متممان للسابقين ، يسردان وقائع الحقبة التي تلت العودة من سبي بابل .

١٧ . طوبيا: انقذ الله طوبيا وساره بواسطة الملاك روفائيل من

بلايا كثيرة ، ورزقهما خيرات وافرة . هكذا ينشر الله ذيل عنايته على الذين يتقونه .

١٨ . يهوديت : ارملة في مقتبل العمر قضت بايمانها ووطنيتها على الطغاة الوثنيين ، فدخلت على ملكهم في خيمته وقتلته وهو سكران .

١٩ : استير . اسيرة يهودية أصبحت زوجة لأحشورش الملك ، فقامت بانقاذ شعبها من الهلاك . هي صورة لما يستطيعه الايمان بالله من الاعمال .

٢٠ و٢١ . سفر المكابيين الاول والثاني : وصف لمقاومة اليهود في الحرب التي شنَّها عليهم انطيوخوس وخلفاؤه ، وللاضطهاد الذي ساموهم اياه بغية نشر الوثنية فما بينهم .

كتب الانبياء :

هي سبعة عشر كتاباً :

آ . كبار الانبياء :

٢٢ . أشعيا : مجموعة من النبوءات تنسب الى اشعيا وتنقسم الى ثلاثة اقسام مختلفة . الاول يدوّن ما كان من اقوال واحداث في عهد النبي . والثاني يتعلق بجلاء عام ٥٨٦ ، وبعودة الاسرى بعد الجلاء . والثالث يشيد بمستقبل اسرائيل المجيد وبمهمة المسيح الآتي .

٢٣ . إرميا : يتنبأ للشعب المختار بما سينزل به قريباً من ضربات ويحلّ من بلايا ، كما ويعرض للمأساة التي يعانيها النبي نفسه في حياته الداخلية الخاصة ، فيصف الجهاد الذي يقوم به ضد اعدائه العديدين ، والتطورات التي تمرّ بها حياته الروحية .

المراثي (والمجمع التريدنتيني لم يفصلها عن كتاب ارميا) : تتضمن ندب اسرائيل وشكواه للخراب والآلام التي جرّها عليه سقوط اورشليم في يد نبوكدنصر .

٢٤ . باروك: هو نجيّ ارميا وصديقه ، يتمم الكتابين السابقين .

٢٥ . حزقيال ، نبي الاسر: جاءت نبوءاته بعضها قبل خراب اورشليم ، وبعضها الآخر بعده . وهي موجهة كلها الى اهل جلاء بابل . انها رؤى معقدة متشابكة تحيّرنا بما تنطوي عليه في اكثر الاحيان من رموز لا ندرك فحواها الاّ اذا وضعناها في اطار صاحب الرؤيا وأدمجناها بشخصيته . وقد حاول ان يوحي الى الاسرى الثقة والامل ، وكانوا قد قنطوا من العودة الى ارض اسرائيل .

٢٦ . دانيال: يجمع هذا الكتاب بين النبوءات القديمة والتفاصيل التاريخية التي جرت ابّان اضطهاد انطيوخوس . وهو يحدو النفوس على انتظار ملكوت السماء . فالوقت عصيب ، لكن الله سيقهر في آخر الامر اعداءه ويحوز الغلبة عليهم جميعاً .

ب . صغار الانبياء :

اطلق عليهم اسم صغار الانبياء لا لصغر شأنهم بل لأن ما تركوه من الآثار ضئيل ، وان كان لهم في بعض الظروف ما كان لأولئك من الدور الخطير الكبير .

٢٧ . هوشع : نبي مملكة الشمال ، يشيد بمحبة الله لشعبه ، فيشبّه شعب الله بالزوجة ، ويصفه ، عندما ينصرف عن الله الى الاوثان ، بالزوجة الزانية الخائنة .

٢٨ . يوئيل: نبي العودة من الاسر . ينذر بعمل الروح القدس في عهد المسيح الآتي .

٢٩ . عاموس: نبي مملكة الشمال ، معاصر لأشعيا . يدافع عن حقوق الضعفاء الوادعين ضد ظلم الأقوياء العتاة .

٣٠ . عوبديا: من انبياء ما بعد السبي . يتفجر تهديداً ووعيداً على الادوميين الذين شمتوا لخراب اورشليم .

٣١ . يونان: عاش في زمان عاموس . الاّ ان الكتاب الذي يحمل

اسمه قد كتب بعد ذلك العهد بوقت طويل . وهو ليس نبوءة بل قصة موضوعة وضعاً ، والغاية منها اظهار محبة الله للشعوب الوثنية وغفرانه لخطايا البشر . فعلى اسرائيل ان يكون رسوله لدى الأمم الوثنية .

٣٢ . ميخا : هو واشعيا من انبياء مملكة يهوذا . يعلن عدل الله ورحمته ، ويبشر بالمجد الذي سيكون لبيت لحم .

٣٣ . نحوم : يبدي فرحاً عظيماً لسقوط نينوى ، المدينة التي حاربت السامرة وقضت على مملكة الشمال .

٣٤ . حبقوق : معاصر لنحوم . تساوره مشكلة الشر يحلّ بوطنه ، فيتساءل لماذا يسمح الله ان يتغلب الوثنيون على الشعب المختار .

٣٥ . صفنيا : تساوره هو ايضاً مشكلة الشر ، فينتهي بتفكيره الى ان المصائب التي تحلّ باسرائيل ما هي الاّ أداة بيد الله لتنقيته وتطهيره .

٣٦ . حجّاي : يحضّ الذين رجعوا من الاسر على اعادة بناء الهيكل . وهو يرى لهذا الهيكل من المجد ما لم يكن لسابقه .

٣٧ . زكريا : ينادي بملك المسيح السلمي (دخوله الى اورشليم راكباً على اتان) وباهتداء الشعوب الوثنية .

٣٨ . ملاخي : يتنبأ بذبيحة القداس ، ويعرض لضرورة الاصلاحات بين اليهود الذين عادوا من الاسر .

كتب الحكمة :

اطلق عليها هذا الاسم لأنها تطرق موضوع « الحكمة » . الحكمة الالهية اولاً ، ثم الحكمة البشرية من حيث انها قبس من الحكمة الالهية . الاّ ان هذه الكتب تعالج موضوعها من الناحية العملية لا النظرية ، على انه طريقة عيش ومنهاج حياة لا درس نظري . وعلاوة على ذلك فهي تمهد ، ولو تمهيداً بعيداً ، لاعلان سر الثالوث الاقدس . وهنا جلّ اهميتها .

وهي تتكوّن من الكتب السبعة التالية :

٣٩ . ايوب : يعالج مسألة عذاب البار فلا يتوصل سوى الى هذا الحل : الحكمة كل الحكمة ان نضع ثقتنا بالله .

٤٠ . المزامير : هي صلوات اليهود الطقسية ومجموعة من الشعر الوجداني الشرقي في آن واحد . انها تعبير مصوّر ملوّن لعواطف وشواعر ترى الكنيسة انها جديرة بان تستعيرها لتترجم بها عن ايمانها ومحبتها .

٤١ . الأمثال : هي حكم شتى ، وهي الحكمة الالهية وقد بدت بمظاهر رائعة تنم ، بقدر ما ، عن اشخاص أحياء .

٤٢ . الجامعة : نظرة متشائمة تحصر الحكمة في الحذر من الحياة ، نشأت من التجارب الشخصية المريرة وقادت مع ذلك الى الثقة بالله .

٤٣ . نشيد الاناشيد : يرجع عهد الكتاب الى ما بعد السبي ، ويدور فيه الكلام حول الحب بين الزوجين ، على نحو ما سبق اليه هوشع . وقد وصفه صاحب الكتاب على انه صورة لحب الله الطاهر لشعبه المختار .

٤٤ . الحكمة : هذا الكتاب قريب العهد ، كتب ليثبّت في الايمان اليهود العائشين خارج فلسطين . فهم على تماسّ دائم بالوثنيـــة ، معرضون كثيراً لشرّ الأخطار .

٤٥ . يشوع بن سيراخ : يشيد بحكمة الله في ادارة شعبه ، فلقد أقام له نخبة من الرجال ليقودوه في شتى مراحل تاريخه . وحكمة الكتاب تتفق ومقتضيات الناموس وتتماشى معها .

٢ – لغة اسفار العهد القديم

العبرية :

كتبت معظم اسفار العهد القديم باللغة العبرية ، تلك اللغة التي حلّت في الارض المقدسة محلّ اللغة الكنعانية .

تسير الكتابة بها من اليمين الى الشمال . وهي تخلو من الاحرف الصوتية ، وتكتب في جمل قصيرة النَفَس لا ترابط فيما بينها ، وتسلس كثيراً للشعر وتنقاد له .

وقد انصرف الشعب عنها بعد عودته من سبي بابل (في اواخر القرن السادس) الى الآرامية . الاّ انها ظلّت اللغة الدينية .

الآرامية :

هي اخت العبرية ، وقد اخذت ، منذ القرن الخامس قبل المسيح، تخلف العبرية في شؤون الحياة العامة .

بها كتبت اسفار طوبيا ، ويهوديت ، وبعض اقسام عزرا ودانيال .
تشتمل على جلّ صفات العبرية وخصائصها ، وتزيد عليها بانها اكثر منها تطوراً .
هي اللغة التي سيتكلم بها السيد المسيح في لهجتها العامية .

اليونانية :

لا نعني باليونانية هذه اليونانية الكلاسيكية القديمة ، بل تلك التي كانت منتشرة في شرقي البحر الابيض المتوسط في العهد الهلّيني ، والتي كانت تعرف باليونانية العامية او Κοινή .

نردف على ذلك ان هذه اليونانية العامية هي اقل من تلك دقة ونعومة ، الاّ انها ابسط منها واسهل . وهي محشوة بالكلمات الشعبية والتعابير

البلدية الساميّة ، لأن الذين كتبوا بها كانوا مطبوعين في تفكيرهم بالطابع الآرامي ، او على الاقل كانوا ذوي ثقافة آرامية .

بها كتبت الحكمة ، وكتاب المكابيين الثاني ، وبها سيكتب القديس بولس رسائله ، كما وبها ايضاً ستصلنا الاناجيل .

الفصل الثاني

كيف وصلت الينا هذه الكتب

١ – عن يد من ؟

من سلّم الينا النص الذي كتبه اصحاب هذه الاسفار ؟ هي الجماعة اليهودية التي سلّمته الى الكنيسة المسيحية .

المجموعة اليهودية :

حفظتها الكنيسة لأنها تتضمن الوثائق عن تاريخها القديم . وهي تتألف من ٣٩ كتاباً تجمعها اسماء ثلاثة : الناموس ، والانبياء ، والكتب .

الناموس او التوراة . — ارتفع شأنه اثناء الاسر ، لأن كل ذبيحة قد توقفت . وقد جرى اعلانه دستوراً مقدساً بعد العودة من الاسر (القرن الخامس) .

الانبياء . — (الانبياء بالمعنى الخاص ، عدا دانيال ، وباضافة يشوع وصموئيل والملوك) . اخذ سلطانهم يتفاقم حتى اصبح يضاهي ، او كاد ، سلطان الناموس .

الكتب الاخرى . — أضيفت الكتب الاخرى بعدئذ ، فلم تدخل جميعها في القائمة الرسمية الاّ في القرن الثاني قبل المسيح . ما عدا الحديثة منها فكانت موضع اخذ ورد بين يهود فلسطين ويهود الاسكندرية .

الخلاصة : كان في حوزة اليهود في القرن الاول المسيحي مجموعة من الكتب كان لها اعتبار لديهم واجلال ، لأنها في نظرهم قد كُتبَت بالهام من روح الله .

اذا ما قارنّا هذه المجموعة اليهودية بالمجموعة الكاثوليكية التي بين ايدينا فاننا نجد انها تخلو من طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، ويشوع ابن سيراخ ، وباروك ، والمكابيين الثاني . وكل هذه كان الاسكندريون يقبلون بها دون الفلسطينيين .

المجموعة المسيحية :

تعتبر الكنيسة كتب المجموعة اليهودية هذه كتباً مقدسة . اما المشادّة بين الاسكندريين والفلسطينيين حول الكتب المستحدثة فانها ظلّت قائمة ايضاً بين المسيحيين حتى عهد اوغسطينوس (القرن الخامس) اذ قبلت الكنيسة اللاتينية بمجموعة مدرسة الاسكندرية كلها . ولم تلبث الكنيسة اليونانية بعد ذلك ان قبلت بها هي ايضاً بدورها .

نطلق الآن اسم الكتاب المقدس (Bible) على المجموعة كلها ، ما كان منها في القائمة الرسمية منذ البدء (protocanoniques) ، وما دخلها فيما بعد (deutérocanoniques) .

وسيقضي المجمع التريدنتيني بان كل كتب العهد القديم الموجودة في الترجمة الشعبية (Vulgate) يجب ان تعتبر كتباً مقدسة .

صار تقسيم الكتب الى فصول عام ١٢٢٦ ، وتقسيم الفصول الى اعداد وآيات عام ١٥٥١ على يد Robert Etienne .

الترجمات القديمة :

الترجمات اليونانية . — اهمها تلك التي قامت بها جماعة من يهود الاسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح . ولقد تمّت على مراحل ، على مقتضى الحاجة . وذلك لأن يهود الاسكندرية لم يعودوا آنذاك يفهمون العبرية .

اطلق على هذه الترجمة اسم الترجمة السبعينية لأن الاسطورة تزعم انها تمّت على ايدي ٧٢ مترجماً حبسوا في ٧٢ غرفة ، حتى اذا انتهوا

من عملهم بعد٧٢ يوماً وُجدت ترجمة كل منهم مطابقة لسواها كل المطابقة. الاّ ان الفكرة التي تعبر عنها الاسطورة هي ان بين الترجمة والاصل مطابقة جوهرية .

والحق ان الترجمة متفاوتة القيمة . فالمطابقة في كتب موسى تامة ، اما في الانبياء فليس كذلك .

وحاول فيما بعد يهودي اسمه آ كيلا حوالى سنة ١٢٠ بعد المسيح ان يأتي بترجمة ادق واضبط . وقام ثيودوسيانوس حوالى سنة ١٩٠ بمحاولة مثلها ، فلم يحالفه الحظ فيها لضعفه في العبرية . وظهرت في الوقت نفسه ترجمة سيمّاك فكانت اكثر فصاحة منها دقةً . وجاء اوريجينوس في مستهل القرن الثالث فأخذ يجمع كل هذه الترجمات لينقدها . فوضع كتابه اكساپيلس ، اي المقارنات السداسية ، على شكل ستة اعمدة متوازية ، وضع في العمود الاول منها النص العبري الاصلي بأحرف عبرية ، وفي الثاني النص ذاته بأحرف يونانية ، وفي الثالث ترجمة آ كيلا وفي الرابع ترجمة سيمّاك ، وفي الخامس الترجمة السبعينية ، وفي السادس ترجمة ثيودوسيانوس .

هذا اول مجهود كبير لنقد الترجمة السبعينية ودرسها على ضوء مقارنتها بالاصل العبري . وفي شهر آب من عام ١٩٥٢ تمّ اكتشاف قطع من الرق في كهف من صحراء يهوذا كتب عليها نص يوناني لصغار الانبياء . هذه المخطوطة المكتوبة على طريقة كتابة اواخر القرن الاول بعد المسيح ، قد تكون تصحيحاً قام به علماء من اليهود للترجمة السبعينية . وقد يحسن مقارنتها بالترجمات المذكورة اعلاه .

الترجمات اللاتينية . — من أقدمها ، ان لم تكن اقدمها على الاطلاق ، هي تلك الترجمة التي ظهرت في افريقيا الشمالية في اواخر القرن الثاني بعد المسيح .

وانتشرت في القرن الرابع ترجمات عديدة اخرى متفاوتة القدر متباينة

بعض التباين ، قام اكثرها على الترجمة السبعينية .

وعهد البابا القديس داماسيوس (٣٦٦ – ٣٨٤) الى احد الكهنة ، هو القديس ايرونيموس ، بتنقيح نص الانجيل اللاتيني . فلم يلبث هذا ان وسع نطاق عمله حتى شمل العهد القديم بكامله . وبعد ان تحقق من صحة النصوص والمتون واثبت افضلها قام بنقلها الى اللاتينية . فجمع بين فصاحة اللغة وامانة النقل . وتداولت ترجمته الايدي ، ولم تلبث ان انتشرت وعمّت ، حتى اطلق عليها في العصور الوسطى اسم الترجمة الشعبية (Vulgata) . وكانت اول ما طبع غوتنبرغ على مطبعته في مدينة Mayence عام ١٤٥٠ .

وصادق المجمع التريدنتيني على هذه الترجمة عام ١٥٤٦ معلناً اياها الترجمة الرسمية التي يعتمد عليها . الاّ انه طلب ان يعاد النظر فيها لتنقيحها مما تسرّب اليها من شوائب منذ القرن الخامس .فقام بذلك العمل البابا أكليمنضوس الثامن.الاّ انه لم ينجز امرًا،وظلّت طبعته موّقتة الى ان قام بيوس العاشر فعهد بالعمل عام ١٩٠٧ الى جماعة من البندكتيين تحت اشراف Dom Quentin († ١٩٣٥) . ولا يزال هؤلاء منكبين على العمل في ديرهم بروما يسعون الى اثبات ترجمة القديس ايرونيموس ما استطاعوا .

ترجمات اخرى . — اكثر الترجمات القديمة الى اللغات الشرقية هي مستقاة من الترجمة السبعينية ، كالترجمة المصرية الى اللهجات القبطية ، والترجمة الارمنية ، والترجمات الاثيوبية ، وبعض الترجمات العربية .

الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة(Peshitto) هي وحدها تنقل الاصل العبري ، دون ان تستقلّ مع ذلك تماماً عن السبعينية . وهي قديمة جدًا يرجع عهدها الى القرن الاول او الثاني بعد المسيح .

ترجمات حديثة

اول ترجمة كاملة للكتاب المقدس الى اللسان العامي الحي هي من القرن الثالث عشر .

اما اليوم فلقد تعددت الترجمات الى اللغات الحية حتى بلغت حوالى ١٢٠٠ ترجمة . وللبروتستان في ذلك فضل كبير .

وقد قام الكاثوليك في السنين الاخيرة بجهود جبارة في حقل الترجمة ، فاستفادوا من الابحاث التي قام بها العلماء ليثبتوا المتن الاصلي . وعلى هذا المتن الاصلي قامت معظم الترجمات الحديثة .

الترجمات العربية

منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر نقلت الى اللسان العربي بضع طبعات كاثوليكية للكتاب المقدس . إلاّ أن هذه الطبعات ظهرت معظمها في روما وظلت بعيدة عن متناول أبناء المشرق .

وفي القرن التاسع عشر ، زاد الاهتمام في لبنان بنشر التوراة باللغة العربية . فأصدر البروتستان ترجمةً عربية للعهدين القديم والجديد سنة ١٨٦٤ استناداً الى اللغتين العبرية واليونانية القديمة. وقد اسهم في هذا العمل الدكتور كورنيليوس فانديك بمؤازرة الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والشيخ ابراهيم الاسير .

وفي عام ١٨٧٦ أصدرت المطبعة الكاثوليكية ترجمتها المعروفة « بالترجمة اليسوعية » للكتاب المقدس استناداً الى النصين العبري واليوناني . وقد قام بهذا المجهود الاب أغوسطينوس روده اليسوعي Rodet يعاونه الشيخ ابراهيم اليازجي . وتوالت منذ ذلك الحين طبعات التوراة ظهرت في حقوب مختلفة. وقد جاءت طبعة العهد القديم الاخيرة (١٩٦٠) معزّزة بمقدّمات لكل سفر من اسفار الكتاب الشريف .

٢ – كيف كتبت؟

ادوات الكتابة :

كتب اليهود بالقلم على الفخار الطري (راجع حزقيال ٤ : ١–٢) او على ألواح مطلية بالشمع ، او على لوحات من الخشب بواسطة قصبة مبرية تغطس في الحبر (الذي هو من الدخان المذوّب بالصمغ) . لكل ما كُتب على هذه الطريقة لم يبقَ من اثر .

الا انه قد وصلنا بعض النصوص المقدسة مكتوبة على ورق البرديّ او على رقّ الحيوانات .

وهذه ايضاً اضمحلّت ، لتقادم العهد بها ، فلم يصلنا منها الاّ نسخات منقولة عنها .

ورق البرديّ . — هو نوع من القصب ينبت في مصر ، احتكره الفراعنة ، وكان الافراد يستعملونه للكتابة .

لا تتجاوز القطعة المستعملة منه ١٥ سم عرضاً . الاّ ان بعضها يبلغ طوله خمسين متراً يلفّونها لفاً ويحفظونها بعد الكتابة على شكل ملفّات

وصل الينا منه قطعة دوّن عليها بعض مقاطع بالعبرية للعهد القديم تعرف باسم ناش (Nash) ، ويرتقي عهدها الى ما قبل عهد المسّوريين Les Massorètes .

الرقّ . — هي جلود غير مدبوغة نحتت ومسحت بزلال البيض . ويخبرنا يوسيفوس في كتابه « العاديات اليهودية » (١٢ ، ٢ ان ترجمة التوراة اليونانية المرسلة الى بطليموس فيلادلف كانت مكتوبة على لفائف من الرق .

وقد وُجد بين الآثار التي اكتشفت عام ١٩٤٧ بالقرب من البحر الميت ملفّ من الرقّ كتب عليه بالعبرية نص اشعيا بكامله ، يرتقي عهده ، ابعد ما يرتقي ، الى القرن الاول للمسيح .

آ . — ليس لدينا مخطوطات كاملة بالعبرية يرتقي عهدها الى ما قبل القرن التاسع للميلاد .

ب . — اما المخطوطات اليونانية فثلاث منها مشهورة :

— المخطوطة الموجودة في الفاتيكان (Vaticanus) منذ عام ١٤٨١ . انها ترجع الى القرن الرابع للميلاد ، وتتضمن ، رغم ما أصابها من آفات الزمان ، العهد القديم كله على وجه التقريب .

— المخطوطة (Sinaïticus) التي اكتشفت عام ١٨٥٩ في دير القديسة كاترينا في صحراء سينا ، وقد اقتناها المتحف البريطاني عام ١٩٣٣ . انها هي ايضاً من القرن الرابع ، الاّ انها لا تحتوي الاّ على ثلث العهد القديم .

— المخطوطة (Alexandrinus) التي كانت بين كنوز وتحف بطريركية الاسكندرية . هي في لندرة منذ ١٦٢٨ . يرتقي عهدها الى القرن الخامس للميلاد وتشتمل على العهد القديم كله .

هذه المخطوطات الثلاث مكتوبة بالحرف الاسفيني الذي به ظلّت الكتابة حتى القرن التاسع . وقد خلت الكلمات من روابط فيما بينها ، كما ومن علامات الترقيم والنقاط والاشكال . وفيها بعض الاختصارات اللفظية .

ج . — لدينا من الترجمة اللاتينية الشعبية ٨٠٠٠ نسخة مخطوطة يحتوي عدد وافر منها على العهد القديم ، أقدمها نسخة مونيخ Monacensis I من القرن الخامس او السادس ، ونسخة ليون Lugdunensis من القرن السادس .

الكتابة :

كانت المخطوطات اليونانية والعبرية تقتضي عادة الكتابة المتصلة ، اي الكتابة التي لم يكن يفصل فيها بين الكلمات فواصل ونقاط . وكانت

الكتابة العبرية خالية من الحروف الصوتية ، فكانوا يستعيضون عنها بالسماع . الى ان قام بعض علماء اليهود للقرن الثاني للمسيح فاستنبطوا الاشكال من خطوط ونقاط لتقوم مقام الاحرف الصوتية . وفي القرن الثامن اتخذ المسّوريون (Les Massorètes) رسمياً هذه الطريقة في الكتابة ، فكانت اساس النص المسّوراتي الذي هو اليوم بين ايدينا .

وامّا في ايامنا فقد قام كيتّل (Kittel) باصدار طبعة منقحة للنص العبري اتخذ فيها النص الذي كان المسّوريون يقرأونه اساساً لها .

الفصل الثالث

هل من وجه شبه بين هذه الكتب ؟

حسبنا ، لكي نرى ان ذلك من المحال ، ان نعلم انها قد كتبت في ازمان مختلفة ، وان اصحابها كانوا عديدين ، وان كلاً منهم كان يسعى بكتابه الى غاية خاصة ، وان الجوّ الادبي لم يكن واحداً .

الزمان :

تتوزع كتب العهد القديم على مراحل من الزمان تتراوح بين القرن الثالث عشر والمسيح . فزمان موسى يختلف عن زمان ملوك يهوذا واسرائيل. ولحقبة اليهودية مشاغل تختلف عن غيرها وتقع تحت تأثيرات اخرى .

وانه لمن الاهمية بمكان ان نفهم الامر. فكل زمان له احكامه الدينية، والفلسفية ، والتاريخية ، يطبع بها جيله بطابع خاص فريد . ولذلك فعلى الكاتب الملهم ، الذي انما يكتب ليُفهم قُرّاءه ما يكتب ، ان يتخذ من افكار معاصريه ولغتهم اداة للتعبير ، وان كانت له افكار شخصية بها يسبقهم ويفوتهم .

والاّ فات قراءه فهمه ، وصار الوحي لغواً . فيضطر الله عندئذ ، لكي يُبلّغ رسالته ، الى الاكثار من المعجزات ، التي لا لزوم لها البتة ، اذ يستطيع ان يلج الاذهان عن سبيل غيرها أقرب منالاً :

قصة خلق العالم . — بهذه القصة نفهم ما لظروف الزمان من يد في تكييف رسالة الله وإلباسها لباسها البشري المعاصر .

ها كها في سفر التكوين الفصل الاول والثاني ، اقرأها ص٦٢الى٦٥.

تبدو لنا القصة لاول وهلة غريبة . انها تصدمنا ، فننكر عليها بعض

تفاصيلها ، لأننا نعلم ان النور ليس بمستقلّ عن الشمس ، وان الجلَد لا وجود له في الحقيقة . كما ولا وجود للمياه العلوية . ثم نتساءل علاوة على ذلك : هل جُبل الانسان حقاً من طين ، ثم جاءته بعد ذلك نفحة الحياة في أنفه ؟

ولكن هل هذا ما اراد الله ان يبلّغنا اياه ؟ كلا . فرسالة الله ليست درساً في علم الكون ، او في علم الحياة . انها رسالة دينية : من صنع العالم الذي فيه نعيش ؟ هذا ما يريد الله ان يجيبنا عليه .

الاّ ان الجواب يجب ان يلبس لباس زمانه ويستعير لغة اهله ؛ أن ينسكب في قالب الصورة التي يتخيلها للعالم انسان ذلك الزمان . أمّا هذه الصورة التي انطبعت في مخيلته عن العالم ، فها هي :

الارض هي صفحة مبسوطة تطفو على وجه الماء . وما الينابيع الغزيرة التي تتفجّر من جوفها الاّ البرهان على ان المياه موجودة تحت الارض وان الارض تعوم فوقها .

وأقام الله الجلَد فوق الارض ، والجلد هو نصف كرة ترتكز اطرافها على حدود الأفق . وعلى هذه القبة وضع الله ايضاً المياه ، المياه العلوية ، التي هي غير المياه السفلية التي على وجهها تطفو الارض . هناك اقام الله منزله ، ومن هناك ، اذ يفتح السدود ، ينزل المطر . واختطّ في القبة للشمس والقمر مسيرهما ، وأثبت فيها النجوم .

والنور هو على صعيد آخر من الشمس ، مستقل عنها كل الاستقلال. والدليل على ذلك ان النور يضيء فيما تكون الشمس محتجبة وراء الغيوم . ويُقابل النور الظلمة كما تقابل الشمس القمر .

والرجل مؤلف من تراب ومن نسمة ، اذ يكفّ في آن واحد عن التنفس وعن الحياة ، فلا يلبث جسمه الذي طرح في الارض لا حراك فيه ان يصير تراباً .

وهكذا نستطيع ان نفهم كيف ان الله صرف يوماً ليفصل النور

عن الظلمة ، ويوماً ليخلق النيّر الذي يسود النهار والنيّر الذي يسود الليل ، ويوماً ليخلق الجلَد ويفصل المياه العلوية عن المياه السفلية ، ويوماً ليخلق الانسان ، يكلل به عمله كله ، وقد جبله من تراب ونفخ في انفه نسمة حياة .

فلنخلع الآن عن القصة هذا الرداء القصصي الذي نسجه لها زمان موسى والازمنة التي سبقته ، مـاذا يبقى ؟ تبقى رسالة الله في معناها الجوهري ، من ان لا شيء مما تقع عليه عين الانسان هو خارج عن نطاق قدرة الله الخلاق . فهو الله وحده الذي خلق كل شيء ، بمجرّد كلمته ومحض ارادته .

المزامير . — هي الافكار ذاتها نطبقها الآن على المزامير .

فلنقرأ المزمور ١٣٧ والمزمور ٢٦ .

قد تصدمنا عواطفَ الثأر وشواعر الكبرياء هذه؛ انها شديدة عنيفة . ولكن هلمّ نعش في زمانها ومكانها ، مع جيلها من البشر .

جُبل الانسان القديم على الشريعة القديمة ، شريعة السن بالسن والعين بالعين . وهو ، على ذلك ، ينظر الى اعدائه على انهم اعداء الله ، وانهم بالحقيقة لكذلك . ولذا فانه يطلب من الله ان يحق فيهم حقه ، ويقضي فيهم قضاءه . وبهذا المعنى نفهم المزمور ١٣٧ :٨ — ٩ (في طبعة اليسوعيين ١٣٦) :

يا ابنة بابل الصائرة الى الدمار ،

طوبى لمن يجزيك ما كافأتنا به .

طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة .

وبهذا المعنى ايضاً نفهم المزمور ٢٦ : ٩ و١١ — ١٢ (وفي طبعة اليسوعيين ٢٥) . فصاحب المزمور لا يريد ان يحصى مع الكفرة لئلا ينزل به ما سينزل بهم من عذاب ، فيعلن مستدركاً :

لا تجمع مع الخطأة نفسي...
اما انا فأسلك في سلامتي فافتدني وارحمني .
قامت قدماي في الاستقامة . في المجامع ابارك الرب .

الشخصية :

يتميز كاتب عن آخر بمزاجه ، وبيئته ، وعمله ؛ فهو متزوج او اعزب ، في حرب في بلاده او في سلم ، متفائل الطبع او متشائم . كل ذلك يكوّن شخصيته ويترك في كتابه اثره . انها ولا شك رسالة الله يؤديها ؛ الاّ ان هذه الرسالة تتلوّن بلون صاحبها ، بلون تستمده من شخصيته كلها. واننا لنتبيّن مفعول ذلك خاصة في الأنبياء وفي اصحاب كتب الحكمة .

ففيما نسمع اشعيا يبتهل الى الله لأجل شعبه، باسلوبه الذي لا يخلو من الجفاف ، اذا بنا نسمع ارميا ، الذي يقف الموقف ذاته ، يبتهل الى الله بلهجة ملؤها البساطة والرقة والحنان . قارن بين اشعيا ٦ : ٩—١١ وارميا ١٤ : ١٧—٢٢ .

وفيما صاحب سفر الجامعة يقدّم لنا الحكمة، وابتسامة مرة تعلو شفتيه امام خيبات الحياة وتوالي الايام والسنين الى ما لا نهاية له (الجامعة ١ : ٩—١٠ ؛ ١١ : ١٦—١٧ ؛ ٢٠—٢٣) ، اذا بيشوع بن سيراخ ينظر الى الحياة نظرة ثقة لا تتزعزع باله اسرائيل الذي اتي بكل معجزة ورائعة في سبيل شعبه (يشوع بن سيراخ ١ : ١١—١٣) .

المشاكل :

عندما يؤدي صاحب كتاب مقدس رسالة الله تقف نصب عينيه غاية ، تكون كثيراً ما بان يجيب على مشكلة معينة .

فاصحاب كتب الملوك والاخبار يعالجون الموضوع ذاته وهو تاريخ الشعب المختار في حقبة الملكية . الاّ ان لكل منهم غاية من كتابه تختلف عن غاية الآخر . فصاحب سفر الملوك يصدر حكمه على الملوك من

حيث امانتهم للعهد ولوحدة الهيكل . اما صاحب سفر الاخبار فانه يولي اهتماماً خاصاً شخصية داود من حيث انها تمتّ بصلة الى المسيح الآتي ، وهو يريد علاوة على ذلك ان يحلّ قبيلة اللاويين المكانة الرفيعة الخطيرة .

هذا الاختلاف في الغاية هو في المزامير أوضح . فالواحد يرفع صلوات التسبيح والمديح ، وادعية الشكر والطلب ؛ وآخر يبحث في قضية العقاب والثواب وسعادة الاشرار ؛ وغيره يشيد بسعادة الذين يتّحدون بالله.

ويسعى صاحب كتاب ايوب الى حل لمشكلة العذاب ، وقد سبقه الى هذا المسعى كثيرون ، فيأتي لها بجواب جديد هو الثقة بحكمة تدابير الله التي لا تدرك . الاّ ان هذا الحل ليس بالحل الذي سيأتي به المسيح . فالوقت له لم يحن بعد .

الانواع الأدبية :

قال بيوس الثاني عشر : « لم يلجأ الشرقيون ، ليعبّروا عمّا في نفوسهم ، الى وجوه الكلام ومذاهب التعبير التي نلجأ نحن اليوم اليها ، بل الى تلك التي عهدها رجال زمانهم ومكانهم ... فعلى شارحي الكتاب المقدس ان يعودوا بالفكر الى تلك القرون الخالية من الشرق لكي يميّزوا فيما بين انواع الكتابة الادبية ويتعرفوا الى تلك التي اراد استعمالها حقاً كُتّاب ذلك العصر القديم ، مستعينين لمعرفة ذلك بعلوم التاريخ ، والآثار ، والمجتمع ، وغيرها » (عن رسالته Divino afflante, éd. Bonne Presse, page 34) .

والحق ان موسى ، وداود ، وحزقيال ، وابن نون ، وابن سيراخ ، وغيرهم قد ابلغونا رسالتهم على اشكال ادبية متنوعة ، فدستور العهد ، والمزامير ، ورؤيا العظام اليابسة ، واحكام ابن سيراخ ، كل هذه وامثالها هي فيما بينها متباينة الشكل مختلفة الألوان . وهذه الالوان هي ما نسميه بالألوان او **الانواع الادبية** .

اهم ما نجد منها في كتب العهد القديم الالوان او الانواع التالية :

آ . النوع التاريخي
ب . النوع الشعري
ج . النوع التشريعي
د . النوع النبوي
ه . نوع الرؤيا (Apocalyptique)

وانه لمن الضروري بمكان ان نتعرف اولاً الى احكام وقواعد النوع الأدبي الذي يعتمد عليه المؤلف في تأليفه .

لم يكن لهذه الانواع الادبية يومئذ ما لها الآن من الاحكام والقواعد المقررة الثابتة . فالعقلية الشرقية ، التي لا تأبه كثيرًا للمنطق ، قد جبلت على العفوية والهوس ،وكثيرًا ما تطغي المخيلة بصورها على المواضيع العقلية الصرف .

النوع التاريخي . — عندما أحصينا الكتب المقدسة ذكرنا بينها كتباً أسميناها بالكتب التاريخية ، لأنها تروي شيئاً من تاريخ الشعب المختار . الاّ اننا لا نكتب اليوم التاريخ ، كتاريخ فرنسا مثلاً ، كما كانوا يكتبونه منذ ثلاثة قرون . ولقد كان المؤرخ تيت ليف يختلق تفاصيل الخطب اختلاقاً وهو يكتب تاريخ روما . وكان هيرودوت يستسلم ، وهو يدوّن اخبار اليونان ، الى وحي مخيلته . حتى توسيديد ، المؤرخ الرصين ، فانه ، في كتابه عن حملة صقليّة ، ابعد من ان يسدّ حاجات نُقّاد اليوم ويقضي مطالبهم . فما قولنا في الذين كتبوا تاريخ الشعب المختار ؟

كان الشرق القديم يعالج التاريخ بطريقة تختلف كل الاختلاف عن طريقتنا اليوم . قد نجد هناك احياناً نوعاً من التاريخ هو بتاريخنا اشبه واليه اقرب . فسفر الملوك مثلاً يحتوي مثل كتبنا التاريخية على وثائق رسمية ومستندات راهنة . غير ان الرواية التاريخية فيه قد تحتوي ايضاً على عناصر خيالية او رمزية . وقد يعمد المؤلف احياناً الى استعارة اقوال

لغيره يدخلها في سياق روايته دون ان ينبهنا الى اصلها ، ودون ان يحمل تبعتها . وقد لا يأبى النوع التاريخي الصرف ان يتخلله احياناً بعض القطع الشعرية (يشوع يوقف الشمس) . وقد يأتي التاريخ احياناً على شكل سيرة شخص (طوبيا ، استير) . وقد ينقل الكتابُ الشخصَ الذي يروي سيرته الى محيط غير محيطه ، ويضعه في اطار كله او بعضه مختلق (النبي يونان) . وقد يحدث احياناً عكس ذلك ، فيدخل ظرف تاريخي صرف في نبوءة ، او في كتاب حكمة . لا بل كان التاريخ ينقل اكثر من ذلك ، فيتضمن دائماً تعليماً دينياً وعظات ادبية ، حتى قيل في النوع التاريخي القديم « انه اشبه بالارض الثابتة الغنية التي تنشب فيها كلّ انواع الادب أصولها » .

الا نشعر ، بعد ذلك ، بهوان التاريخ وفراغه ؟ أولا يساورنا فيه الشك الدائم ؟ كلا . فحيث النوع التاريخي هناك التاريخ حقاً ، لكن ليس على الطريقة العصرية . ومن كل ما قلناه نخلص الى انه من الضروري ، قبل المباشرة في قراءة الكتاب المقدس قراءة درس وتعمق ، ان نستنير بمقدمة وافية وتمهيد صحيح ، او نسترشد بعالم عليم سديد الرأي والايمان . وإلاّ تهنا في بيداء المغامرات والاضاليل .

ولا نعود بعد ذلك نفرّط بما نجده فيه من التعليم الالهي ، بل نحتفظ به كل الحفظ ونتمسك به كل التمسك .

النوع الشعري . — اول اصول الشعر الساميّ التجاوب والتناغم . فتأتي الفكرة على صيغة عبارتين تتكاملان بالتشابه والتوازن ، او بالتضاد والطباق .

آ . بالتشابه والتوازن :

قلت للضحك : فيك جنون !

وللفرح : ماذا تنفع ؟ (الجامعة ٢ : ٢).

ب . بالتضاد والطباق :

الابن الحكيم يسرّ أباه ،
والابن الجاهل غُمَّة لأمّه (امثال ١٠ : ١).

ينشأ وزن الشعر ونغمته من الترديد المنتظم للاصوات الحلقية ، فتجتمع الابيات بيتين بيتين ، او ثلاثة ثلاثة ، لتؤلف المقطع الشعري. ومن اشكال الصناعة الشعرية ان يكون في القطعة لكل حرف من الابجدية نصف بيت (كما في مزمور ١١١) ، او بيت كامل (كما في امثال ٣١ : ١٠) او اكثر من بيت (كما في مراثي ٤) .

والشعر العبري هو تارة وجداني غنائي عندما يعبّر عن عواطف (المزامير) ، وطوراً تعليمي عندما يريد امثولة (الكتب الحكمية) .

١ . الشعر الوجداني . — نذكر لشعر المزامير ، الذي هو المثال الأعلى للوجدانية الدينية ، التشابيه الجريئة الحية :

الرب راعيّ
فلا يعوزني شيء ...
عصاك وعكازك
هما يعزيانني (المزمور ٢٣ : ١—٤. وفي طبعة اليسوعيين ٢٢).

يستعير هذا الشعر ، للتكلم عن الله ، تعابير واوصاف انسانية ، اذ عليه ان يقرّب فيما بين إله سينا المحتجب وشعبه :

انتَ الملتحف بالنور كرداء
الباسط السماء كسجف
المسقِّف بالمياه علاليَّه (المزمور١٠٤ : ٢—٣ او المزمور١٠٣).

يقتضي الشعر ان لا نأخذ التشابيه والاستعارات البيانية بحرفها وعلى علاتها ، كما في القصيدة التي أنشدت بعد عبور البحر الاحمر :

بريح غضبك تراكمت المياه
انتصبت كأطواد مائعة
وجمدت اللجج في قلب البحر (الخروج : ١٥ : ٨).

هذه المزامير قد أنشدها المسيح مع رسله، فترنمت شفتاه: بوم عيد الفصح بترنيمة هالل التي تتألف من المزامير ١١٣–١١٨ (او ١١٢–١١٧).

٢ . الشعر التعليمي . — يرفل الشعر التعليمي في ثوب قشيب من الحكم والعبر . والشعر التعليمي هو بنوع خاص شعر سفر الحكمة . والكتب التي نجده فيها تمهد ، ولو تمهيداً بعيداً ، الى الكشف عن حياة الله في ثالوثه . إلاّ ان اصحاب هذه الكتب هم ، كغيرهم ، مقيدون بزمانهم ، مدينون لكتب سبقتهم سواء في اسرائيل ام في الخارج .

عندما نأخذ بقراءة هذه الكتب يتجلى لنا تعليم الحكمة هذا على التدريج.فهو ، اذا ما بحثنا عنه في الانسان ، ثمار خبرة شخصية ، كما في كتاب الامثال . الاّ ان هذه الخبرة الانسانية تتّسم في سفر الجامعة بسمات التشاؤم الشديد . وبالعكس في سفرَي الحكمة وابن سيراخ ، فهو الله مصدر هذا التعليم وموضوعه .

اما الاصول والمبادئ فهي على ما ذكرنا .

النوع التشريعي . — يتجلى هذا النوع في الصيغة الشرطية :

مَن ضرب انساناً فمات، فليقتل قتلاً (الخروج ٢١ : ١٢).

او في العبارة الانشائية ، في صيغة المفرد او الجمع :

لا تقتل (الخروج ٢٠ : ١٣).

ولا تسئ الى ارملة ولا يتيم (الخروج ٢٢ : ٢٢).

يرتبط النوع التشريعي بالعهد ارتباطاً وثيقاً ، اذ لا يثبت العهد ولا تقوم له قائمة بدون ممارسة الشريعة . ولذا فاننا نجده فقط في التوراة وبنوع اخص في تثنية الاشتراع حيث ورد على شكل مجموعة ودستور ، كما وفي جزء هام من ابن سيراخ تحت اسم « شريعة البر » .

النوع النبوي . — انه نوع من الادب معقد ليس له في الآداب الغربية والعصرية مقابل او مثيل .

لقد قلنا آنفاً ان الكتاب يتضمن احياناً عناصر تتصل بحياة النبي ، ويشتمل على تفاصيل عن زمانه ومكانه . الاّ ان خصائص النوع النبوي ومميزاته تتكون من اقوال يفوه بها النبي واعمال يعملهـا ، من حضّ وتحريض ، ووعد ووعيد ، وارشادات وعظات .

عندما تتضمن النبوة عنصرًا من عناصر المستقبل فانها تذكر حادثاً لا اطّلاع للنبي عليه بذاته . فاذا ما وجب عليه ان ينذر به فانه كثيرًا ما يعجز عن ان يقول كيف سيقع ومتى . ولذا فالنبوّة لا تخلو من بعض الغموض والالتباس . وعندما يروي الكاتب الملهم ما قطع الله لابراهيم من وعد بالمسيح فإنه لا يتوصل للاعراب عن ذلك سوى بقوله انه نال « بركة » خاصة .

اضف الى ذلك ان مقصد الله يظهر لنا وكأنه يتحقق جزءًا بعد جزء ، على مراحل متتابعة . لأننا لا نستطيع ان ننظر اليه الاّ من زاويتنا ، وفي علاقته بنا ، اي في الزمان الذي يمرّ . اما في علاقته بالله فانه مقصد واحد ازلي قائم ابدًا في حاضره . وهذا هو سبب ما يعانيه النبي من اضطراب وقلق .

ثم ان الروح القدس يُحمّل حادثاً مادياً بسيطاً من المعنى مـا لا يشتمل عليه ، ويعيره مدلولاً فوق مدلوله ، مما لن يتحقق الاّ فما بعد . فأشعيا اذ يعلن مثلاً في الفصل السابع من كتابه عن ولادة قريبة الوقوع ، فهو انما يعلن ايضاً ، وفي آن واحد ، عن ولادة المسيح الآتي . واذ يشكو صاحب المزامير الى الله جزعه في المزمور الثاني والعشرين (الحادي والعشرين) ، فاننا نشعر اننا نسمع شكوى انسان بائس متروك منبوذ . ولكن عندما نقرأ كلمات المسيح الاخيرة على الصليب ونرى انه في تلك اللحظة قد طبق اقوال المزمور هذه على نفسه ، فاننا عندئذ نفهم انها كانت موقرة بمعنى هو أبعد مما فكر به صاحبها .

ولما كان النبي شرقياً ، وكان يجهل تفاصيل رسالته ، فانه يسبغ على اقواله اشكالاً وألواناً من الصور والأخيلة . وهو ، لكي يقرب رسالته

الى اذهان سامعيه ويضعها في متناولهم ، لما تتضمن من حقيقة روحية تفوق مداركهم ، فانه يرافق كلامه بالحركات والسكنات الرمزية التي تلائم مزاجه (حزقيال ٥ : ٤ ؛ ١١—١٢) . وهو عندما يحاول ان يصف لنا السلام الذي سيأتي به المسيح ، فانه يتّخذ من الاستعارات والمقارانات ما لا ننتظر وما يدهشنا ، وما لا مجال لتحقيقه :

فيسكن الذئب مع الحمل ...
والاسد يأكل التبن كالثور
ويلعب المرضع في حجر الافعى (اشعيا ١١ : ٦—٨).

اما نحن الذين نعرف، وقد تفتحت أعيننا للنور ، فمن السهل علينا ان نبدّد كل غشاوة . علينا مع ذلك ان نكون على حذر . فاذا كان ما يتصل بالحاضر في الكتب النبوية هو مادة للتاريخ ، فان ما يتصل بالمستقبل من وعد ووعيد لا يخلو من بعض التصوير الخيالي والتأويلات الشخصية .

نوع الرؤيا (genre apocalyptique) . — انـــه يمت الى النبوة بصلة الاصل والقربى ، الاّ انه يختلف عنها بخصائص ومزايا بيّنة . وكتاب رؤيا يوحنا (Apocalypse) هو اشهر مثل لهذا النوع .

هو نوع من الادب يأتينا بوحي ويكشف عن رؤيا . يُنسب الوحي انتحالاً الى كاتب قديم مشهور ، فيسرد هذا على شكل نبوة كل الاحداث التي ستقع حتى زمان الكاتب الحقيقي . والغاية من ذلك مزدوجة : اولاً بثّ الثقة والاطمئنان ، اذ كل الاحداث هي في يد الله الذي ستكون له فيها دون شك الكلمة الاخيرة . ثم دعم موقف الكاتب الحقيقي وتقويته في ما يقوم به من اداء رسالته النبوية . فهو الاعلان لما سيحدث في المستقبل يصل الرؤيا بالنبوة .

يسرد الكاتب احداث التاريخ في خطوطها الكبرى ، ويسبغ على بعض التفاصيل معاني ما كانت لتدرك بدونها ، ويفسح في كتابه اوسع

مجال لرؤى غريبة عجيبة تصور الاوقات الاخيرة (eschatologie) ويقوم بتفسير مدلولها غالباً ما أحدُ الملائكة .

ولنلاحظ ان للرؤيا اساليبها التقليدية ، من صور معروفة في قوالب معهودة (clichés) لا يخطر ببال احد ان يأخذها بحذافيرها ويفهمها بحرفها ، تتضمن مدلولاً اجمالياً ومعنى عاماً .

يكفي ، للتيقن من ذلك ، ان نقارن بين خراب بابل في اشعيا وخراب اورشليم في متى .

فهذا اشعيا يقول في خراب بابل :

فيفزعون ويأخذهم الطلق والمخاض
ويتضوَّرون كالتي تلد ...
هوذا يوم الرب قد حضر
يوم قاس ذو سخط واضطرام غضب ،
ليجعل الارض خراباً
ويبيد خطأتها منها .
ان كواكب السماء ونجومها
لا تبعث نورها ،
والشمس تظلم في خروجها ،
والقمر لا يضيء بنوره (اشعيا ١٣ : ٨—١٠) .

وهذا يسوع يقول في خراب اورشليم :

وهذا كلّه اول المخاض ...
وعلى اثر ضيق تلك الايام
تظلم الشمس
والقمر لا يعطي ضوءه
والكواكب تتساقط من السماء
وقوات السماء تتزعزع (متى ٢٤ : ٨ ؛ ٢٩).

هذه مقاطع وشذرات من كتب . الآ ان بين الكتب المقدسة ما

جاء بكامله من نوع أدب الرؤيا هذا ، ككتاب دانيال في العهد القديم ورؤيا يوحنا في العهد الجديد .

في الفصل الحادي عشر من دانيال (١١ : ٤٠–٤٥) نشعر فجأة وبوضوح اننا ننتقل من الماضي المعروف الى المستقبل الموحى به . فالى هذا الحد من تاريخ انطيوخوس ابيفانيوس لا اختلاف بين ما ورد في كتب المؤرخين الوثنيين وبين ما ورد في سفر دانيال ، بل مطابقة تامة بين المؤرخين حتى في التفاصيل . وفجأة يتغير الموقف . فما ينذر به دانيال بوضوح هو آخرة عدو الله ، دون ان يتوقف مع ذلك على وصف دقائق الحادث وظروفه .

وعلى الفور تتبع حقبة من الويلات والبلايا تنتهي بملك الله النهائي ، فللملكوت الجديد سيكون القائمون من الموت ذاتهم اتباعاً .

وهوذا المقطع الاخير :–

« وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ،
ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت امة الى ذلك الزمان .
وفي ذلك الزمان ينجو من شعبك كل من يوجد مكتوباً في الكتاب . وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الابدي .
(دانيال ١٢ : ١–٢) .

الفصل الرابع

هل من وجه شبه بين الكتب المقدسة وغيرها من الكتب ؟

كلاّ . لأن الكتب المقدسة تحمل الينا رسالة من الله.ولذا فالله حاضر فيها حضورًا خاصاً ، متجلّ فيها تجلياً فريدًا :

— بسعيه المتواصل وراء مقصده وخطته،
— باعلانه حقيقته ،
— بقدرته الضابطة الكل .

فالكتاب المقدس هو رسالة الله الوحيدة الفريدة .

مقصد واحد يسير خلال الكتاب المقدس كله الى التحقيق :

نلتقي منذ الصفحات الاولى من سفر التكوين بدعوة الانسان (تكوين ١—١١) . لا نتوقّفن على ابواب هذه الروايات ننظر اليها من الخارج، لئلا تقلقنا بما تحمل من آثار مدنية خاصة . فالأحرى بنا،عوضاً عن ان نضل في تيه المجادلات العقيمة عن الايام ، والشجرة ، والتفاحة ، والحية ، وقد عجز العلماء ذاتهم الى الآن عن التفاهم حولها ، ان نتوقف على جوهر رسالة الله.فالذي يجب ان نكتشفه في هذه الروايات انما هو ماوضعه الله في الانسان من الانتظار الصميم والشوق العميق . اجل ان الانسان هو ذروة الخليقة المادية والوسيط بين الله وخلائقه الدنيا . انه ذلك واكثر من ذلك . فالله يدعوه الى امتلاكه بحياة اتحاد لكل لحظة وآن . وما يضير بعد ذلك ان يعبّر الكتاب عن هذه الصداقة الالهية بصور مادية ؟ وانه لأمر جوهري ان ندرك هذه الدعوة التي لا تزال قائمة ، تلاحق الانسان

وتلازمه دون هوادة ، مهما أناخت عليه الخطيئة بوقرها ، فانحطت به الى دركات الشر ، وأعجزته عن تلبية دعوته تعالى ، مما نراه في قتل قاين لأخيه هابيل ، وفي طغيان الفساد الذي أدّى الى هلاك البشر بالطوفان ، وفي الكبرياء الذي رفع برج بابل .

لن يحول عجز الانسان دون ان يُتم الله مقصده فيه . فاذا كان الانسان قد تردّى في حمأة الوثنية ، فوهنت ارادته ، واظلم عقله ، فانه ليشقى أيما شقاء لعجزه عن ارواء الشوق الشديد الذي يحرق احشاءه .

سيجترح الله اذًا معجزة الحب بان يكون هو ذاته غاية الانسان التي تتوق اليهـــا نفسه . هو سرّ التجسد الذي سيمكّن الانسان من امتلاك الله امتلاكاً ليس في طاقة بشر ان يتصور مثله . الاّ ان حب الله هذا للانسان ليس حباً نظرياً . والانسان لا يزال ، على ما قال القديس ايرينه : « ذلك الكائن الذي خلقه الله ليكون محط نعمه وآلائه ». فبالمسيح يستطيع الانسان ان يتفوق على نفسه ، وان يتسامى الى الصعيد الالهي ، فيحقق في حاضره الغاية التي حاد في الماضي عنها .

بين انكسار الله الاول وانتصاره الباهر بالتجسد تمتد ازمنة واحقاب عاشتها البشرية تستعد . لأنها لم تكن على استعداد لتقبل عطية الله الكبرى. ولذا فقد اخذ الله يختار وينتقي ، ساعياً ، طوال ثمانية عشر قرناً دون انقطاع ، الى تحقيق مقصده العظيم .

بدعوة ابراهيم غرس الله الاصل الذي منه سيخرج المسيح . وبدعوته موسى هيأ العهد الذي سيعقده فيما بعد مع البشرية جمعاء بدم المخلص . وباقامته القضاة حفظ بين ايدي شعبه الارض المقدسة ، تلك الارض التي ستكون يوماً وطناً ليسوع الناصري . وبدعوته الانبياء رسم عن يدهم وبلسانهم الصورة التي تمثل وجه المسيح . وبالهامه المزامير انما هي صلاة ابنه كان يصغي اليها سلفاً . وبنفحه الحكماء الحكمة انما هي الحكمة المتأنسة كان يستمع اليها .

واخيراً ، بسعيه خلال العهد القديم كله وراء تنفيذ مقصد الخلاص انما هو عمل المخلص الآتي كان يبشر به .

وما تاريخ شعب العهد والوعد سوى تاريخ خلاص الله بين الناس ، على ايدي الناس .

مقصد الله في العهد الجديد :

يشتمل العهد الجديد على عدد قليل من الكتب تتوزع على حقبة قصيرة من الوقت . وهي كلها تدور حول حياة المسيح وتعليمه ، وتدوّن ايام الكنيسة الاولى وتعليمها .

الوحدة هي ذاتها « فالاناجيل » الاربعة هي البشرى عينها ، بشرى مجيء المسيح ، وقد جاء يعلن ان ملكوت السماوات قد انشئ ، واننا نستطيع ان ندخله . وكتاب « اعمال الرسل » يصف الخطوات الاولى التي خطتها الكنيسة التي اسسها المسيح ، لكي نواصل عمل التبشير ، فتعلن ان قد تمّ افتداء البشرية .

« والرسائل » تطلعنا على تقدّم التعليم في العقائد والاخلاق ، ذلك التعليم الذي هو دستور ملكوت السماوات ، سواء في مراحل تحقيقه على الارض ام في بلوغه تمامه في السماء .

وكتاب « رؤيا يوحنا » يشجع المسيحيين الذين يجتازون اوقاتاً صعبة . فلن ندخل الملكوت الاّ عن طريق العذاب الذي نشترك فيه بعذاب المسيح .

مَن لا يرى ان العهد الجديد يكمّل ما قلناه آنفاً عن العهد القديم ؟ ومَن لا يفهم ايضاً ان الكتاب ، وان انتهى وانختم ، فان الكنيسة لا تنفك تستخرج كنوزه التي لا تنتهي ؟ واننا بناة تاريخ مقدس نشيده ونحن سائرون الى اورشليم العلوية ، تاريخ خاتمته في آخر الازمان ، في مملكة الآب ؟

علينا ان نحاول ، ونحن نقرأ الكتاب المقدس ، ان نستجلي مقصد

الله ، فنكوّن لنا عنه فكرة عامة شاملة ، حتى لا نبتره ، بل نتقصاه ، فنسعد باتساعه كما وبوحدته .

لا نستنكرنّ من الكتاب بعض المقاطع ، كلوائح الانساب في سفر التكوين ، والارقام في سفر العدد . فرسالة الله هي اجمل من ان تنال منها بعض التفاصيل التي تعكس لون زمانها ومكانها .

وليست بعض الاحداث والروايات بذات قيمة مطلقة ، كصفحة عدس عيسو ، وبيع يوسف عن يد اخوته ، وشمشون والفلسطينيين، وطوبيا واستير . فهي لا قيمة لها الاّ بنسبة ما تحقق من مقصد الله .

ليس الله حاضراً في الكتاب المقدس بسعيه المتواصل في تتميم مقصده فحسب ، بل ايضاً بقدرته ، فلنتصفح الكتاب الآن على ضوء قدرته .

عمل قدرة :

١ . **قدرة الحقيقة** . — اننا لننتظر تعليماً صحيحاً قوياً نستطيع ان نستند اليه . وهو لكذلك ، ما دامت الكنيسة تمنحه لنا وتدعونا الى قبوله . فنحن على ثقة اننا معها لن نضل السبيل . والله ، الذي هو الحق بالذات، سوف يعنى برسالة الكتاب حتى تكون رسالة حق .

آ . حقيقة الهية في ثوب بشري . — متى تكلم الله فليس من ضلال نخشاه . علينا فقط ان نخلع عن كلام الله ثوبه البشري وغلافه الخشن لنكتشف الحقيقة الالهية ، ثمرة ناضجة من حكمته . لا الحقيقة كلها ، بل تلك الحقيقة الجزئية التي يستطيع عقلنا ان يدركها ويلمّ بها آنذاك .

لنا على ذلك في قصة الخليقة اصدق مثال . يقول لنا صاحب سفر التكوين ان الله « استراح في اليوم السابع » . وبذلك يدعونا الى الحذو حذو الله والتوقف مثله عن العمل . لكنه يقول ذلك بتعبير يتوافق وعقلية زمانه . هذه هي الصناعة الادبية والغلاف البشري . فلنجرده منهما نقع على فحوى كلام الله ورسالته الصافية : انه يطلب من الانسان ان يكرّس له بعض نشاطه .

والامر كذلك مع الانبياء . فاذ نسمع اشعيا يتوعد نساء اورشليم وينذرهن بعذاب أليم لبذخهن الصارخ ، فيما غيرهن يتضوّر جوعاً ، فانه لا يصعب علينا ان نكتشف ما ينطوي عليه هذا الكلام من حقيقة عامة سوف يسمعنا المسيح يوماً اياها على شكل آخر في مثل لعــازر والغني الشرير .

ولم يقتصر الله على ان يودع حقيقته في كتاب بشري ، بل أشرف بعقله وارادته على وضع هذا الكتاب ، دافعاً الانسان الى الكتابة، مصاحباً فكره ، دون ان يفقده شخصيته او ينال منها منالاً . وهكذا يكون الله المؤلف الحقيقي للكتاب ، لأنه سبحانه وتعالى يتملك الرجال الذين يكلفهم بكتابة رسالته تملكاً فائقاً .

الكتاب المقدس هو كتاب إلهي نقتفى فيه آثار الله ، علينا ان نقرأه بكل احترام واجلال .

ب . حقيقة الهية على مراحل . — احد مظاهر الاحترام الانتباه الى شكل الوحي لاكتشاف الحقيقة . فلا نلبث ان نرى كيف ان الله يكشف لنا الحقيقة بالتدريج ، على مراحل . ألم يقل المسيح ، الذي هو عطية الآب الحية : « لي ايضاً كلام كثير ... » (يوحنا ١٦ : ١٢). فلا عجب اذاً ان يخلو العهد القديم من الكمال الذي هو من نصيب الجديد .

وهذه شريعة المحبة التي ألمحنا اليها في اول درسنا : ان الله لم يوح لنا بها الاّ على مراحل . فبدأ موسى فكتب ، على نور الله : « السن بالسن والعين بالعين » . وكان ذلك تقدماً ورقياً ، اذ وضع حداً لغريزة الثأر وسورة الغضب . وسوف تأتي شريعة موسى هذه على مرّ السنين بمفعولها ، من خلق العادات والعواطف التي تمهد السبيل الى المسيح ، فيأتي بتعليمه السامي عن المحبة الكاملة : « ليس من حب اعظم من ان يبذل المرء نفسه عن احبائه » .

ج . حقيقة الهية تنمو في باطن الانسان . — نرى خلال الكتاب، كله عمل الروح القدس وهو يكشف الحقيقة للانسان قليلاً قليلاً ،

متدرجاً بها ، يضيف الجزء الى الجزء ، ويضم القسم الى القسم ، مسايرًا الزمان في سيره وتطوره . انه بدء النمو ، انها النواة تحوي في جوفها ، منذ البدء ، شجرة الغد البعيد .

والعهد القديم ، الذي قام على يد موسى في بدء نشأة الشعب المختار ، يتضمن في جوفه ، وان على شكل بدائي ، كل عناصر العهد الذي سينشأ بيننا وبين الله يوم اعتمادنا ، على ان ننفصل عن الوثنية المجاورة ، ونتصل اتصالاً وثيقاً بالله ، ونحفظ وديعة الايمان ، ونرتبط بجماعة المؤمنين ، ونتقيد بشريعة العهد . ولسوف يمرّ العهد الموسوي بشتى الصعوبات . الاّ انه سينمو ويزدهر عن يد الانبياء ، فتنشأ فيه استعدادات روحية تقوده الى الكمال المسيحي : « ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله » (متى ٥ : ١٧) .

٢ . **قدرة العمل** . — لا يخلو الكتاب المقدس من معجزات وخوارق. هي معجزاتٌ تلك الضربات التي ضرب الله بها مصر ، فأظهر لفرعون قدرته العظيمة وتفوقه على آلهة المصريين . وهي آية الهية ما حدث من تضافر قوى الطبيعة كلها تضافرًا امكن العبرانيين من عبور البحر الاحمر . وهو عون علوي امكن الانبياء من معرفة واعلان احداث ما كانوا ليعرفوها بالوسائل الطبيعية وحدها . وماذا نقول عن المسيح عندما نراه يشفي المرضى ويقيم الموتى ؟

اوليس معجزة كبرى قيام التوحيد ونموه في وسط عالم كله وثني ؟

وهناك معجزة سوف نكتشفها خطوة خطوة : هي عمل الله في الانسان اذ يبدّله غيره ، فيسمو به ويتعالى ، ويعمل به ما يطلب منه ؛ عمل الله القدير في شعب ضعيف يزخر بالاهواء التي تردّه عن دعوته ، فينفحه القوة ليسير في الطريق التي اختطها له الى الغاية ؛ عمل الله المسلط على كل شيء الذي يدخل في حسابه ضعف الانسان وقصوره ، حتى وعصيان ارادته . ما اكثر المعجزات في العهد القديم ! انها جزء من رسالة الله ،

وبرهان عن يد الله في الكتاب . وهل من حاجة الى ذكر آلام المسيح ، وصلب الناس له ، فأدخل الله عمل الانسان الشرير في حسابه ، وجعله سبباً ووسيلة لما يقصد من الفداء والخلاص ؟

ولنذكر اخيراً ان قدرة الله هذه قد أتاحت للانسان ، وهو المثقل بوراثة الخطيئة الاصلية ونتائجها ، ان يمتلك الله حتى قبل ان يكون المسيح قد أتمّ عمل خلاصه . فهذه العذراء مريم قد حُفظت من الخطيئة بقدرة من الله وبالنظر الى ما سيقوم به ابن الله بموته من خلاص البشر وانقاذهم من الخطيئة الاصلية . ويمكن القول ان ابراهيم او موسى او غيرهم من بررة العهد القديم قد توصلوا الى درجة من الاتحاد بالله هي القداسة بعينها .

قال موسى يوماً لله : « أرني مجدك » . فأجابه هذا الجواب العجيب الذي لبّى به طلبه : « اذا مرّ مجدي اجعلك في نقرة الصخرة واظللك بيدي حتى اجتاز ، ثم ازيل يدي فتنظر قفاي ، واما وجهي فلا يُرى » (الخروج ٣٣) .

جعل الله بينه وبين موسى صلة وثقى ، كما سمح لابراهيم بان يلحّ بالشفاعة لأجل سادوم . فاذا ما ساورنا بعد ذلك من شك في الصداقة الصميمة التي تربط بين الله والانسان ، لا على جبل سينا بين البروق والرعود ، بل في خشوع النفس المحبة ، فما علينا الآ ان نقرأ ما ورد لذلك من وصف بليغ في سفر الخروج : « وكان الله يتحدث الى موسى وجهاً لوجه ، كما يتحدث رجل مع صديقه » .

ليس في ذلك من معجزة . الآ ان هذه القداسة التي تجلّت في بعضهم قبل المسيح ، انما هي عمل من قدرة الله .

ولنا في العهد الجديد امثلة كثيرة على ذلك . فهذا بطرس المندفع يقبل ان يحمل على عاتقه عبء الكنيسة . وهذا بولس المضطهد لا يجد فيما بعد الكافي من الكلام ليعبّر به عن حبه للمعلم الذي عرفه على طريق الشام . الآ ان المسيح في هذه الامثلة قريب وعمله فيها ظاهر . اما في

العهد القديم فقد تجلّت انوار قدرة الله ولمّا يطلع الفجر ، فكانت لذلك أسطع .

قدرة الحقيقة ، وقدرة العمل ، بهما تجلّى الله في كتابه ، وبهما سار الله الى تحقيق مقصده .

٣ . **احترام الخليقة** . — خلق الله العالم المادي وأخضعه لنواميس وأنظمة بها تسود بين الموجودات علاقات محددة مستمدّة من خواصّها الصميمة . وخلق الانسان وزوّده بالعقل والارادة الحرة . وكان على هذه الخلائق كلها ان تسير في الطريق التي حدّدتها لها ارادة الخالق .

وقد يسأل سائل : الا يكون كتاب الله مجموعة من الخوارق والمعجزات يجترحها الله متجاهلاً خلائقه ، غير حاسب لنشاطها الخاص بها وللصلات التي تربط فيما بينها حساباً ؟ الا يعمل ، عندما يظهر قدرته ، في عزلة مطلقة وعلى هواه وحده ؟

ليس ذلك ما توحيه الينا قراءة الكتاب . فان الله يتعاون ، عندما يأتي بأعماله ، مع الوسائل الطبيعية . فيقبل بمساهمة الانسان والاشياء ، ويحسب لها حسابها . نورد على ذلك بعض امثلة من الكتاب لنزداد بها تفهماً لله ومعرفة لطريقة عمله تعالى .

عندما دعا اللهُ ابراهيم استخدم لتحقيق مقصده ما اخبر التاريخ القديم عنه من الهجرات العظيمة التي كانت تحمل الناس من شواطئ الخليج الفارسي ، عبر بلاد ما بين النهرين وبلاد كنعان ، الى مصر . امواج من الشعوب تزحف هكذا مغامرةً في سبيل اللقمة والبقاء .

نزح ابراهيم اولاً من اور ، وربما مع قبيلة ابيه ، لكي يستقر في حاران . ثم غادر حاران وحده هذه المرة الى كنعان حتى يسهل عليه ممارسة حريته الدينية على ما تقتضيه دعوته . بذلك استخدم الله حادثاً تاريخياً هو الهجرة ليقبل برجل من الوثنية الى التوحيد .

وعندما اراد الله ان يظهر لفرعون انه يفوق آلهته قدرةً كانت هناك

العوامل الطبيعية : النيل الاحمر ، الجراد ، الوباء ، وغير ذلك من الآفات التي تعرفها مصر حق المعرفة . ولمّا سلّم الله لرجل هو موسى قدرته عمل موسى بها مستخدماً هذه الآفات الطبيعية اداةً ووسيلة . اما المعجزة في ما فعل فكانت انه كان يطلق هذه الآفات ويمسكها ، على ارادته . في ذلك وحده المعجزة كل المعجزة .

وكذلك عند ما اراد الله ان يعبر بشعبه البحر الاحمر هرباً من فرعون . فكانت الريح الوسيلة الطبيعية لذلك : « ومدّ موسى يده على البحر فأرسل الرب على البحر ريحاً شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافاً » (الخروج ١٤ : ٢١) . بذلك كان موسى رجل الله . فقد جرت قدرة الله على يده بالمعجزة في انشقاق مياه البحر عن اليابسة ، وكان موسى يعمل يومئذ ، وهو يجترح المعجزة ، اداةً بيد الله .

الخلاصة :

الكتاب المقدس هو كتاب الله ، كتاب فريد في بابه ، يبلغنا رسالة فريدة في نوعها . وهو ذو حياة لم تنضب ماؤها الى الآن ولن تنضب .

والرجال الذين عرفناهم باسم ابراهيم ، وموسى ، وحزقيال ، وغيره ، هم من الأحياء الذين استلموا من الله رسالة وبلغونا اياها ، لكن على طريقتهم الشخصية الخاصة . هذه هي علامة الحياة واخطارها في آن واحد . وقد بذل الروح القدس لأصحاب الكتب هؤلاء عوناً خاصاً يقي به الرسالة التي كلفهم بتبليغها من كل زيف وانحراف وفساد ، ويبعث في قلوبنا الثقة باننا فيها لا بدّ مكتشفون الحقيقة .

الفصل الخامس

ما قول العلم في الكتاب المقدس ؟

شهادات له مباشرة :

لم يأت التاريخ القديم على ذكر للكتاب المقدس الاّ بما لا يروي الغليل . فلم يرد عنه ذكر واضح مفصّل الاّ في القرن الاخير قبل المسيح . اما الكاتبان اليهوديان فيلون و يوسيفوس فهما شاهدان متأخران .

جاء في مقدمة ابن سيراخ التي سبقت هذين الكاتبين ، والتي ترتقي الى عام ١٢٠ قبل المسيح ما يلي: « تلقينا من الشريعة والانبياء ومن اقتفى اثرهم كثيراً من الفوائد الجليلة الحرّية بان يُثنى لأجلها على ادب اسرائيل وحكمته » .

فعرف اذاً منذ القرن الثاني ان المجموعة ، وان لم تكن قد تمّت بعد – لأن الحكمة كتبت بعد ذلك – كانت تنقسم الى الاقسام التي حفظ اسمها اليهود الى اليوم .

ونعرف ايضاً ان الناموس قد اعلن على الشعب رسمياً في عهد عزرا .

ممّا ذكرنا عن نصوص الكتب ، ونوعها الادبي ، ولغتها ، وقواعدها ، نستطيع ان نستخلص معلومات قيمة وافية عن قدمها ، ومواردها ، ومعناها العميق .

شهادات له غير مباشرة :

أتانا علم الآثار بالنتائج القيمة في مجالات العهد القديم .

كان لتقدّم معارفنا عن بلاد ما بين النهرين في حقبة الالف الثاني

قبل المسيح أثره الجليل . فلقد اثبت تاريخ الآباء في الاطار الذي ورد فيه ، وأناره بنور جليّ ساطع .

وكان لاكتشاف مجموعة من المخابرات السياسية المصرية أثره في معرفـــة الوسط الفلسطيني ، حيث دخل العبرانيون بعد خروجهم من مصر ، معرفة اوسع وأوفى .

أتاحت لنا دساتير الشرائع القديمة التي اكتشفت في آسيا منذ ١٩٠٠ ان نقيم مقابلات خصبة بينها وبين مراسيم موسى التشريعية .

وافانا نصب ميزا ملك مواب (stèle de Mésa) ، الذي اكتشف عام ١٨٦٩ ، بمعلومات وردت هي ذاتها في كتاب الملوك الثاني (٣ : ٤ــ٥).

اثبتت الاكتشافات التي جرت اخيراً قرب البحر الميت قيمة المتن العبري لأشعيا ، الذي كان في حوزتنا . كما ووافتنا بمعلومات عن الوسط الروحي اليهودي طوال القرنين اللذين سبقا المسيح .

اهم الحفريات . — في مصر ، في تل العمارنة ، وقع نفر من البدو المصريين عام ١٨٨٧ على مخزن للوحات من الفخار فبادروا الى بيعها . واليوم يوجد منها مائتان في متحف برلين ، وثمانون في متحف لندن ، وخمسون في القاهرة ، وست في اللوفر . هي رسائل تل العمارنة .

هذه الرسائل هي رسائل الشؤون الخارجية التي تبادلها امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع (١٤١٢ ــ ١٣٥٨) مع بعض كبار وصغار ملوك آسيا وحكام فلسطين .

نصب منفتاح ــ المعروف بنصب اسرائيل ــ يرتقي عهده الى ١٢٢٣ قبل المسيح ، وقد ورد فيه اقدم ذكر لاسرائيل : « دُمرت اسرائيل ولم يعد لها من زرع . صارت فلسطين لمصر كالارملة » .

نستطيع بواسطة هذه الوثائق كلها ان نعيد تأليف اللغة العبرية في شكلها الاقدم ، وتاريخ بلاد الكتاب المقدس في مستهل القرن الرابع عشر .

في اشور . نبش الاثريون في مكان نينوى عن مكتبة اسوربانيبال . وقد عثر بين محتوياتها على لوحات دوّنت فيها اناشيد عن الخليقة والطوفان. وليس بأطرف من المقارنة بينها وبين روايات الكتاب المقدس .

في بابل . اكتشفت في اور بيوت ذات طوابق ترتقي الى عهد ابراهيم. وفي ماري اكتشفت لوحات تطلعنا على الحياة في سوريا وما بين النهرين تحت حكم حمورابي . وقد جاءنا دستور حمورابي ، الذي اكتشف في سوس ، بالمزيد من ذلك .

في آسيا الوسطى . في بوغاز كوي اكتشفت وثائق ملكية تطلعنا على تاريخ القرنين الرابع عشر والثالث عشر السياسي . في رأس شمرا اكتشفت لوحات مسمارية تطلعنا على بعض نواحي الحياة الدينية في كنعان في القرن الخامس عشر .

في فلسطين ، اتت حفريات جيزر ، تاناك ، مجدو ، اريحا ، السامرة ، لاكيش ، اورشليم ، بأهم النتائج .

مخطوطات البحر الميت . — في صيف ١٩٤٧ دخل بدوي كهفاً في قمران ، وهي قرية تقع في الشمال الغربي من البحر الميت ، فعثر على جرار كان بعضها سليماً . وكان في الجرار مخطوطات على شكل لفائف مغلّفة بقماش مانع . وكانت الغنيمة ذات شأن وقيمة ، اذ كان بين المخطوطات درجان لأشعيا . وعلى اثر ذلك عهد الى رئيس مصلحة الآثار في الاردن ، يعاونه رئيس المعهد الفرنسي للاثار في القدس ، بادارة الحفريات التي تقوم بها البعثات الاثرية ، وبجمع المعلومات والنتائج في الحاضر والمستقبل .

وفي عام ١٩٥١ و١٩٥٢ ، على بعد ١٨ كيلومتراً جنوبي قمران ، تمّ اكتشاف اجزاء اخرى بالعبرية لبعض كتب العهد القديم ، ورسائل لباركوبيكا زعيم ثورة اليهود لعام ١٣٢ — ١٣٥ بعد المسيح .

وفي الجنوب ايضاً وجدت في كهف مخطوطة على غاية من الاهمية : هي ترجمة يونانية لصغار الانبياء لا تمتّ بصلة الى عائلات المخطوطات المعروفة الى اليوم .

وفي ايلول من عام ١٩٥٢ كان بعض البدو ينقبون في كهفين بالقرب من قمران فوقعوا على اجزاء هامة لنصوص من الكتاب باللغة العبرية ، كما وعلى مؤلفات زائفة منتحلة (ككتاب وصايا رؤساء القبائل الاثني عشر) .

وفي ختام عام ١٩٥١ ، ثم في الاعوام ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، جرى التنقيب في خربة قمران ، فعثر على بيت مؤلف من ١٤ غرفة ، احداها قاعة فيها طاولة للكتابة ومحبرة ، وفي البيت احواض للتغسيل، وبالقرب من البيت مدفن من حوالى الف وماثة قبر. لم يعد من شك في ان الجماعة التي سكنت هذه الدار هي صاحبة المخطوطات التي عثر عليها في الكهوف المجاورة . واننا لنستطيع منذ الآن ان نجزم ، بانتظار معلومات ادق ، بان المخطوطات المذكورة تلقي النور على حقبة من التاريخ تتراوح بين آخر القرن الاول قبل المسيح والثورة اليهودية لأعوام ١٣٢ — ١٣٥ بعد المسيح .

الكتاب الثاني

تاريخ العهد



مُقدّمة عامة
العهْد
في خاطر الله

يتراءى لنا العهد (ويسمى ايضاً: الميثاق، او الحلف، او المعاهدة) الذي عقده الله مع الانسان على صورة مشروع يحققه على مراحل. هذا البطء في التحقيق يعود الى ضعف الانسان، الذي عليه ان يتعلم «ان يحمل الله» (القديس ايريني).

المرحلة الاولى : خطة الله ومقصده :

الله محبة. ولذلك فهو يريد ان يخلق كائناً يستطيع ان يسبغ عليه عطاياه، ان يبذل له ذاته. فكان الانسان، الذي هيأ له اولاً مكان اقامته.

لكن الانسان يختلف عما سبقه من المخلوقات. فهو حريّ بان يريد عطية الله، فيقول نعم لخالقه ومولاه؛ كما هو حريّ بان يرفض، نتيجة لضعفه ونقصه، فيقول لا.

وهذا ما حدث. فلقد تقدّم الله بعطيته فأجاب الانسان لا. وبذلك أخفق الله في مقصده، بالظاهر.

المرحلة الثانية : العهد القديم :

وقرر الله عندئذ ان يخلص الانسان، ولو على كره منه. وسيكون عمله على صورة عهد يعقده معه، فيستطيع بذلك ان يتحد مع الانسان ويتصل به اتصالاً وثيقاً صميماً.

هذا العهد سيتحقق على مراحل : مع نوح ، ومع الآباء ، وخاصةً مع موسى على جبل سينا ، وبواسطته مع الشعب الذي اختاره ليستودعه الايمان بالاله الواحد ، فيمارس محبته ، ويعلن اسمه ، وينشر محبته .

بذلك تمّ لمحبة الله النجاح الاول .

المرحلة الثالثة : العهد الجديد :

لم يكن العهد الاول عهد الكمال ، بل كان صورة لعهد آخر سيعقده الله ذاته ، وقد صار انساناً ، مع الناس اخوته .

سيتم العهد الثاني هذا بواسطة يسوع المسيح ، على جبل الجلجلة ، فتعرف البشرية كلها ، وكان الله قد دعاها الى هذه المعرفة بالعهد القديم ، « ان الله محبة » . وكل انسان قبل العماد يصبح عضواً في الجماعة المسيحية ، ويتحد بالمسيح ، فيستطيع بذلك ان يحقق في ذاته خطة الله ومقصده .

المرحلة الرابعة : اكتمال العهد :

بالموت يتحد المسيحي بالله الذي دعاه الى التمتع بوجوده وحبه اتحاداً لا ينفصم . وفي آخر الازمنة ، في انتهاء العالم ، يؤلف المنتخبون شعب الله الحقيقي . فيقوم بين الله والبشرية المفتداة بدم ابنه اتحاداً صميماً يتم فيه العهد ويبلغ غايته وكماله .

من هذه المراحل الاربع ندرس في هذا الكتاب المرحلتين الاوليين ، اللتين تؤلفان تاريخ العهد القديم .

تباشير العهد

الفصل الاول

تباشير العهد في بدء البشرية

المصادر (التكوين ١ – ١١)

نبدأ بكلمة عن اصل التوراة ، وعن الصور التي شحنت بها روايات الفصول الاولى منها .

اصول التوراة . — هو موسى ، بوصفه مؤسس ديانة ، وباعث أمّة ، قد اعلن دستورًا ، ثم روى ذلك .

وجاء بعده من أضاف الى ما كتب المعلومات التي وصلت الينا . فكان من ذلك تلك المجموعات الكبرى التي منها تكوّنت التوراة . وقد انتهى الجمع والتدوين في اوقات متفاوتة . الاّ ان هذه الكتب كلها قد استخدمت نصوصاً تشريعية وتاريخية عريقة في القدم ترتقي بجوهرها الى موسى .

وهكذا نشأ ما أسمي بالتقليد اليهوي (tradition yahviste) ، والتقليد الالوهي (tradition élohiste) ، بموجب نظرية مقبولة ترتقي بالتقليدين الى القرن العاشر والى مستهل القرن السابع .

ونُشر في آخر القرن السابع سفر تثنية الاشتراع ، ذلك الكتاب الذي هو مجموعة من الشرائع مُهد لها بخطب ، وفيها التقليد الموسوي مع كلام الانبياء .

وظهرت بعد ذلك المجموعات التي يقال لها الكهنوتية ، لأنها كتبت بيد الكهنة وعبرت عن مشاغلهم .

لهذه الكتب ، على اختلاف انواعها ، وحدة عميقة . فهي تروي ،

على اشكال متنوعة ، تاريخ بدء العالم وبدء الأمة . فتذيع هكذا مضمون العهد المعقود بين الله وشعبه ، وتعلن عن مقتضياته ومطالبه .

الصور في التكوين ١–١١ . — في هذه الفصول استخدم صاحب الكتاب على درجات متفاوتة بعض عناصر الادب البابلي . ولا بدّ من الملاحظة ان الوثائق البابلية تروي عن الطوفان رواية توازي كل الموازاة رواية الكتاب المقدس . لكن الامر يختلف في شأن الرواية عن خلق العالم والخطيئة الاصلية . فليس في الآداب الدينية البابلية ما يشبه ما يرويه الكتاب المقدس عنهما . ثم ان صور الكتاب المقدس ترد ، هي ذاتها ، هنا وهناك في الآثار البابلية ، على اوجه متفاوتة في الشبه . الاّ ان ترتيبها الذي وردت به في الكتاب المقدس هو ترتيب خاص وُضع ولا شك في سبيل التعبير عن الوحي. فتكون ميزة الكتاب المقدس عندئذ في اسلوب الرواية ، وفي جوهر التعليم .

١ رواية الكتاب المقدس

النص :

تتصف رواية الكتاب بالوحدة وتضم الخليقة والخطيئة الاصلية يرويها سفر التكوين في فصوله الثلاثة الاولى .

الرواية الاولى للخليقة (ب)

في البدء خلق الله السماوات والارض . وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه المياه .

وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور انه حسن . وفصل الله بين النور والظلام . وسمّى الله النور نهاراً والظلام سمّاه ليلاً . وكان مساء وكان صباح يوم واحد .

وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه

ومياه . فصنع الله الجلَد وفصل بين المياه التي تحت الجلَد والمياه التي فوق الجلَد فكان كذلك . وسمّى الله الجلَد سماء . وكان مساء وكان صباح : يوم ثان .

وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السماء الى موضع واحد وليظهر اليبس . فكان كذلك . وسمّى الله اليبس ارضاً ومجتمع المياه سمّاه بحارًا . ورأى الله ذلك انه حسن .

وقال الله لتنبت الارض نباتاً عشباً يبرز بزرًا وشجرًا مثمرًا يخرج ثمرًا بحسب صنفه بزره فيه على الارض . فكان كذلك . فأخرجت الارض نباتاً عشباً يبرز بزرًا بحسب صنفه وشجرًا ثمرًا بزره فيه بحسب صنفه . ورأى الله ذلك انه حسن . وكان مساء وكان صباح : يوم ثالث .

وقال الله لتكن نيّرات في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات واوقات وايام وسنين . وتكون نيّرات في جلد السماء لتضيء على الارض . ولتحكم على النهار والليل وتفصل بين النور والظلام . ورأى الله ذلك انه حسن . وكان مساء وكان صباح : يوم رابع .

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات انفس حية وطيورًا تطير فوق الارض على وجه جلد السماء . فخلق الله الحيتان العظام وكل دابّ من كل ذي نفس حية فاضت به المياه بحسب اصنافه وكل طائر ذي جناح بحسب اصنافه. ورأى الله ذلك انه حسن . وباركها الله قائلاً : انمي واكثري واملإي المياه في البحار وليكثر الطير على الارض . وكان مساء وكان صباح : يوم خامس .

وقال الله لتخرج الارض ذوات انفس حية بحسب اصنافها بهائم ودبابات ووحوش ارض بحسب اصنافها . فكان كذلك . فصنع الله وحوش الارض بحسب اصنافها والبهائم بحسب اصنافها وكل دبابات الارض بحسب اصنافها . ورأى الله ذلك بانه حسن .

وقال الله: لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض وكل الدبابات الدابة على الارض .

فخلق الله الانسان على صورته
على صورة الله خلقه
ذكرًا وانثى خلقهما

وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الدابّ على الارض . وقال الله : ها قد اعطيتكم كل عشب يبزر بزرًا على وجه الارض كلها وكل شجر فيه ثمر يبزر بزرًا يكون لكم طعاماً . ولجميع وحش الارض وجميع طير السماء وجميع ما يدبّ على الارض ممّا فيه نفس حية جميع بقول العشب جعلتها مأكلاً . فكان كذلك .

ورأى الله جميع مـــا صنعه فاذا هو حسن جدًا . وكان مساء وكان صباح: يوم سادس .

فأكملت السماوات والارض وجميع جيشها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من عمله الذي خلقه الله ليصنعه .

هـــذه مبادئ السماوات والارض اذ خلقت .

(التكوين ،١:١ — ٢:٤).

الرواية الثانية للخليقة (ج)

يوم صنع الرب الاله الارض والسماوات ، كل شجر البرية لم يكن بعد في الارض ، وكل عشب البرية لم ينبت بعد ، لأن الرب الاله لم يكن قد امطر بعد على الارض ، ولم يكن انسان ليحرث الارض . وكان يصعد منها بخار فيسقي جميع وجهها . وان

الرب الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في انفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية .

وغرس الرب الاله جنّة في عدن شرقاً وجعل هناك الانسان الذي جبله . وأنبت الرب الاله من الارض كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل ، وشجرة الحياة في وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر . وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ، ومن ثم يتشعب فيصير اربعة اروس . اسم احدها فيشون ، وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الارض جيد . هناك المغل وحجر الجزع .واسم النهر الثاني جيجون وهو المحيط بجميع ارض الحبشة.واسم الثالث حدّاقل وهو الجاري في شرقي أشور . والنهر الرابع هو الفرات. واخذ الرب الاله الانسان وجعله في جنة عدن ليفلحها ويحرسها . وامر الرب الاله الانسان قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل ، واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . فانك يوم تأكل منها تموت موتاً .

وقال الرب الاله : لا يحسن ان يكون الانسان وحده ، فأصنع له عوناً بازائه . وجبل الرب الاله من الارض جميع حيوانات البرية وجميع طير السماء واتى بها آدم ليرى ماذا يسمّيها . فكل ما سمّاه به آدم من نفس حية فهو اسمه . فدعا آدم جميع البهائم وطير السماء وجميع وحش الصحراء بأسماء . واما آدم فلم يوجد له عون بازائه . فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام ، فاستلّ احدى اضلاعه وسدّ مكانها بلحم . وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فأتى بها آدم . فقال آدم :

هوذا هذه المرة عظم من عظامي ولحم من لحمي .
هذه تسمّى امرأة لأنها من امرئ اخذت .

يترك الرجل اباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً .
وكانا كلاهما عريانين ، آدم وامرأته ، وهما لا يخجلان .

(التكوين ٢ : ٤–٢٥)

رواية الخطيئة

وكانت الحية احيَل جميع حيوان البرية الذي صنعه الرب الاله . فقالت للمرأة : أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل . واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة ، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه كيلا تموتا . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . انما الله عالم انكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة عارفَيْ الخير والشر .

ورأت المرأة ان الشجرة طيبة للمأكل وشهية للعيون ، وان الشجرة منية للعقل ، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت بعلها ايضاً معها فأكل . فانفتحت أعينهما فعلما انهما عريانان ، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر .

فسمعا صوت الرب الآله وهو متمشٍّ في الجنة عند نسيم النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فيما بين شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم وقال له : اين انت؟ قال: اني سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت . قال: فمن اعلمك انك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عن ان تأكل منها ؟ فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الاله للمرأة : ماذا فعلت؟ فقالت المرأة : الحية أغوتني فأكلت. فقال الرب الاله للحية: اذ صنعت هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحش البرية ، على صدرك تسلكين وتراباً تأكلين طول ايام حياتك . واجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . فهو يسحق رأسك وانت ترصدين عقبه . وقال للمرأة: لأكثرنَّ مشقّات حملك ، بالألم تلدين البنين والى بعلك تنقاد اشواقك ، وهو يسود عليك . وقال لآدم : اذ سمعت لصوت امرأتك فأكلت من الشجرة التي نهيتك قائلاً لا تأكل منها ، فملعونة الارض بسببك ، بمشقة تأكل منها طول ايام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت

لك ، وتأكل عشب الصحراء . بعرق وجهك تأكل خبزك حتى تعود الى الارض التي أخذت منها ، لأنك تراب والى التراب تعود .

وأخرجه الله من جنة عدن ليحرث الارض التي أخذ منها . فطرد آدم وأقام شرقي جنة عدن الكروبين وبريق سيف منقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . (التكوين ٣)

صدى هذه النصوص :

سبق فقلنا ان المؤلف ينهج في روايته نهج اهل زمانه في التفكير والتعبير .

آ . **مبدأ العالم** . — سبق لنا الكلام عمّا يساور الخواطر عن اصل العالم. فالظواهر وحدها توحي هنا بالتعابير والاوصاف عن اصل العالم ، كما وعن اصل الانسان .

ب . **مبدا الانسان** . — عندما يكفّ الانسان عن التنفس نقضي بأنه كفّ عن الحياة ، فتنحلّ الجثة الى تراب . ولذلك نتصور انه لا بدّ ان يكون الله قد سلك في خلق الانسان المسلك المعاكس ، فأخذ تراباً ، وجبل منه شكل انسان ، « ونفخ فيه نسمة حياة » (تكوين ٢ : ٧ ؛ انظر رؤيا حزقيال الشهيرة : ٣٧) .

ج . **العقلية البشرية** . — لاحظ دقة التحليل النفسي في الرواية عن الخطيئة الاصلية ، من دخول المرأة في الجدل ، ومن غرور ، ورغبة ، وسقطة ، واضطراب ، وتبكيت . هي مراحل التجربة المختلفة الاطوار كما راودت العبراني ، عبّرت عنها هذه الصفحة من الكتاب .

المسائل التي تسعى هذه الروايات الى حل لها :

امامنا هنا محاولة للجواب على الاسئلة التي تراود معاصري المؤلف ، والتي راودت قبلهم اجدادهم الأقدمين ، والتي تراود الانسان من كل قرن

وجيل ، تأتي على صور مختلفة تتناسب وزمانها .

اليك بعض هذه الاسئلة :

— من هم الناس الذين كانوا في الارض قبل ابراهيم ؟

— كيف أتى الانسان الاول الى الوجود ؟

— كيف نشأت الاشجار والنباتات والكواكب والمياه والنور والشمس والظلمة ؟

— لماذا يجب ان نرتاح في كل يوم سابع ؟

— لماذا يتعذب الانسان في اهم نشاط يقوم به ، وهو عمله اليومي ؟ والمرأة في أخص مهمة تقوم بها ، وهي الولادة ؟

— لماذا تعيش المرأة تحت سيطرة زوجها .

— لماذا الصحراء ؟

— لماذا الاجناس واللغات المختلفة ؟

— لماذا تدين الشعوب المجاورة للعبرانيين بالوثنية ؟

— لماذا اختار الله له شعباً خاصاً ؟

وجد الأقدمون اجوبة لبعض هذه المسائل . فسارت بين الوثنيين عنها اقوال وتقاليد وصلت الى مسامع العبرانيين ، تحدثت عن صلات الآلهة بالبشر . ومن الراهن ان الشعب المختار قد جاء معه من أور ومن حاران بما كان يساور الاجداد في شأن هذه الاسرار والغوامض من خواطر وآراء . الاّ انه كان يتعيّن على العبرانيين ، وقد نشأوا الآن شعباً ، ان يكون لهم على هذه الاسئلة اجوبة تتوافق وديانتهم وتاريخهم ، وهذا ما جاءهم الوحي به .

٢ . رسالة الله

اذا ما قابلنا بين رواية الكتاب وبين الاسئلة المذكورة اعلاه نلاحظ ان الرواية قد اتت لكل سؤال بجوابه . لان العبراني لا يحفل بالنظريات المجردة . فالجواب حادث حسّي قصصي ، كما والسؤال ايضاً .

فاذا ما أردنا ان نخلص الى الرسالة الالهية — التي يجب ان تكون فكرة مجردة عامة تنطبق على كل الازمنة والاجيال، وبالتالي علينا ايضاً نحن ابناء هذا القرن — وجب علينا ان نزيح ستار الحوادث القصصية الحسية لنصل الى الفكرة المختبئة وراءها .

بهذه الطريقة نتوصل الى اكتشاف تعليم رائع ينير منا العقل والفؤاد، ويسبغ على حياتنا معناها ، ويتيح لنا درس الكتاب المقدس درساً شخصياً .

تدور هذه الروايات في جوهرها حول دعوة الله الانسان ، ورفض الانسان تلبية دعوة الله .

١ . الانسان متعلق بالله .

خلق الله كل شيء ، وخلق الانسان ايضاً ، الذي هو اجلّ مخلوقاته واكملها .

اذاً التواضع ، الذي به نرضى بحكم الله ؛ والتفاؤل ، الذي به نرى يد الله فوق كل يد .

٢ . الانسان ذروة الخليقة .

نرى في الروايتين (**ب** و **ج**) ان الله خلق الخليقة المادية لأجل الانسان.
ففي الرواية **ب** نشهد كيف تدرج الله بالخليقة صعداً من كل الكائنات الى ذروتها ، الى الانسان .

وفي الرواية **ج** نشهد كيف ان الانسان كان الداعي لمجيء المخلوقات الاخرى الى الوجود .

اذاً عظمة الانسان (انظر مزمور ٨ او ٧) .

٣ . الانسان وسيط .

هو بجسمه جزء من مملكة الحيوان. الاّ انه بنفسه يتصل بعالم الروح ، يشركه فيه عقله وارادته . انه اذاً يفوق المادة ، ويبلغ الى الله . « لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا » .

٤ . على الانسان ان يشتغل .

« وأخذ الرب الاله الانسان وجعله في جنة عدن ليفلحها ويحرسها » (التكوين ٢ : ١٥) . فليس الشغل اذاً عاقبة الخطيئة الاصلية ، بل عمل طبيعي من اعمال الانسان .

اذاً ضرورة القيام بالواجب المهني .

٥ . يطلب الله من الانسان حصةً من عمله .

يتساءل العبراني : لماذا الاستراحة يوم السبت ؟ فيجيب صاحب الكتاب : لأن الله اشتغل ستة ايام ثم استراح في اليوم السابع . فهل للانسان افضل من ان يحذو حذو الله ؟ عليه اذاً ان يكفّ عن العمل يوماً في السبّة .

لكن الله روح محض ولا جسم له البتة . وفضلاً عن ذلك فلم يعد يوم الراحة سبت اليهود بل أحد المسيحيين .

ــ اذاً موضوع هذه الرسالة وهذا التعليم هو أشمل من تعيين يوم وأبعد وأدقّ . فالله يطلب من الرجل حصةً من عمله. هذه هي الوصية ، انما هي السلطة الروحية التي تحدد كيفية تطبيق الوصية وشكلها الخارجي ، كما ان الاعفاء من ممارستها الخارجية لا يحول دون بقاء الواجب الداخلي ودون قيام مبدإ الوصية .

ــ اذاً علينا ان نفهم وصية الأحد على وجهها الصحيح.

٦ . دعا الله الانسان الى الحياة الاجتماعية .

«لا يحسن بالانسان ان يعيش وحده» .

– هو الله اذاً اراد نظام العائلة ، فأعطى الانسان شريكة حياة ، وأمرهما كليهما بان ينميا ويكثرا .

– ولهذه العائلة وحدة : رجل واحد يتزوج امرأة واحدة . مما يتضمن – على ما سيعلن المسيح يوماً – تحريم الطلاق .

– ومن العائلة ينشأ المجتمع .

– اذاً للعائلة اهمية اولى .

٧ . دعا الله الانسان الى وحدة الحياة معه .

لم يستطع المؤلف ان يفهمنا هــذه الحقيقة سوى بالاستعارات والتشابيه . وليس لدينا اليوم ، كثيراً ما ، من واسطة غيرها لفهمها والتعبير عنها .

« واخذ الرب الاله الانسان وجعله في جنة عدن » .

جعله اذاً في حالة من السعادة ، في واحة وجنان ، لا في صحراء من الحجارة والرمال المحرقة كالتي تاه فيها العبرانيون اربعين سنة .

وهو الله السبب الاول لهذه السعادة .

وسمع آدم ، حتى بعد زلته ، « صوت الرب وهو متمش في الجنة عند نسيم النهار » .

هذه الصداقة بين الله وآدم يوحيها الينــا ايضاً مشهد الله يعرض الحيوانات على الانسان « ليرى ماذا يسميها » .

حضور إلهي حبيب ينعكس نوره على آدم فيعيره فضلاً ومزيداً من الكمال سوف يفقدهما بالخطيئة : هو هذا التوازن الذي نسعى اليه اليوم بجهد جهيد .

فالانسان هو في مأمن من العذاب والموت (توازن قوى الجسم) .

وهو يدرك الحقيقة دون ادنى مشقة (توازن قوى العقل) .

وهو لا يعرف العراك الباطني ، فحواسه طوع ارادته وهي ليست له سبب اضطراب (توازن الصفات الادبية) .

فما على الانسان ، والحالة هذه ، سوى ان يحافظ على هذا الحضور وهذه الصداقة ، فيضمن لنفسه السعادة التامة التي يدعوه الله اليها .

— اذاً انه لمن الاهمية بمكان ان نحيا تلك الحياة الالهية التي ينفحنا الله اياها في العماد .

ونفهم المعنى العميق للمثل الذي ضربه يسوع عن الكنز المخفي والدرّة الثمينة : فما اجدر حياة الله هذه بان نضحي،في سبيل الاحتفاظ بها، كل غال ونفيس !

٨ . لكن الانسان ، عند التجربة ، ردّ عطية الله .

الله هو المولى،والانسان عبده. ولم يكن من بد لطاعة الانسان حتى تتم خطة الله ومقصده .

وكان أن جرَّب الشيطانُ الانسانَ . فكان على الانسان ان يختار بين ارادة الله ومتعته الشخصية ، بين الواجب واللذة . لقد اراد ان يكتسب الحكمة ، معرفة الخير والشر، بقواه وحدها ، فيما ان الله قد انفرد وحده باعطائها . فكانت الخطيئة .

٩ . خسر الانسان الخاطئ نعمة حضوره تعالى وعطاياه .

خسر حضوره تعالى : « فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ... وطرده » . وكانت العاقبة انه اصبح عرضة للعذاب : « لأكثرن مشقاتك »، وللموت : « انك تراب والى التراب تعود » (تكوين ٣ : ١٦—١٩) .

وستثور عليه حواسه : « فانفتحت اعينهما فعلما انهما عريانان ، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر » (تكوين ٣ : ٧ ؛ قابل مع تكوين ٢ : ٢٥) .

١٠ . لم يفقد الانسان مع ذلك دعوته .

ظلّ الانسان حتى بعد زلته مخلوقاً لله ، لا يملأ غير الله فراغه .

لكنه الآن ، وقد عمل الشر وخسر الله ، سيخبر ضعفه . فالارادة اصبحت عاجزة عن بسط سيطرتها على الانسان لتُداوي اختلال التوازن الداخلي فيه .

ويسرد الكتاب بعض نتائج الخطيئة الوخيمة على اشكال ثلاثة قصصية حسية : القتل (قتل قايين هابيل) ، والفساد (وما الطوفان سوى عقاب له) ، والكبرياء (برج بابل) .

وتتجسّم كل هذه النتائج الوخيمة بشكل مدنية نعرفها باسم الوثنية .

لا زالت اذاً دعوة الانسان قائمة ، الاّ انه يبدو عاجزاً كل العجز عن تلبيتها .

١١ . دعوة الانسان هذه لن يستطيع ان يحققها على اكمل وجه الاّ المخلص ، ذلك الذي وعد الله به الانسانَ بعد خطيئته . « اجعل عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها . فهو يسحق رأسك وانت ترصدين عقبه » (تكوين ٣ : ١٥) .

ظلّ هذا القول غامضاً على العبرانيين الى ان تجلّى معناه، يوم تمّ ، بأجلى نور . فالكلام يدور عن المسيح وعن دوره الخلاصي .

ممّا قلنا تتوضح مهمة المسيح . فلقد دعي آدم ، بوصفه رأس البشرية ، الى عقد عهد مع الله يقود بموجبه ذريته كلها الى الاتحاد مع الله وامتلاكه. فكان من زلته ان ترك البشرية دون قوة ودون غاية . ولسوف يستخدم الانسانُ نموّه الجسمي والعقلي لكي يخلق له لذائذ محرّمة ، ويستنبط له المزيد من وسائل المتعة يستعيض بها عمّا فقد . هي الخطيئة الاولى مهّدت لملك الخطيئة في العالم .

مهمة المسيح اذاً ان يذود الشر عن الانسان ويخلصه من عبوديته . هي مهمة تجسده . وهو اذ يصبح بتجسده رأس البشرية الجديد وآدم الثاني ، يصبح ايضاً القدوة والمثال الاعلى لكل انسان يسعى الى الاتحاد بالله وامتلاكه .

لكن الخلل الذي يعانيه في باطنه يحول دون سيره الى الله. والوسائل التي بين يديه لبلوغ غايته هي ما نعرف من ضآلة الشأن. فهو بحاجة الى اكثر من المثل والقدرة. وهو بحاجة الى قوة تسند ضعفه، وتعيد اليه التوازن المفقود. هذه القوة هي المسيح.

— اذاً لا بدّ لنا من وسيلة الى المسيح كي نتحد به فنتقوّى بقوّته، وندفع عنا الشر بمعونته، ونكافح ما أورثتنا اياه الخطيئة من اسبابها، ونلبي ما دعينا اليه من دعوة إبرام العهد مع الله. هذه الوسيلة الى المسيح هي سرّ العماد.

١٢. لكن لابراهيم، وللشعب المختار كله، دعوة خاصة، هي ان يمهد السبيل لمجيء المسيح.

ليس الانسان القديم، انسان الطوفان وبرج بابل، حقيقاً بان يستفيد مما سيأتي به المسيح من نور وقوة. ولذلك فسيعنى الله ذاته بتربيته وتهذيبه واعداده بالتدريج.

وقد اختار الله لهذه المهمة رجلاً هو ابراهيم. وسيكون ابراهيم اباً للشعب الذي من جوفه، بعد مضي حوالى ١٨٠٠ سنة، سيولد المسيح.

الفصل الثاني

تباشير العهد في بدء البشرية (تابع)

٣ . — المسائل العصرية

الكتاب والعلم :

١ - اصل الانسان

ما قول العلم في ذلك ؟ — انه ابتكر ، كافتراض معقول ، نظرية التطور ، اطلقها عامةً حتى على الجسم البشري ، فهو يُرجع اصله الى المادة الموجودة الحية .

ما قول الكتاب في ذلك ؟ — سبق فقلنا ان رواية الخليقة ج ، التي هي الرواية الأقدم ، تصور الله يجبل بيديه الطين جسماً بشرياً سوياً ينفخ فيه نسمة الحياة .

وتصور رواية الخليقة ب ، التي هي الرواية الأحدث ، خلق الانسان على انه عمل روحي بنوع اخص . فالانسان هو من عمل ارادة الله .

ولا ينكر الكتاب ، وقد ساد رواياته عن الخليقة ما ساد من نظريات ، فكرة تطوّر عام في الكائنات . فحسبه ان يظهر يد الله في بدء العالم . فالمادة غير ازلية ، وهي ليست الاّ من خلقه .

ما قول الكنيسة في ذلك ؟ — علينا ان نبحث عن تعليمها في هذا الشأن في الرسائل البابوية الاخيرة .

فهي تارةً تتساهل مع الباحثين تساهلاً كبيراً تترك لهم به المجال رحباً ،

واخرى تتسدّد، لتحول دون تمادي المتمادين وتهوّر المتهورين. ويتلخص موقفها بانها :

آ . لا تنكر نظرية التطور .
ب . تطلب فيها الاعتدال والفطنة .
ج . تجزم بان لله يداً خاصة في خلق النفس البشرية .

٢ – وحدة اصل البشر

ما يقول العلم ؟ – يقول العلماء الانكلوسكسون عامة بان الانسان الحاضر ينحدر من اصول متعددة . اما العلماء الالمان والفرنسيون فيقولون بالاحرى بوحدة الاصل . ومن البديهي ان موضوع الزوجين الاولين ليس موضوع بحث يقع تحت الاختبارات والتجارب .

ما يقول الكتاب ؟ – يتكلم عن رجل واحد منه انحدر كل البشر ، حتى المرأة الاولى .

آ . طريقة خلق المرأة الاولى ، على ما ترويه رواية الكتاب ، إن هي سوى تعبير حسي قصصي عن ان المرأة ليست الاّ عدل الرجل المؤنث، وشبيهه من حيث الروح .

ب . وعلى كل فالكتاب يجزم بوحدة البشر ، وسيجاريه بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (٥ : ١٢–١٩) . ولا غرو ، فبوحدة الاصل البشري يرتبط التعليم عن الخطيئة الاصلية ، وعن الخلاص والعماد.

ما تقول الكنيسة ؟ – « اما نظرية تعدد الاصول البشرية فليس لأبناء الكنيسة فيها من حرية الفكر والاعتقاد ما لهم في نظرية التطور ، اذ لا يستطيع المؤمنون ان يأخذوا بتعليم يقضي اصحابه بوجود آباء في الارض جاؤوا بعد آدم ولم ينحدروا منه بالولادة الطبيعية كما انحدر منه كمن اب اوحد سائرُ البشر قاطبة ، أو بان آدم يشير ويرمز الى عدد من الآباء الاولين . اذ ليس من مجال للتوفيق بين مثل هذه النظرية وبين ما تعلّمه مصادر الحقيقة الموحى بها ، وسلطة الكنيسة التعليمية ، عن

الخطيئـــة الاصلية ، من انها أتت من خطيئة شخصية اقترفها آدم فانحدرت منه عن طريق الولادة الى جميع البشر ، فهي في كل انسان ، وهي لكل انسان » (من رسالة بيوس الثاني عشر Humani generis) .

٣ – الطوفان

ما يقول العلم ؟ — ليس من الممكن ان يحدث في كل الارض ، وبالنسبة الى كل البشر .

ما يقول الكتاب ؟ — لا يبغي الكتاب مما روى سوى ان يشير الى ما انزل الله من عقاب ، والى ما اظهر من رحمة . فالمذنبون قد قوصصوا . الاّ ان رحمة الله قد تجلّت في الذين « خلصوا » . ولن يكون فيما بعد من طوفان ، لأن الله أزمع ان يخلص الانسان وان على كره منه ، وقد قطع لنوح عهداً بذلك (تكوين ٦ : ١٨) .

٤ — عمر الاباء الاقدمين

ما يقول العلم ؟ — كانت مدة حياة الانسان في ازمان ما قبل التاريخ أقصر ، ولا شك ، من مدة حياة الانسان في يومنا الحاضر .

ما يقول الكتاب ؟ — قصر الحياة او طولها في نسبة مطّردة مع تزايد الشر او تناقصه . والامر كذلك في شريعة موسى ، وحتى في الوصايا العشر : اكرم اباك وامك فيطول عمرك .

لا يبغي الكتاب اذاً من اقواله تسجيل الاحصاءات الدقيقة والارقام المفصلة . فما كان طول العمر عند الاقدمين الاّ ثواباً من الله ومكافأة لفضيلة وبرّ .

الخلاصة : مبادىء تفسير الكتاب

مبدأ الوساطة البشرية . — لا يأتي الله الينا عادة الاّ عن طريق انسان . وليس بأدل على ذلك من سرّ التجسد ، وسرّ الافخارستيا . وما الكتاب المقدس سوى كلام الله اتانا عن طريق كلام الانسان .

فعلينا ، لكي نكتشف رسالة الله ، ان نتعرف اولاً الى ثوبها البشري ، حتى اذا خلعناه عنها تراءت لنا صورة الله . ولن نجد افكار الله الاّ اذا تجاوزنا اليها الواقع البشري الحسّي .

مبدأ التفرقة . — علينا ان نفرّق بين الايمان والعلم ، فلا نخلط فيما بينهما ، ونحترم حدود كل منهما . الاّ ان الوحي قد يطلعنا ايضاً على حقائق تاريخية او علمية . فعلينا عندئذ ان نقبل بها قبولنا لغيرها مما يطلعنا عليه من حقائق .

يحمل الكتاب المقدس الى الناس رسالة دينية في إطـــار من التاريخ والتعليم ، فيطبقها مباشرةً على الذين يعيشون في الزمان الذي كُتب فيه ، دون ان يستثني مع ذلك منها اولئك الذين سيأتون فيما بعد. وعلى هذه الصورة تخبرنا روايتا الخليقة المذكورتان آنفاً عمّن خلق العالم والانسان .

اما العلم فانه يبحث في تسلسل الاسباب التي أتت بالانسان من الوجود. وهكذا لن نقول ان العالم خُلق في ستة ايام من ٢٤ ساعـــة ، او في ست حقب من الزمن نجهل طولها ، ولا ان النور ظهر قبل الشمس . فذلك من شأن العلم ، وعليه ان يخبرنا عن المراحل التي مرّ بها العالم منذ بدايته .

الكتاب وعلم النفس :

١ - مراتب الاعمال الانسانية

كل مرتبة تسجّل تقدماً على سابقتها ، وتحمل طابع الخالق : الجودة والصلاح .

١ . مرتبة المادة. — « ورأى الله ذلك انه حسن ».سوف تترك الخطيئة الاصلية اثرها من البلبلة والاضطراب ، الاّ انها لن تستطيع ان تفسد الطبيعة البشرية في جوهرها الصالح .

— فالجسم ، وما اليه من الصحة والعناية والجمال ، صالح جيد .

— ليست التضحية والاماتة والتقشف للكسر بل للتقويم ، ليست للهدم بل للبناء ، ليست غايةً تطلب لذاتها بل وسيلة عابرة تستخدم لغاية.

٢ . مرتبة الروح . – اننا بالمعرفة والحب نشبه الله. وهذه المرتبة لا تتقابل مع مرتبة المادة وتسايرها في مستواها، بل تداخلها وتحييها ، فتغيّر من نوع اعمالنا .

فالوسيلة الطبيعية لبقاء النسل هي ، لدى الانسان والحيوان على السواء ، اتحاد الجنسين . الاّ ان عمل الاتحاد هذا ، الذي هو عمل مادي ، يكتسب عند الانسان معنى روحياً ، وذلك بواسطة الحب الذي يداخله ويحييه .

٣ . مرتبة المحبة . – انها تسمو بالحب الى ما فوق الطبيعة، الى مرتبة ليست من مراتب البشر ، لأنها من عالم الله . اذ ان الطبيعة البشرية لا تقتضي الاّ مرتبة المادة ومرتبة الروح .

آ . ليس من تنافر وتضاد بين مراتب الطبيعة ومرتبة المحبة . فكل منهما من نوع مختلف ، وعلى صعيد آخر .

ب . في الطبيعة البشرية حاجة تنتظر ما يسدّها ، وفراغ ينتظر ما يملأه . ولن يسدّ الحاجة ويملأ الفراغ الاّ الله ، بمرتبة المحبة .

ج . لا تكمل الطبيعة البشرية اذًا إلاّ عندما تبلغ مرتبة المحبة ، مرتبة ما فوق الطبيعة . وبدونها يظل الانسان انساناً ، دون ان لن يبلغ مع ذلك كمال الانسان وتمامه .

دعوة الانسان اذًا ان يتحد بالله ويمتلكه ، في مرتبة المحبة . هي دعوة شخصية يدعو بها الله الانسان فردًا فردًا ، ليرفعه الى مرتبة المحبة ، ليحقق فيه الاتحاد .

بمحبة الله نبلغ الى الله الذي هو محبة .

٢ – الانسان والخليقة المادية

حبّب الله الخليقة الى الانسان ووضعها في خدمته . الاّ انه كلما استخدمها في سبيل شهواته المنحرفة انحرفْ بها عن الغاية التي حددها الله لها . وبذلك ينقلب الانسان من وسيط يرتفع بهـا الى الله الى مجرّب ينصرف بها عنه .

هل على الانسان ، والحاجة هذه ، ان يكفّ عن كل سعي في سبيل التقدم ، الذي يهيئ الخليقة تهيئة تتيح له المزيد من المتعة والهناء والرفاهية ؟

وهل يستطيع الانسان ان يعمل على تغيير معالم الطبيعة ليسخّرها في خدمته على اوسع نطاق ؟

الى اي حد يستطيع ان يعمل على استثمار الطبيعة استثمارًا يوفّر به لنفسه كل راحة ورخاء ويكفيها كل مشقة وعناء ؟

ليست قوة الذكاء وقوة الجسم وأية قوة اخرى بصالحة الاّ اذا ظلّت في حدودها ، متعلقة بالله مقيدة بوصاياه . والاّ انقلبت الى تيار يجرف ويخرب . فهي قدرة الانسان الخاطئ تحمل معها قصاصها .

اما الانسان المتقي الله ، فان عليه ان ينمي ذكاءه فيزداد علماً ومعرفة ، ويزداد للطبيعة اكتشافاً واستخداماً دون ما حرج ، اذ لا حدود لسعيه وعمله ، طالما هو لا يزيغ بالخليقة عن سبيلها ، ولا ينحرف بها عن غايتها .

٣ ـ مأساة الانسان

آ . العدو في داخل الحصن . ـ بتزايد الخلل في الانسان تنقلب طبيعته الى مصدر تجربة وموطن زلل. فللخطيئة في داخله انصار عليه واعوان.

ولذا فليس للشيطان من عمل مباشر في تجربتنا الاّ نادرًا . حسبه ان يترك الظروف ، والناس ، والطبيعة ، يعملون عملهم. ففينا من مواطن الضعف ومثار الاهواء واسباب الزلل ما يعرّضنا عند اقل فرصة للسقوط .

ب . اسمان لمسمى واحد . ـ الحقيقة والخير اسمان لمسمى واحد . فالانسان كلما اقبل على الخير اقبل على الحقيقة وتمهدت لـه سبلها . وبالعكس كلما ابتعد عن الحقيقة قلّ اقباله على الخير .

ج . نحن امام اختيار : الله او الذات. ـ « من وجد نفسه خسرها». اي من نصب ذاته غاية لذاته فلن يستطيع ان يجد الله . فيبقى بذاته الناقصة الفارغة ؛ لأنه بالله وحده ، غايته الحقيقية ، يملأ فراغه ويكمل شخصيته.

مأساة الانسان انه يشعر بدعوة تأتيه من اعماقه ثم يعجز لضعفه عن تلبيتها . هلا دعا الله الى عونه ! هلا ارتفع الى الله ليسدّ ما فيه من شوق ! أوَلا يذهب ، يا ترى ، الى القول بان شوقه هذا مفتعل ، وبأنه هو ذاته سببه ومصدره ؟

قضية ابدية قامت لها دائماً اجوبة مختلفة ، من اشيل وسوفوكل في القرن الخامس قبل المسيح ، الى مالرو ، وجيد ، وسارتر ، وكلودل ، وغيرهم في هذا العصر .

للمطالعة

الطوفان في الكتاب المقدس وفي التقاليد البابلية

هذا جدول(وضعه Riciotti, *Histoire d'Israël*,, t. I, p. 184) يظهر فيه اوجه الشبه والقرابة بين رواية الكتاب المقدس ورواية التقاليد البابلية .

ملحمة جلجامش (لوحة ١١)	سفر التكوين (٦ و٧)
٢٣ يا رجل شوروبك بن اوباراتوتو !	وقال الله لنوح
٢٤ اهدم بيتك واصنع منه سفينة .	اصنع تابوتاً من خشب قطراني
٢٥ اترك الاموال واسعَ اثر الحياة !	
٢٦ ارم بالخيرات وخلص نفسك !	
٢٧ أدخل كل زرع حياة الى داخل السفينة .	ومن كل حي ، من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل التابوت (٦ : ١٩)
٢٨ السفينة التي عليك ان تبنيها .	
٢٩ فلتكن قياساتها بالضبط :	كذا تصنعه :
٣٠ وليواز طولها عرضها .	
٣١ وضعها على ابو	
. . . .	
٥٧ ورسمت هيكلها في اليوم الخامس .	

٥٨ سطحها (؟) ايكو واحد؛ علو جوانبها عشرة كار .

٥٩ دائرة سقفها توازي (؟)عشرة كار .

٦٠ رسمت هيكلها الامامي : رسمته .

٦١ ورفعت فوقه ستة طوابق .

٦٢ قسمت طوله سبع مرات .

٦٣ داخله قسمته تسع مرات .

٦٤ نصبت في وسطه اسافيد (لشق)؟ المياه ؟

٦٥ انتقيت مجذافاً وهيأت ما يلزم .

٦٦ ستة سار من القار سكبت في الفرن .

٦٧ ثلاثة سار من الزفت ... في الداخل .

. . . .

٨١ كل ما كان لديَّ ادخلته فيها .

٨٢ كل ما كان لدي ادخلته – فضة .

٨٣ كل ما كان لدي ادخلته – ذهب .

٨٤ كل ما كان لدي ادخلته – زرع حياة .

٨٥ ادخلت في السفينة كل عائلتي واقربائي

٨٦ حيوانات الحقول ، مواشي الحقول ، العمال ، ادخلت الكل .

. . . .

٩٤ دخلت السفينة واغلقت الباب .

٩٥ الى ملاّح السفينة بوزور امورو ،

٩٦ اسلمت قصر (المركب) مع كل امواله.

٩٧ واذ كان ضوء النهار يلمع ،

٩٨ ارتفع من اعماق السماء غيم اسود .

ثلاث مئة ذراع طوله وخمسون ذراعاً عرضه وثلاثون ذراعاً سمكه . وتجعل طاقاً للتابوت ، والى حد ذراع تكمله من فوق . واجعل باب التابوت في جانبه .

ومساكن سفلى وثواني وثوالث تصنعه (٦ : ١٥ – ١٦)

واجعله مساكن (٦ : ١٤)

وخذ لك من كل طعام يؤكل (٦ : ٢١)

واطله من داخل ومن خارج بالقار (٦ : ١٤)

ودخل نوح التابوت هو وبنوه وامرأته ونسوة بنيه معه من ماء الطوفان ، ، ومن البهائم الطاهرة ومن البهائم التي ليست بطاهرة ، ومن الطير وجميع ما يدب على الارض .

دخل التابوت اثنان اثنان الى نوح (٧ : ٧ – ٩ ؛ ثم ١٣ : ١٥)

واغلق الرب عليه (٧ : ١٦)

في ذلك اليوم تفجرت عيون الغمر العظيم

٩٩ وكان اداد يزأر فيه ؛	
١٠٠ شلاّت وحميش يمشيان امامه ،	
١٠١ يمشيان كالمنادين في الجبال والبلاد .	
١٠٢ السد ، رفعه نرجال .	وتفتحت كوى السماء (٧ : ١١)
١٠٣ نينورتا تقدم وفتح السد .	
١٠٤ والانونوكا حملوا المشاعل ؛	
١٠٥ اضرموا النار بمشاعلهم في البلد .	
١٠٦ بلغ غضب اداد السماء ؛	
١٠٧ تحول كل نور الى ظلام .	
١٢٨ ستة ايام وليال .	
١٢٩ راح الهواء ، الطوفان ؛ العاصفة هدمت البلد .	وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة (٧ : ١٧)
١٣٠ عندما جاء اليوم السابع ، العاصفة ، الطوفان انكسر في المعركة ،	وكثرت المياه جداً جداً على الارض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء
١٣١ التي شنها ، كجيش .	كلها، وعلت المياه خمس عشرة ذراعاً على الارض .
١٣٢ توقف البحر ، سكت الإعصار ، هدأ الطوفان .	وتغطت الجبال (٧ : ١٩ — ٢٠)
١٣٣ نظرت الى الوقت : كان السكوت سائداً .	وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسين يوماً (٧ : ٢٤)
١٣٤ صار كل الجنس البشري طيناً .	ومحا الله كل قائم كان على وجه الارض ،
١٣٥ كالسطح صارت البرية .	من الناس والبهائم والدبابات وطير السماء فانمحت من الارض (٧ : ٢٣)
١٣٦ فتحت الكوة فوقع النور على وجهي ؛	وفتح نوح كوّة التابوت (٨ : ٦)
١٣٧ ثنيت الركبتين وجلست ابكي ؛	
١٣٨ سالت دموعي على خديّ .	
١٣٩ طفتُ الناحية وحدود البحر .	
١٤٠ على بعد ١٢ ارتفعت جزيرة .	
١٤١ على جبل نيزير حطت السفينة .	
١٤٢ امسك جبل نيزير بالسفينة ولم يتركها تعوم .	واستقر التابوت في الشهر السابع في اليوم السابع‌عشر منه على جبل اراراط(٨ : ٤)
١٤٦ ولما جاء اليوم السابع ،	وكان بعد اربعين يوماً ان فتح نوح كوة

١٤٧ اخرجتُ الحمامة واطلقتها .
١٤٨ فذهبت الحمامة ورجعت :
١٤٩ واذ لم تجد مكاناً تحط عليه رجعت .
١٥٠ واخرجتُ سنونو واطلقته ؛
١٥١ فذهب السنونو ورجع :
١٥٢ واذ لم يجد مكاناً يحط فيه رجع .
١٥٣ واخرجت غراباً واطلقته ؛
١٥٤ فذهب الغراب ، فرأى ان المياه تنشف.
١٥٥ فأكل ، وتمرغ ، ونعق ، ولم يرجع .

١٥٦ فأخرجتُ الكل الى الرياح الأربع ، وقدمت ذبيحة .

١٥٧ وهيأت تقدمة على قمة الجبل ؛
١٥٨ ورتبت سبع مباخر وسبعة ،
١٥٩ وسكبت والارز والمر في اكوابها .
١٦٠ فاستنشق الآلهة الرائحة .
١٦١ استنشق الآلهة الرائحة الزكية .
١٦٢ واجتمعوا على مذبح الذبيحة كما يجتمع الذباب .

التابوت التي صنعها واطلق الغراب . فخرج وجعل يتردد الى ان جفت المياه عن الارض . ثم اطلق الحمامة من عنده لينظر هل غاصت المياه عن وجه الارض. فلم تجد الحمامة مستقراً لرجلها فرجعت اليه الى التابوت ، اذ كانت المياه على وجه الارض كلها . فمد يده فأخذها وأدخلها اليه الى التابوت . ولبث ايضاً سبعة ايام أُخر وعاد فأطلق الحمامة من التابوت . فعادت اليه الحمامة وقت العشاء وفي فيها ورقة زيتون خضراء فعلم نوح ان المياه قد جفت عن الارض . ولبث ايضاً سبعة ايام أخر ثم اطلقها فلم تعد ترجع اليه ايضاً (٨ : ٦ – ١٢) .

فخرج نوح وبنوه وامرأته ونسوة بنيه معه وجميع الوحوش والدبابات والطيور وكل ما يدب على الارض باصنافها خرجت من التابوت .

وبنى نوح مذبحاً للرب ، واخذ من جميع البهائم الطاهرة ، ومن جميع الطير الطاهرة فأصعد محرقات على المذبح .

فتنسم الرب رائحة الرضى (٨ : ١٨ – ٢١)

جدول بتاريخ العهد القديم ←

الخطوط الكبرى لهذا التاريخ	تاريخ الاحداث	الكتب المقدسة التي ترويها	التاريخ العالمي المعاصر
التوطئة : خطة الله – الخليقة – الخطيئة الاصلية وعواقبها	الزمان مجهول	سفر التكوين	٢٧٠٠ – ٢٦٠٠ اهرام مصر
١ . تهيئة العهد القديم – ابراهيم والآباء – اقامة العبرانيين في مصر	١٨٠٠–١٣٠٠	سفر التكوين	١٧٠٠ : حموراني في بابل
٢ . عقد العهد القديم – موسى	الخروج حوالى ١٢٢٥	الخروج الاحبار العدد تثنية الاشتراع	نزول الفلسطينيين على شواطىء كنعان

تعليق على هذا الفهرس : اكتفينا بذكر اهم التواريخ ، كما اكتفينا بذكر الكتب المقدسة التي تروي تاريخ العهد . وفي الكتاب فهارس اخرى تتم هذا الفهرس ، لا سيما في ما يتعلق بمملكتي اسرائيل ويهوذا ، وبالانبياء وكتب الحكمة .

الخطوط الكبرى لهذا التاريخ	تاريخ الاحداث	الكتب المقدسة التي ترويها	التاريخ العالمي المعاصر
٣ . العهد القديم في الحياة			
١ . التحقيقات الاولى			
آ . العهد في خطر :	١١٨٥-١٠٣٥	سفر يشوع بن نون	١٢٠٠-١٠٠٠ غزو
يشوع بن نون		سفر القضاة	الدوريين لبلاد اليونان
القضاة			
ب . توطد اركان العهد		سفرا	
شاول	١٠٣٥-٩٣٥	صموئيل	
داود		الاول للاخبار	
سليمان		الاول للملوك	
٢ . ازدهار العهد		الثاني للملوك	
آ . الانبياء من ايليا		الثاني للاخبار	
حتى ارميا يشرحون العهد		اشعيا	
	٩٣٥-٥٨٦	ارميا	
ب . الألم سبيل العهد :		حزقيال	امبراطورية الفرس
الجلاء	٥٨٦-٥٣٨	القسم الثاني من	
		اشعيا	
ج . العهد في الصبر			البرتينون في القرن الخامس
والانتظار			اسكندر في القرن الرابع
– الرجوع من الاسر	٥٣٨		من القرن الثالث الى الاول
– الاضطهاد	١٦٨	الاول والثاني من	فتوحات روما
– انتظار المسيح		المكابيين	



تهيئة العهد

مقدّمة

التكوين ١٢ الى ٥٠ . — هذه الفصول من سفر التكوين هي من النوع التاريخي . الاّ انه يتعيّن علينا ان لا نسهو عن انها من النوع التاريخي الشعبي .

يجدر بنا اذًا ان لا نرى في الاحاديث والحوارات شبه تقارير او محاضر، مما لا نجده حتى في المؤرخَين توسيديد وتيت ليف ذاتهما. ولنذكر ان الراوي في المؤلف قد سبق الاديب فألبس روايته ثوباً من الصور نسجته له المخيلة وحدها .

شريعة حمورابي . — عثرت بعثة مورغان الاثرية في سوس عام ١٩٠١ على نصب من الصوان علوّه متران وخمسة وعشرين سنتيمتراً يحمل في اعلاه صورة للاله شَمَش وهو يستقبل حمورابي الماثل بين يديه. اما باقي النصب فقد انقسم الى اعمدة ، وانقسمت الاعمدة بدورها الى مربّعات دوّن فيها ، بخط واضح ، بعض المراسيم التشريعية ، في شتى الشؤون .

ترجم الاب شَيْل (Sheil) الكتابة عام ١٩٠٢. والنصب موجود الآن في متحف اللوفر .

اهميته في انه يطلعنا على الافكار والعادات التي كانت سائدة في بلد ابراهيم ، في الزمان الذي عاش فيه . أورد منه Ricioctti مقتطفات واسعة في كتابه : *Histoire d'Israël*, t. I, p. 245 .

الشريعة السومرية . — هي بالحقيقة اقسام من الشريعة ، لا الشريعة كلها . وقد عثر على هذه الاقسام في حفريات نيبور ، كما وعثر على

لوحات تتضمن الثلث من شريعة سومرية . والشريعة هذه تعزى الى ملك من سلالة ايسين (Isin) الذي كان سلف حمورابي . وقد نشرت ترجمتها عام ١٩١٥.

قوانين اشنونا (Eshnunna). — هي سلسلة من قوانين نشرت حوالى اربعين سنة قبل شريعة حمورابي . وهي تتعلق بالعائلة والعبيد ، وبالأشياء المفقودة والمبيعات . وقد كشفت عنها حفريات في العراق عام ١٩٤٨ .

قوانين اشورية . — هي لوحات اكتشفت في آشور تخص على الارجح مجموعات شتى يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر ، تتضمن الفكرة الادبية والشرعية السائدة في مستهل الألف الثاني .

عقود حورية (Hurrites) . — هي لوحات اكتشفت في نوزي القديمة (Nuzi) في اعوام ١٩٢٥ — ١٩٣١ ، تدلي الينا بشهادات هامة عن حياة العائلة وحياة الاشغال عند الحوريين في القرن الخامس عشر . والحوريون شعب ذو قربى بالشعوب التي عرفها آباء اسرائيل في ما بين النهرين . ولذا فاللوحات هي مصدر من التاريخ على غاية من الاهمية .

الفصل الأول

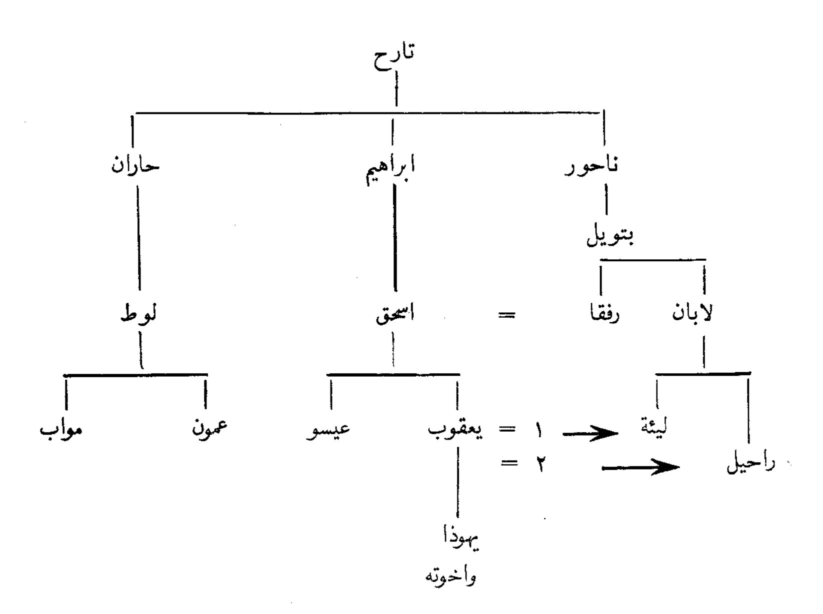
الآباء

العائلة :

ينتسب ابراهيم الى عشيرة تارح ابيه .

والعائلات التي تؤلف هذة العشيرة هي عائلات اولاده آران ، وناحور ، وابراهيم .

وستنفصل عائلات منها فيما بعد عن الاصل فتؤلف عشائر غيرها ، كعشيرة ابراهيم ، وعشيرة لوط ، كما هو مبيّن في الجدول التالي :



الحقبة ١٨٥٠-١٥٨٠ :

عاش ابراهيم حوالى عام ١٨٥٠
استوطن يعقوب في مصر حوالى عام ١٧٠٠
بدء اضطهاد العبرانيين في مصر حوالى عام ١٥٨٠

المنشأ والاصل :

ينتسب الآباء الى جماعة العبرانيين ، الذين تسميهم الكتابات المسمارية « هابيرو » . وتنتسب جماعة العبرانيين هذه بدورها الى مجموعة من الشعوب تسمى الشعوب الآرامية .

يذكر الكتاب المقدس مدينة اور في بابل على انها نقطة منشأ وانطلاق حياة الآباء .

اور والهتها . — اور ، وهي اليوم مُغير ، ترتقي الى أبعد عهود التاريخ . وقد كانت عاصمة سلالة مالكة هي السلالة الثالثة من اور (حوالى ٢٠٩٠ — ١٩٦٠) .

قامت اور قرب الخليج الفارسي ، الذي كان ينتهي على مسافة بعيدة من شاطئه الحاضر . وكان لكل من الفرات ودجلة مصبّه فيه ، ولم يكن من اثر لشط العرب .

وكانت اور مركز عبادة للاله سين (Sin) زوج نين غول Nin-Gol ومعناها السيدة العظيمة . فكانوا يمثلون الاله على شكل هلال ، وكان له في اور هيكل شهير وبرج .

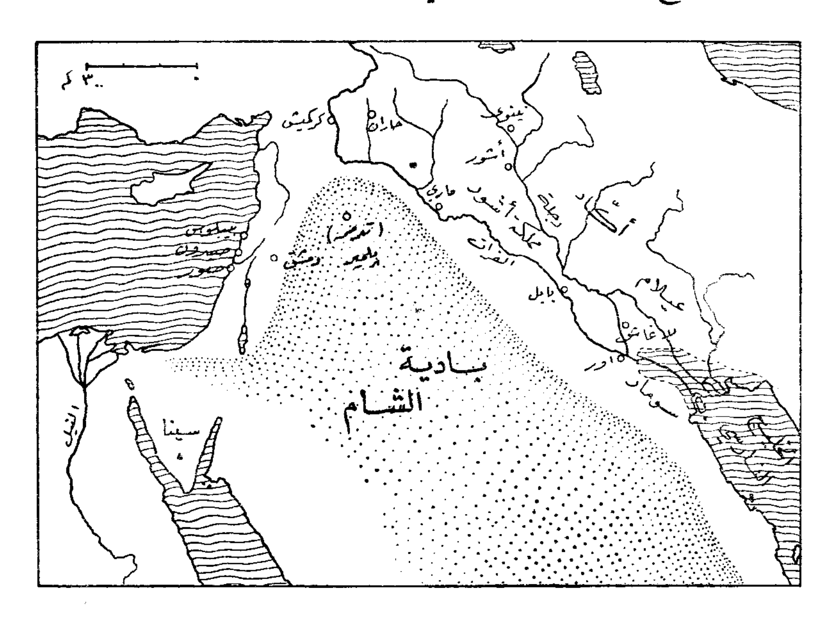
ونراه في نشيد رسمي متشحاً بالقدرة العظمى :

عندما يدوّي صوتك في السماوات
يخرّ الإجيجي ساجدين .
وعندما يدوّي صوتك في الارض
يقبّل الانوناكي الارض .

ومن اور انتشرت هذه العبادة في بلاد الكلدان . وقد تكون اندمجت في حاران بعبادات قمرية اقدم . ومن حاران انتقلت الى سوريا وفينيقيا .

بابل . — كان الخليج الفارسي يأهله في القديم السومريون . وجاءت حوالى عام ٣٠٠٠ قبائل ساميّة هي جماعة الاكاديين فانضموا الى السومريين شاء هؤلاء ام أبوا ، واعتنقوا مدنيتهم . الاّ ان اللغة الاكادية حلَّت في التداول اليومي والمعاملات التجارية محل السومرية الاكادية التي ظلَّت لغة الكهّان والعلماء .

وفي الألف الثالث حكمت سلالة اغاده (Agadé) البلاد السومرية الاكادية مع تفوّق للعنصر السامي .



خارطة الشرق القديم

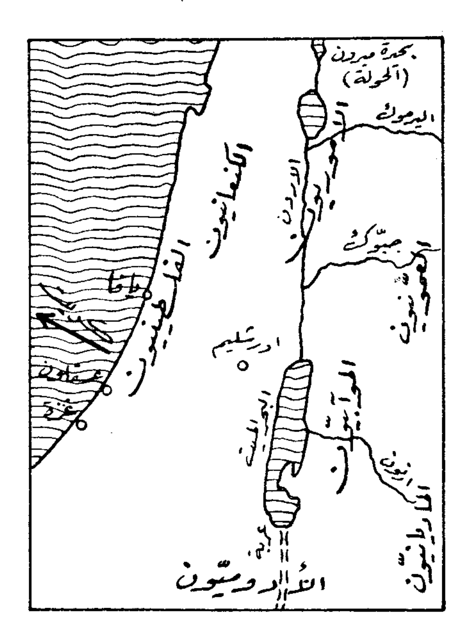
وفي عام ١٨٣٠ تولت الحكم سلالة ساميّة تعرَف بالسلالة البابلية الاولى .وكان اشهر ملوكها حورابي (١٧٢٨ — ١٦٨٦) ، فقام بمشاريع

عظيمة للريّ، ووحّد بين القوانين السومرية والاكادية .

بسط حمورابي سلطانه على كل بابل ، الى الفرات المتوسط في الشمال الغربي ، والى اشور في الشمال حتى حدود ارمينيا .

هجرات عشيرة ابراهيم :

نزحت قبيلة تارح الى حاران في ما بين النهرين دون ان يخبرنا الكتاب بشيء عن الطريق التي سلكتها . وفي حاران سمع ابراهيم نداء الله .



ومن حاران انحدروا الى غربي الاردن ، فعبروا النهر قبالة شكيم ودخلوا سهول السامرة قبل ان يتوجهوا الى الجنوب .

ومن حبرون صعدوا الى الشمال ، ثم انحدروا الى مصر .

ارض كنعان :

ينحدر سكان هـــذه الارض من ثلاثة اصول هي :

— الكنعانيون ، وهم ساميون استوطنوا حوالى عام ٣٠٠٠ ارض كنعان ، التي هي اليوم فلسطين مع الجزء الجنوبي من فينيقيا .

— الاموريون ، انضموا الى الكنعانيين حوالى عام ٢٥٠٠ . وكانوا اولاً يعيشون عيشة البداوة ، ثم تحضروا . وقد اسسوا فيما بعد دولة ماري على الفرات المتوسط ، وانشأوا حوالى ١٨٣٠ السلالة البابلية الاولى .

ـــ الحوريون ، انحدروا من جبال ما بين النهرين ، وزحفوا في القرن التاسع عشر الى ارض كنعان .

كانت هذه الرقعة من الارض في كل وقت ممرًا للشعوب .

وكان لمدنية ما بين النهرين اثرها في كنعان حتى عام ١٩٠٠

آنذاك كانت مصر ، وهي تحت سيطرة السلالة التيبية الثانية عشرة ، تملك على الساحل . ولسوف تمتد سلطتها بعد قليل الى داخل البلاد حتى ما وراء الشام . الاّ انها منذ ما استولى الرعاة (Hyksos) على الحكم فيها عام ١٧٥٠ فقدت بسرعة هذه السيطرة الواسعة (١٧٢٠) .

قوام العشيرة :

كيف كانت حياة الآباء ؟ تتيح لنا الاكتشافات الاثرية الحديثة ان نجري مقارنات كثيرة بينها وبين ما يرويه الكتاب عن عادات ذلك الزمان . فنستدل من هذه المقارنات على ان النصوص المقدسة التي روت لنا حياة الآباء قد جاءت بما ينطبق على الواقع ، لا بما توحيه المخيلة او تستمدّه من زمان متأخر .

لم يعش الآباء منعزلين بل في جماعة . فكانت عشيرة ابراهيم تضم نساءه واولاده ، وعائلات اولاده فيما بعد . وبجانب هذه المجموعة من العائلات كان يعيش عدد كبير جدًا من الخدم والحشم .

وكان على رأس العشيرة عائلة ابراهيم التي تتوارث السلطة اباً عن جد . ولنذكر بهذا الصدد كلام الله الى اعقابه : « انا إله ابراهيم واسحق ويعقوب » . فرأس هذه العائلة هو رأس العشيرة كلها ، له عليها السلطان المطلق .

كان على الرجال ان يسهروا على سلامة القبيلة ويقوموا بأودها . وعندما ذهب اربعة ملوك بلوط الى الأسر جمع ابراهيم للحال ٣١٨ خادماً ولحق بالغزاة (التكوين ١٤ : ١٢ـــ١٤) .

وكان على النساء ان يعنين بالشؤون الداخلية ، فيوزعن الاشغال فيما

بين الخادمات والجواري ، ويهيئن الطعام ، ويغزلن صوف الخراف او شعر الابل يصنعن منه خياماً او ملابس .

اعمال العشيرة :

ظلّ الآباء ، ما عاشوا في حاران ، رعاة غنم . فلما نزحوا الى كنعان تلاءموا مع الوسط فأخذوا يربّون البقر ، وربما الابل ايضاً .

الاّ ان اشتغالهم في تربية المواشي قد ساعدهم على التطور الاجتماعي ، وعلى الاستقرار في الارض ، وحولهم من بدو الى نصف متحضرين ، فبدأوا يفلحون . وحَلِمَ يوسف بحزمات القمح !

كان لاقتناء المواشي وتربيتها أثره في حل الآباء وترحالهم ، اذ كانوا رهينة الجو والمطر . الاّ ان ما كانوا عليه من حالة البداوة ، وما كانت عليه البلاد من الحالة السياسية ، قد حال دون ان يقصدوا اماكن المدن والصحاري المقفرة على السواء .

كانت حياتهم حياة بداوة ، يمكثون في الاراضي الصالحة لمواشيهم حيث العشب والماء ، حتى اذا ما نضب الماء او جفّ العشب رحلوا بخيامهم وما فيها ينتجعون المراعي الخصبة والمياه الغزيرة . واذا ما طاب لهم المقام في بقعة من الارض اطالوا مكوثهم فيها حتى لتصبح لهم مركز اشعاع يذهب منه من وقت الى آخر مبعوث لهم الى البعيدين من رعاتهم يحملون الاخبار منهم واليهم . في مهمة كهذه ارسل يعقوب يوماً ابنه يوسف (تكوين ٣٧ : ١٤) .

يضربون الخيام لمركزهم هذا على مقربة من عين ماء . فالماء ، في الجوّ الملتهب ، مسألة حياة وموت للرعيان الرحّل . ولذا فالبدوي يرى في الماء يداً من الله بيضاء تمتد اليه . وكان الماء دائماً سبب منازعات عنيفة بين الرعاة .

وهذا ما حدث بين رعاة ابراهيم ورعاة ابيمالك (تكوين ٢١ : ٢٥) .

تتلثم الفتاة بحضور الغريب (تكوين ٢٤ : ٦٥) .

الضيافة والقرى عادة جارية . فالضيف مكرَّم حيثما حل . وقد تجرّ اهانة الضيف الى حرب . واول واجبات المضيف نحو ضيفه ان يأتيه بمطهرة ماء ليغتسل من تراب الطريق ويرطب قدميه . ثم يقدّم له الطعام . ولا يعرض الضيف على مضيفه حاجته الاّ بعد مراسيم الضيافة هذه . ولذا فلا يسبقها بالكلام الاّ من كانت له مهمة خطيرة جاء لأجلها (تكوين ٢٤ : ٣٣) .

الحياة الدينية في العشيرة :

الصلاة . — صلاة الآباء هي بوجه عام — اذا ما استثنينا صلاة ابراهيم لاجل سادوم — صلاة من يخدم مصلحة ويبغي نفعاً . وها ابراهيم يسأل الله جواباً على وعد من الله رآه غامضاً : « يا رب ، ماذا تعطيني » ؟

الاّ ان أدلّ مثل على هذه الروح مثل يعقوب . فهو اذ كان في طريقه الى حاران ليتخذ له امرأة منها نام ذات مساء في بيتَ ايل فرأى رؤيا ، فقدّس بعدها المكان . وقبل ان يواصل طريقه تلا هذه الصلاة : « ان كان الله معي ، وحفظني في هذا الطريق الذي انا سالكه ، ورزقني خبزًا آكله وثوباً ألبسه ، ورجعت سالماً الى بيت ابي ، يكون الرب لي إلهاً » (تكوين ٢٨ : ٢٠—٢١) .

هذه الشروط لم يفرضها الله بل الانسان . فهي صفقة يعقدها الانسان مع الله ، كالندّ مع الندّ . فالعاطفة الدينية لا تزال بدائية خشنة . نستثني من هذا الحكم ابراهيم . فان ما يظهره من العاطفة الدينية العميقة ينمّ عن شخصية الرجل الفذّة.

علينا ، لكي ندرك مبلغ ما بلغه الله في النفوس من عمل ، منذ ابراهيم حتى المسيح ، ان نقابل بين صلاة يعقوب هذه وبين صلاة « ابانا » فنفهم عندئذ مدى قدرة الله وصبره .

العبادة. — ليس هناك ما يشبه العبادة بمعناها المسيحي. فالعبادة ايضاً هي رهن الزمان والمكان. والفكرة السائدة في عبادة ذلك الزمان هي فكرة الحياة والخصب. فمن الاله يجري الى الناس والاشياء تيار الحياة والخصب. ولذا فالاله حقيق بان ينال حصة مما كان له الفضل في انتاجه. وهذه الحصة تكون ايضاً عربون رعايته ومدعاة عطفه.

ولذا فالتقدمات للاله هي من محصولات الارض والمواشي: من الحنطة، والزيت، والحيوانات، والاولاد. وقد خطر لابراهيم ان يفعل ما كانت تفعله القبائل المجاورة: ان يقدّم ابنه. فلزم ان يمنعه الله عن ذلك.

وكانت المذابح على شكل نصب من الحجر او تلة من التراب. وافضل الاماكن لاقامة الذبائح الاماكن العالية والمرتفعات، اذ يشعر المرء فيها بانه اقرب الى الله. وكذلك الاماكن الخضراء كالواحات والينابيع اذ تكون يد الله فيها اظهر للعيون وأجلى.

لا نرى في كل ذلك لطبقة الكهنة من وجود، لأن رئيس العشيرة هو الذي يقدّم الذبيحة، لا فرق بين ابراهيم وملكيصادق. فالكل سواء، ورأس القبيلة هو ممثلها. فهو يحكمها، ويدافع عنها، ويسهر على حياتها، ويمثلها لدى الله. ولم يكن، حتى زمان موسى، من وظيفة كهنوتية ينفرد بها اناس مختارون يتقلدون فيها سلطة خاصة. فرئيس القبيلة هو الكاهن، والحاكم، والقائد، في آن واحد.

وليس من استعدادات خاصة لتأدية العبادة. ومع ذلك فان لنا في مسلك يعقوب عند عودته الى كنعان برفقة ليا وراحيل لعبرة واي عبرة!

« فقال يعقوب لأهله وسائر من معه: أزيلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، وهلموا نصعد الى بيت ايل، واصنع هناك مذبحاً لله الذي أجابني في يوم شدّتي وكان معي في الطريق الذي سلكته » (تكوين ٣٥: ٢—٤).

هذه فكرة بدائية عن الطهارة التي يجب ان تسود علاقاتنا مع الله . فالعبادة الغريبة هي اتصال بما يدنس الجسم والثياب . وعلى الذي يقدّم ذبيحة لله ان يغتسل وان يبدّل ثيابه ، فيصبح هكذا طاهراً .

لفكرة الطهارة هذه صلة بفكرة القداسة التي سنلتقي بها قريباً والتي تتضمن معنى الانفصال . فتعني الطهارة في الحادث الذي نحن بصدده ان الانسان يجب ان ينفصل عن كل ما له اتصال بعمل غريب عن الله .

الاداب الاخلاقية . — كانت الضيافة معززة لدى العبرانيين ، شأنها لدى سائر الشرقيين .

وكان حلف اليمين يقوم مقام العقود المكتوبة . فلما عقد ابراهيم النية على تزويج ابنه اسحق كلف خادمه بان يبحث له عن امرأة في ارض عشيرته : « استحلفك بالرب إله السماء وإله الارض ان لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين انا مقيم فيما بينهم . بل الى ارضي والى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق » (تكوين ٢٤ : ٢—٤) .

ومع ذلك فما اكثر ما نجد من العنف والحيلة ! فيعقوب يسلب أخاه ، بمعاضدة أمه ، البركة الابوية التي بها يخلف اباه على رأس العشيرة ، فيما كان عيسو يعتقد ان هذا الامتياز محفوظ له دون سواه .

وتعهّد اسحق للابان بان يشتغل عنده مقابل تزويجه براحيل . فخدم سنين عديدة . واذا بلابان يستبدل في ليلة العرس ليا براحيل . وقامت الضجة في اليوم التالي . فلم يرَ لابان بدّاً ، وقد حنث بوعده ، من استرضاء يعقوب . وكال له يعقوب بدوره بمثل كيله ، فرعى قطعان حموه ، ورعى معها بدهائه مصالحه الشخصية ايضاً .

شرّ ما يهدد العائلـــة بتمزيق الشمل ، بالامس واليوم ، تعدّد الزوجات . فها الحسد الدنيء يستبد بساره فلا يهدأ لها بال حتى تطرد هاجر واسماعيل الى الصحراء حيث الموت المحتم . وها اولاد ليّا يأتمرون على يوسف بن راحيل لقتله .

الفصل الثاني

العهد بين الله وابراهيم

العهد :

بابراهيم ، منبت الشعب المختار وجدّ المسيح ، خطا الله خطوة جديدة في سبيل العهد . فلاح لنا العهد على صورة وعد سيتحقق في شعب ، ويقتضي من هذا الشعب الايمان ، الذي هو جواب الانسان لدعوة الله .

قطع الله وعده في حفلة رسمية . فأخذ ابراهيم عجلةً وعنزًا وشطرهما شطرين ، ووضع كل شطر قبالة صاحبه تاركاً بينهما ممرًا . ولما صارت الشمس الى المغيب وقع سبات عليه فساوره رعب شديد واكتنفته ظلمة دامسة ، بينما مشعل نار يسير بين تلك القطع . مشعل النار هذا هو الله يقطع عهدًا لابراهيم : « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير » (تكوين ١٥ : ١٨) . ونشأت منذ ذاك صلة من التبعية بين الله ومختاره .

ويرد في مكان آخر من الكتاب ان الله ثبّت العهد فوضع الختانة علامة له : « فتختتنون القلفة من أبدانكم ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم » (تكوين ١٧ : ١٠) .

لم يكن نصيب ابراهيم من العهد علامة خارجية يمارسها فحسب ، بل الايمان اخذ الله يدرّبه عليه ، فسلك به الطريق التي ستقوده الى تلك التضحية الرائعة التي بها سيبلغ الذروة من الحياة الروحية .

ايمان ابراهيم :

آ . – **منشأ ايمان ابراهيم**

كانت العشيرة التي ينتمي اليها ابراهيم تعبد آلهة كثيرة (يشوع بن نون ٢٤ : ٢) .وقد كان من اقامة تارح في اور ان اتخذ له آلهة عديدة من آلهة الكلدانيين . لم تحتلّ هذه الآلهة محل الله الحقيقي فلقد ظلت له مكانته ، الاّ انه صار واحداً بين كثيرين .

شاخ ابراهيم ، وشاخت امرأته سارة ، ولم يرزق عقبى تكون عربون بركة الله. وظلّ طويلاً يأمل ، شأن كل انسان، الى ان فات الاوان وانطفأ فيه كل امل ، فأعلن العازر وكيلاً له ووارثاً لأملاكه .

ب . – **دعوة الله**

امتدّت يد الله اليه وهو في هذه الحالة فبدّلت من امره وأتته بالعون من طريقين . واذ كان الله يسلك به سبيل الايمان طلب منه :

– ان يؤمن باله واحد

– ان يؤمن باله قدير .

على ابراهيم منذ ذاك ان يترك عبادة الاوثان . فالله ، الذي سيدلي باسمه يوماً الى موسى ، يريد ان يكون الاله الواحد ، الاله الحقيقي ، لا يشاركه في ذلك شريك .

آمن ابراهيم فبدّل من عبادته بمقتضى ايمانه الجديد ، فكان مبعث الايمان بالله في الشعب المختار . وبذلك تجاوزت دعوته شخصه ، فكان رأس شعوب كثيرة حملت وديعة الايمان بالله الواحد وتناقلتها جيلاً بعد جيل حتى المسيح ، الذي كشف لنا عمّا تتضمن من كنوز وغنى .

ولهذا الاله الواحد من القدرة ما ليس لآلهة الشعوب المجاورة . وقد سمعه ابراهيم يقول له يوماً : « أصيّر نسلك كتراب الارض ، حتى ان امكن ان يحصي انسان تراب الارض فنسلك ايضاً يحصى » (تكوين ١٣ : ١٦) .

هذا الكلام هو الآن وعد ليس الاّ، تقوم ضده كل الظروف والظواهر. ومع ذلك فالله يلحّ وابراهيم يخضع ، فيكون الايمان هكذا ، منذ نشأته ، لا فكرة عقلية فحسب ، بل جهداً باطنياً صميماً . فاذا بالرجاء ينشأ من الايمان ويصحبه ، فيساند الجهود الروحية التي تلتزمها تلبية دعوة الله .

شرح القديس بولس ذلك بأجلى بيان في رسالته الى مسيحيي روما ، اذ قال : « ولم يضعف في الايمان ... ولم يشككْ في وعد الله بنقص في ايمانه بل تقوّى في الايمان معطياً مجداً لله ، ومتيقناً بانه قادر ان ينجز ما وعد به » (رومانيين ٤ : ٢٠–٢١) .

وطلب الله من ابراهيم ان يبرهن عن ايمانه بالفعل: « انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي اريك » .

ليس لعائلة من العشيرة ان تنفرد عن العشيرة كلها بعبادة غير التي يمارسها الرأس ، وإلاّ تعرّضت لأن تُفصَل عن العشيرة وتُنبذ . وما كان ابراهيم ليستطيع ، لو بقي في عشيرته، ان يبدّل من عبادته عبادة خاصة ، فيعبد الله دون سائر آلهة العشيرة .

وذهب ابراهيم ، تلبية للدعوة ، « فأخذ ساراي امرأته ولوطاً ابن اخيه وجميع اموالها التي اقتناها والنفوس التي امتلكاها في حاران وخرجوا ليمضوا ... » (تكوين ١٢ : ٥) .

لم يكن هذا الخروج يضرب في طرق الصحراء سوى خروج الى المجهول . انها المغامرة . وتقول الرسالة الى العبرانيين في ذلك : « بالايمان ابراهيم ، لمّا دُعي ، أطاع ان يخرج الى الموضع الذي كان له ان يأخذه ميراثاً ، فخرج لا يدري الى اين يتوجّه » (عبرانيين ١١ : ٨) .

هذا هو جوهر ايمان ابراهيم ، وجوهر ايماننا نحن ايضاً : فالله يريد ان نثق به ، أن نتعلق بحباله ، وإن سلك ايماننا بنا الطرق المظلمة في الليل البهيم . اذ لا بدّ من عنصر الغموض هذا يلازم ايماننا حتى النفس الأخير .

ج .— **الذروة من ايمان ابراهيم**

لم يكتف الله من ابراهيم بهذا الايمان ، وبالسخاء الذي رافقه ، بل اراد ان يسمو به الى الذروة حيث يتفتّح الايمان بالله حباً ، وحيث تفوق الثقة بالله كل فطنة بشرية .

وقد سرد لنا الكتاب مراحل هذا الارتقاء الى الذروة :

١.المرحلة الاولى: اسماعيل . — ومرّت السنون ، وكرّر الله وعده لابراهيم بالنسل والعقبى (تكوين ١٥) . إلاّ ان ابراهيم لا يرى حتى الآن من مجال لتحقيق الوعد . فأراد ان يتجاوب مع قدرة الله . وكان لسارة جارية اسمها هاجر ، فأعطتها لابراهيم ،وكانت شرائع ذلك الزمان تسمح بذلك . فاذا رُزقت الجارية ولداً سُجّل حسب الشريعة ابناً لسارة . وولدت هاجر اسماعيل (تكوين ١٦) .

هو الوعد يتحقق ، وها هي العقبى المرجوّة : فما اقدر الله ، وما أصدقه ! لقد أحسن ابراهيم بالايمان به .

لن يتوقف الله به هنا : فولد الجارية لن يرث العهد . ويسمو الله بايمان ابراهيم الى اعلى . وتمرّ السنون ، ويصبح الايمان أشقّ . ومع ذلك فقد رضي ابراهيم بما اراد الله ، فازداد بذلك ايماناً .

٢.المرحلة الثانية: اسحق. — ورزقت سارة اخيراً ابناً ، وبذلك نال ابراهيم مكافأة ايمانه . وكان يفخر بابنه ويزهو ويقول في نفسه وهو يراه يكبر ، بان قد صارت له الآن ذرية تعقبه على رأس العشيرة .

واذا بالله يفاجئه بالتضحية الكبرى :

« ابراهيم ! — لبيك ! — خذ ابنك وحيدك الذي تحبه ،اسحق ، وامض الى ارض الموريا ، واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذي اريك » (تكوين ٢٢ : ١—٢) .

ان القلم ليعجز عن وصف ما دهى ابراهيم من عذاب أليم ، وما أصاب ايمانه من ضربة قاصفة . ارادتان لله تتنازعان : اسحق هو الوعد

بالعقبى ، واسحق هو الذبيحة المطلوبة .

ويرتقي ايمان ابراهيم مع ذلك الى حيث يسمو به الله . فيرضى مرة اخرى : « فبكّر ابراهيم من الغداة وأكّف حماره واخذ معه غلامين واسحق ابنه وشقّق حطباً للمحرقة وقام ومضى الى الموضع الذي أشار له الله اليه » (تكوين ٢٢ : ٣) .

اصبح الآن ايمانه رجاءً وحباً ، وبذلك بلغ الذروة التي دعاه الله الى ارتقائها .

ويأتيه الله اخيراً بالحل للغز ، وبالخاتمة للعذاب : « لا تمدد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً . فاني الآن عرفت انك متّق لله فلم تذخر ابنك وحيدك عني » (تكوين ٢٢ : ١٢) .

بذلك اظهر الله له انه يكره ، بخلاف آلهة الوثنيين ، الضحايا البشرية الدموية ؛ وبالوقت ذاته سما بايمانه الى تلك الذروة التي هي حقيقة بان يرتقي جدّ المسيح اليها .

٣. ثواب الايمان : الوعد العظيم . — سبق الله فوعد ابراهيم بارض يعطيه اياها ، وقد قال له بعد انفصاله عن لوط : « جميع هذه الارض التي تراها لك اعطيها ولنسلك الى الابد » (تكوين ١٣ : ١٥) .

وسبق فقلنا ان الوعد بالذرية كان اساس ايمان ابراهيم وقوام حياته الدينية .

واذا بوعد الله يتضمن ، بذبيحة اسحق ، عنصراً جديداً يوسّع الوعد الى اقصى حد ، الى اللانهاية : « ويتبارك في نسلك جميع امم الارض من اجل انك سمعت لقولي » (تكوين ٢٢ : ١٨) .

لا يخلو هذا الوعد من غموض . الاّ ان الله ولا شك قد كشف يومئذ لابراهيم عنه ذيل الستار ، فاستطاع المسيح ان يقول يوماً : « ابراهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى وفرح » (يوحنا ٨ : ٥٦) .

د . – بعض اوجه ايمان ابراهيم

١ . يعمل الله عمله على مراحل . — لا ندرك مدى ما قطع ابراهيم من طريق الاّ اذا قارنّا بين ما ابدى في اول طريقه من سخاء بقبول المغامرة وبين ما أبدى في آخر طريقه من سخاء بتقدمته ابنه .

ليست الذروة على بعد طفرة ، بل على بعد المرحلتين المذكورتين . وما علينا لارتقائها سوى بان نقوم لكل يوم بعمله .

٢ . يشرك الله الانسان بعمله . — بدأ ابراهيم ففهم ان الله واحد وانه قدير . الاّ ان هذه الوجهة العقلية من ايمانه تبدو ضئيلة في نظرنا ، نحن المسيحيين الذين نعرف عن الله اكثر من ذلك ، من ان الله يحيا في ثالوثه وفي كل فرد من المؤمنين ، وان المسيح افتدى الانسانية بموته على الصليب افتداء يتحقق في كل انسان بمفرده بواسطة الاسرار ، وان المسيحيين يحيون حياة اتحاد بعضهم مع بعض ومع المسيح .

كان ايمان ابراهيم هذا ، اصلاً وسبباً لايمان الشعب المختار . قد يقع بعدئذ للوثنية ردّات ظافرة في عهد القضاة ، لا بل قد يخيّل الينا يوماً ان الوثنية قد اقتلعت الايمان بالله الواحد من جذوره . ومع ذلك فلن يخلو الايمان يوماً من جماعة صغيرة تُسلّم بدورها الوديعة التي تسلّمتها من ابراهيم . ويأتي المسيح في ختام هذا التاريخ ، فيتسلّم هذا الايمان ، ويُخرج من هذا الكنز ، مثل ذلك الكاتب في ملكوت السماوات ، الجديد والقديم .

لكي نرى اهمية الوحي بوحدة الله علينا ان نقف موقف ابراهيم ، وفي مستواه من الزمان والمكان . فندرك عندئذ انه الطريق الى وحي سينا ، والى حقبة الانبياء ، وخاصةً الى عظة الجبل .

هو اشتراك رائع بين الله والانسان ، الاّ انه على صعيد الحقيقة المجرّدة والعقل النظري .

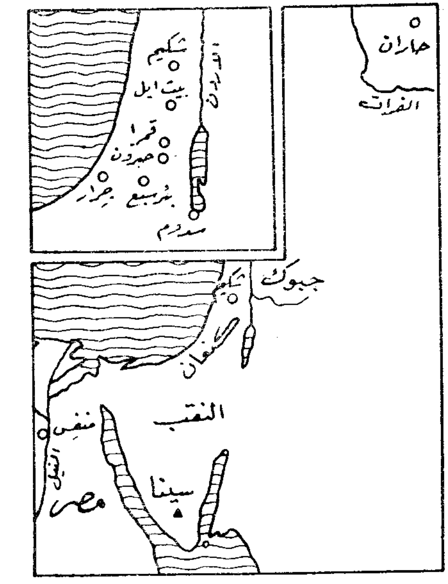
هذه الحقائق لا تظهر لنا بقوة جازمة ونور مشعّ الاّ في مستوى الحياة وعلى صعيد العمل .

وهذه الدعوة الفائقة الى الايمان الجديد انها فراق ورحيل . فنضرب خيمتنا يوماً هنا ويوماً هناك ، انتجاعاً للماء والمرعى .

والايمان بالله الواحد الجبّار هو المجازفة والمغامرة ، هو التضحية الكبرى والثقة العمياء . فاسماعيل واسحق ليسا فقط اسمين يدلاّن على ايمان ابراهيم . انهما عملان من الحب الرائع يحدوه الرجاء الذي لا تخبو جدوته ولا يخيب .

وبذلك الايمان يتجاوز الانسان نفسه ، يتسامى فوق نفسه . أوَلا تقتصر كثيرًا ما مشاركتنا مع الله بان نؤمن ايماناً نظرياً بما يتضمن كتاب التعليم المسيحي من حقائق ، دون ان نعيش هذه الحقائق عيشاً ، فنحوّلها الى عطاء ومحبة ؟

٣ . الشركة مع الله تُلزم . — انها تُلزم الانسان بان ينزل الى معترك الحياة ويخوض معارك زمانه . فهذا ابراهيم ترك تارح وذهب فأنشأ عشيرة جديدة من عائلته وعائلة ابن اخيه لوط .



وكان لابراهيم قطعان من الماشية. فطاف بها ارض كنعان ، الى ان استقرّ به المقام في حبرون حيث وافته المنية . لقد عاش اذاً عيشة غلبت عليها البداوة .

وكان يقضي بالعدل بين ذويه كما كان يفعل كل رئيس عشيرة . ويسرد الكتاب عنـــه ذلك الحكم الذي قضى به بالافتراق عن لوط . فقد اخذ يشعر منذ حين ان على لوط ان يبني

عشيرة مستقلة ، فصارحه بالامر : « أليست الارض كلها بين يديك ؟ اعتزل عني إمّا الى الشمال فأتيامن عنك ، وإمّا الى اليمين فأتياسر » (تكوين ١٣ : ٩) . فكان ما ارتأى . وأقام ابراهيم في كنعان ، بينما نزح لوط الى قرب سادوم .

وبعد مدة قام ابراهيم بعمل هام في سبيل لوط . فلقد أغار الغزاة من القبائل الشرقية عليه في عقر داره فغلبوه وذهبوا به اسيرًا مع من اسروا . ولما علم ابراهيم بالأمر جنّد ٣١٨ رجلاً من خدامه الشجعان ، وبهذه الحملة الصغيرة طارد الغزاة حتى ادركهم وخلص منهم الاسرى (تكوين ١٤) .

وقصارى القول : قام ابراهيم في عشيرته بمثل ما يقوم به كل رئيس عشيرة في زمانه من الاعمال. الاّ ان اعماله هذه كانت مجبولة بالايمان .

٤. لا يغيّر عمل الله من نقص الانسان . — والدليل على ذلك ما كان شائعاً في مدنية الآباء من تعدد الزوجات . وقد سار ابراهيم ايضاً على ما سارت عليه عادات زمانه . فلم يجترح الله معجزة ليصونه من هذه العادة المتبعة ، او ليكفيه شرَّ ما تجرّه على الحياة العائلية من عذاب وبلايا .

كم عانى ابراهيم من عذاب من جراء الحسد بين ساره وهاجر ؟

بدأ احتقار الجارية لمولاتها منذ قبل ولادة اسماعيل(تكوين ١٦و ١٧) فصبّت ساره على ابراهيم جام غضبها : « ظلمي عليك ... يحكم الرب بيني وبينك » .

وقَبلَ ابراهيم على كره منه بما تحكم به العادة السائدة من تولّي المولاة على امتها ، فردَّ على ساره صاغرًا : « هذه أمتك في يدك اصنعي لها ما يحسن في عينيك » . هو لا يترك هاجر وشأنها ، الاّ انه لا يستطيع في سبيلها شيئاً .

ثم كان ما كان من هرب هاجر من العشيرة ثم رجوعها الى خيام

ابراهيم على ان تتّضع تحت يدي مولاتها .

وتلد هاجر اسماعيل . وما لبث اسماعيل ، على ما يبدو ، ان اخذ يسلك مسلك امه الجافي (تكوين ٢١) . امّا ساره فما كادت تفطم اسحق حتى شعرت بعزّة المولاة في بيتها ، فاسترسلت في الحقد : « اطرد هذه الأمة وابنها . فان ابن هذه الأمة لا يرث مع ابني اسحق » .

لكن في الطرد الى الصحراء الموت المحتم . واننا لنتصور ما اصاب ابراهيم من الغمّ ، وهو القائل الى الله قبل بضع سنين ، في ساعة تقوى ورهبة : « لو ان اسماعيل يحيا بين يديك ! » (تكوين ١٧ : ١٨) .

ويأتي الشيخ بعمل من الحنان والرقة يمليه عليه قلبه، وان لم يُجدِ نفعاً ، ولم يليّن من قلب ساره ويطفئ من حقدها الغاشم : « فبكّر ابراهيم في الغداة واخذ خبزاً وقربة ماء فدفعهما الى هاجر وجعلهما على منكبها واعطاها الصبي وصرفها » (تكوين ٢١ : ١٠—١٤) .

اهمية تلك الحقبة من الزمن :

اهميتها في تاريخ الشعب المختار . — هي اساس تاريخه ، اذ هي ساعة منشإه وتكوينه ، تلوح فيها تباشير العهد مع الله .

اهميتها في التمهيد للمسيح . — الوعدان، بالذرية الكثيرة وبامتلاك الارض، يكتملان بالوعد الثالث : « ويتبارك في نسلك جميع امم الارض من اجل انك سمعتَ لقولي » (تكوين ٢٢ : ١٨) .

وقد رأت الكنيسة في هذا الوعد ، الوعد بالمسيح ذاته . ولذا وضع الفنانون في القرون الوسطى ابراهيم في جذع شجرة يسّى .

لم يكن المسيح لابراهيم وعداً لا معنى له ولا موضوع . فهو ان فاتته معرفة ذلك الآتي العظيم، فقد ادرك بنوع غامض أن سيكون له في تاريخ البشرية شأن واي شأن ؛ فاشتاق « ورأى يوم المسيح » .

بالمسيح اكتسب ابراهيم، علاوة على ذريته الطبيعية، ذريةً روحية. فلقد قال المعمدان الى الفريسيين : «لا يخطرنّ لكم ببال ان تقولوا ان ابانا ابراهيم . اقول لكم : ان الله قادر على ان يقيم من هذه الحجارة ذاتها اولاداً لابراهيم» (متى ٣:٩) .

الفصل الثالث

ابن العهد : اسحق

زواجه :

لما شعر ابراهيم بدنو اجله لم يكن اسحق بعد قد تزوج . ولم يكن ابوه ليريد ان يزوجه من امرأة كنعانية تجهل الله وتكون غريبة في العشيرة فسيتخذ له امرأة من حاران ، حيث اخوه ناحور .

وكلّف ابراهيم خادماً له كان قيّم بيته ورجل ثقته، بان يذهب ويأتيه بفتاة من حاران . فليذهب بهذه المهمة وحده دون اسحق ، اذ يخشى على ابنه ان تفتنه الوثنية السائدة هناك عن دينه . وادّى الخادم اليمين بين يدي سيده وذهب ومعه عشرة جمال محمّلة هدايا .

وذات مساء توقف الخادم على مدخل حاران قرب البئر التي تستقي النساء منها الماء . فكانت رفقا حفيدة ناحور اول فتاة اتت الى البئر . ووردت العين وملات جرّتها وهمّت بالعودة . واذا بالغريب يطلب ان يشرب . فانحنت بالجرة اليه ليشرب . ثم ملأت مسقى الحيوانات لتشرب جماله .

وكان الخادم يتأملها صامتاً . ألم يسهّل الله له مهمة سفره ؟ واخذ للحال خاتماً من ذهب وسوارين وقدمها الى الفتاة وسألها ان يبيت الليلة في بيت ابيها . فأدلت الفتاة عندئذ باسمها واخبرته ، وقلبها يرقص طرباً بالهدايا ، بان التبن والعلف متوفران في بيت ابيها . وما ان عرفت الفتاة اسم سيده حتى هرعت الى امها تخبرها بما جرى . واتى على الاثر اخوها لابان فرأى الهدايا الثمينة التي قدّمها الغريب لاخته ، فأكرم مقدمه ، ادخله بنفسه دار ابيه ، وقدّم العلف الى الجمال ، وأتاه بالماء ليغسل

قدميه ، ثم دعاه الى تناول الطعام فأبى الخادم ان يأكل قبل ان يعرض سبب مجيئه .

وتبسّط الخادم بالكلام عن ابراهيم ومكانته وغناه، وعن رغبته في تزويج ابنه من فتاة من العائلة . واشار الى صدفة التقائه برفقا والى ما قد تدل عليه هذه الصدفة من تدبير إلهي. فأجاب الاهل بالرضى وكانوا يودون ان تبقى فتاتهم بضعة ايام اخرى . الاّ ان الخادم عزم على الاسراع بالعودة الى سيده . وقالت الفتاة في ذلك كله كلمتها الفصل ، وفي اليوم التالي كان الرجل مع الفتاة في طريق الأوبة .

ولما اقتربوا من مضرب خيام العشيرة رأت رفقا اسحق فألقت بنفسها على الارض وغطت وجهها بخمارها . ثم قاد اسحق رفقا الى خيمة امه ساره . وقامت افراح العرس بعد ايام قلائل ، « واخذ اسحق رفقا التي صارت امرأته واحبها وتعزى بها عن موت امه » .

ومات ابراهيم مطمئن البال . فها هو ابنه اسحق وريث اسمه سيخلفه على رأس العشيرة . ودفن ابراهيم حيث دفنت ساره امرأته في الحقل الذي اشتراه ليكون له مدفناً .

اسحق وولداه :

رزق اسحق ولدين من رفقا بعد عشرين سنة من زواجهما : عيسو ويعقوب .

اخلاق الولدين . — كان للاول سحنة غريبة ، فكان رجلاً أشقر فسمي لذلك عيسو ، وكان ذا شعر احمر فسمي لذلك ايضاً ادوم. وكان، على ذلك ، ذا نشاط وهمة وطبع عنيف حاد . وكان دائماً على الطرقات لزيارة قطعانه وتفقد الرعيان . انه رجل الحقل والبرية ، رجل الصيد والقنص ، يأتي كثيراً ما أباه بمحصوله من الصيد . ولذا فقد كان عند ابيه الابن المفضل . وكان سريع الغضب يتفجر احياناً كلاماً عنيفاً ووعيداً مخيفاً . الاّ انه لا يلبث ان يخمد فيذرف في حزنه وألمه الدموع السخينة .

هو مع ذلك طيب القلب ، لا يحمل الحقد طويلاً ولا ينطوي على الضغينة ، ويسلس للمصالحة .

يختلف يعقوب عن اخيه كل الاختلاف . فهو ساكن الطبع لا يحب الضرب في الحقول ، ويفضّل الخيمة حيث يقوم باشغال هادئة ، ويكره العنف ، ويغلب عليه الخوف والحيلة . هو حبيب أمه ولها عليه التأثير العميق . وقد ظل طول حياته رجلاً ضعيفاً.ومع ذلك فقد نجح ، لما أبدى من المهارة المجبولة بالمكر والدهاء .

تجديد الوعود . — جدّد الله لاسحق الوعود التي قطعها لأبيه ابراهيم . فالعهد لا يزال قائماً : « انزل هذه الارض وانا اكون معك واباركك . لأنني لك ولنسلك سأعطي جميع هذه البلاد ، وأفي بالقسم الذي اقسمته لابراهيم ابيك ، واكثر نسلك كنجوم السماء، واعطيهم جميع هذه البلاد ، ويتبارك في نسلك جميع امم الارض ، من اجل ان ابراهيم سمع قولي وحفظ اوامري » (تكوين ٢٦ : ٣—٥) .

بركة اسحق لولديه . — قضى اسحق السنين الطويلة يعيش عيش ابيه ، حتى شاخ وفقد بصره ولازم خيمته يجلس فيها يومه كله على الحصر والجلود.لقد حان له ان يسلّم مقاليد العشيرة الى خلفه.لكنه يفضّل من ولديه عيسو بينما تفضّل رفقا يعقوب. فهو يسعى لعيسو وهي تسعى ليعقوب.

يجري تسليم الحكم في حفلة رسمية بهيجة ، وقد ارادها اسحق حفلةً تسبقها وليمة صيد شهية وتدور فيها كؤوس الخمرة الطيبة . ولذا فقد دعا بكره عيسو ذات صباح وأرسله الى الصيد ، حتى اذا عاد بالغنيمة وهيأها على ما يحب نال بركته . وبعد ذهاب عيسو هبّت رفقا لتلعب دورها . فلقد كانت على حذر مما يبطنه اسحق من نية ، واحتاطت لامرها . وما ان سمعت قول زوجها لعيسو حتى اسرعت الى يعقوب تفضي اليه بسرّها وعزمها : « امض الى الغنم وخذ لي من ثَمَّ جديين من المعز جيّدين ، فأصلحهما ألوانا لأبيك كما يحب ، فتحضرها الى ابيك ويأكل لكي يباركك قبل موته » .

لم يكن ليعقوب من رغبة اشد من ان تنجح الحيلة . فلقد تنازل له اخوه يوماً ، وكان يتضور جوعاً وقد أعياه المسير ، عن حقوق بكريته ، لقاء صحفة من العدس . الاّ ان اسحق انكر عليهما ذلك . وها هو اليوم يعدّ العدّة ليمنح عيسو بركته . وأتته امه بحيلة راقت طبعه المحتال . الاّ انه رعديد ، فأخذ يسرد الصعوبات ويثير العقبات : فأخوه اشعر وهو أملس ؛ وما يكون موقفه من ابيه اذا ما اكتشف حيلته ؟ انه سيلعنه ولا شك . الاّ ان رفقا كانت واثقة من نفسها ، فما عليه سوى الطاعة .وسارت الحيلة سيرها ، فطبخت الأم الجديين على ما يحب زوجها ، وأتت ليعقوب بثياب عيسو ، وكست عنقه ويديه بشعر الماعز .

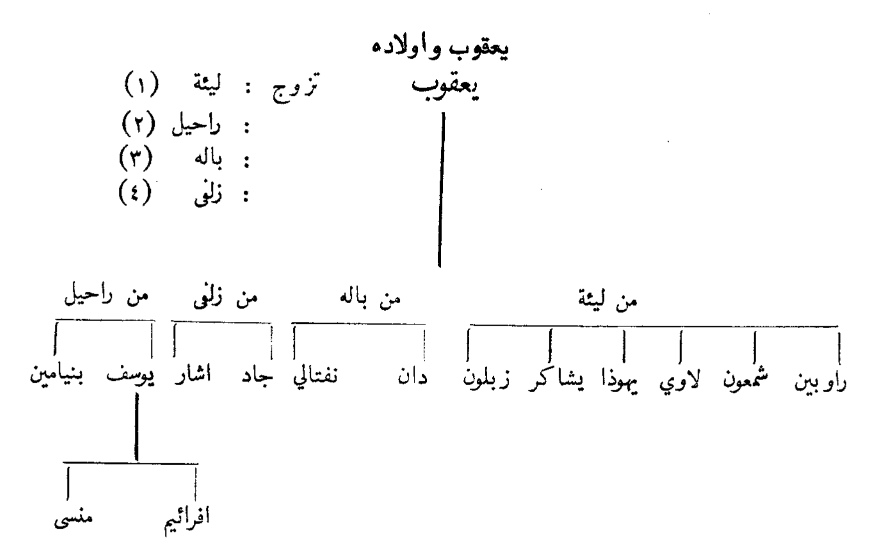
اصبح اسحق كفيف البصر . الاّ انه كان يشكّ في نيات امرأته . فسأل القادم اليه بالطعام : « من انت ؟ — انا عيسو بكرك قد صنعتُ ما امرتني » . وبدا لاسحاق ان الصيد كان اسرع من العادة ، فأجاب يعقوب على الفور في خبث : « ان الرب إلهك قد يسّر لي » . ولم يكتف اسحق بذلك بل اراد ان يتأكد بنفسه باللمس من حقيقة الواقف امامه ، فالصوت صوت يعقوب . الاّ انه لم يعرفه لان اليدين كانتا مشعرتين كيدي عيسو . وعندئذ اخذ بالأكل . وبعد الطعام اراد مرة اخيرة ان يتثبّت من امره ، فمال على ابنه ، وفيما كان ابنه يقبله شمّ رائحته فاذا هي رائحه عيسو ، لأن المرأة قد استدركت امرها فألبست يعقوب ثياب عيسو . ومنح الشيخ اخيراً دون تردد بركته الكبرى ليعقوب :

يعطيك الله من ندى السماء
ومن دسم الارض
ويكثر لك الحنطة والخمر
وتخدمك الأمم
وتسجد لك القبائل
سيداً تكون لاخوتك
ولك بنو امك يسجدون

لاعنك ملعون
ومباركك مبارك .

واذا بعيسو يدخل على ابيه بصيده وقد أصلحه له . فذهل اسحق وارتاع : « قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك » . واستشاط عيسو غضباً واخذ يتوسّل الى ابيه لكي يعيد اليه البركة المسلوبة . عبثاً ، فالبركة قد أعطيت ولن يسترجعها . اما ما رضي اخيراً بمنحه اياه فكان بمثابة تعزية وترضية : فستتيح له احياناً ميوله الحربية ان يخلع عنه نير اخيه (تكوين ٢٧ : ١—٤) .

ضمن يعقوب لنفسه ، بواسطة كذبة ، وراثة ابيه ، فصار بذلك ايضاً ، بعد ما وعد الله بالمسيح ذرية ابراهيم ، وريثاً للعهد . لا يصادق الله ولا شك على حيلة يعقوب وكذبه . الاّ انه لا يرى ان يغيّر على الفور من عادات ذلك الزمان الوثني . هــذا ولما صادق اسحق ، بعد ما عرف الحقيقة ، على البركة التي اخذت منه بالحيلة ، صادق الله ايضاً على ارادة اسحق الاخيرة .



الفصل الرابع

يواصل الله تنفيذ خطته :
يعقوب والهجرة إلى مصر

في حاران :

سبب سفر يعقوب . — ارسل اسحق ابنه يعقوب الى حاران لسببين : اراد اولاً ان يتخذ يعقوب له زوجة من قرابته، كما فعل هو نفسه . ولكان اسحق اكتفى بارسال خادمه لهذه المهمة لو لم يكن هناك السبب الآخر ، من تأجّج نار الحقد في قلب عيسو ، ومن الخوف من ان يبطش الاخ بأخيه . فما كانت مثل هذه العداوة لتنطفئ الاّ مع الوقت. وكان لرفقا يد ولا شك بفكرة السفر ، هذا ان لم تكن هي التي أوحت بها .

حلم بيت ايل . — غادر يعقوب ارض كنعان متوجهاً الى الشمال . فحلم في الليلة الاولى من سفره حلماً رأى فيه ملائكة تصعد وتنزل على سلم يصل الارض بالسماء ، حيث مقرّ الله . وجدّد الله ليعقوب ما قطع لابراهيم واسحق من وعد : « انا الرب إله ابراهيم ابيك وإله اسحق.الارض التي انت نائم عليها لك اعطيها ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الارض ، ويتبارك بك جميع قبائل الارض وبنسلك » (تكوين ٢٨ : ١٣—١٤) .

ولمّا افاق يعقوب من نومه عرف ان الله في هذا الموضع : « ما هذا الاّ بيت الله ، هذا باب السماء . فسمي المكان بيت إيل اي بيت الله . ثم أقام من الحجر الذي وضعه تحت رأسه نصباً وصبّ على رأس النصب دهناً » (تكوين ٢٨ : ١٠—٢٢) .

عند لابان . — كشفت لنا اقامة يعقوب عند لابان عمّا كان عليه هؤلاء القوم من طباع خشنة ، وتهالك على الربح ، ومكر وخداع وحيلة. فهي عادات ذلك الزمان نشهدها على حقيقتها . الاّ ان الله يستعين بها كما هي للبلوغ بها الى ما يقصد.

الوصول . — اراد يعقوب قبل ان يدخل المدينة، التي ليس له بها معرفة ، ان يستعلم عن خاله لابان ، وقد قرّر ان يقيم عنده . فحطّ رحاله ، والشمس قد قاربت من المغيب ، على البئر ، حيث لن يلبث الرعيان ان يأتوا بقطعانهم ليشربوا . وها بعضهم على العين ؛ فيسألهم يعقوب ، فلا يلقى الاّ اجوبة مقتضبة ، فهم من هذا الغريب على حذر. واذا باحدى فتيات لابان مقبلة مع غنمها ، « فوجدها حسنة الهيئة جميلة المنظر » . واملاً بالمستقبل بادر الى مدّ يد العون لها ، فدحرج لها الحجر عن فم البئر ، وسقى غنم خاله .

وبعد ذلك ادلى باسمه واخبرها انه ابن رفقة ، فأسرعت تخبر اباها بمقدمـــه .

عقد العمل . — لم ينسَ لابان ما أتى به يوماً خادم ابراهيم من الحلي والاساور تقدمة لتلك التي جاء يخطبها لابن سيده . وزادته اخبار المسافرين بعد ذلك علماً بما بلغه الابن من الغنى والثروة . فلم يكن ليكره ان يعطي ابنته زوجة لمثل هذا القريب . ولا بأس ان لا يكون له الآن ما يقدّمه سوى ذراعيه يضعها في خدمته .

ودعا لابان يعقوب ان يعرض شروطه : « اخبرني ما اجرتك ؟ » فلم يتردد يعقوب بالجواب : « اخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى ». فأطرق لابان يفكر : ليئة هي الكبرى ومن الصعب ان تجد من يتزوجها لأنها مسترخية العينين. فما كاد يعقوب ان يصل حتى ألقى اختياره على الصغرى . واذا ردّ طلبه فسيذهب ، ويخسر لابان ذكاءه ونشاطه . ولذا قال في خبث ودهاء : « لأن تأخذها انت خير من ان اعطيها لرجل آخر. فأقم عندي » .

الزواج المزدوج. — مضت السنون السبعة سريعة يحدوها الحب والامل ، جاء يعقوب خاله بعدها قائلاً : « اعطني امرأتي » . وتظاهر لابان بالقبول وأولم وليمة فاخرة . الاّ انه حنث بوعده ولم يرقّ لدموع راحيل : اذ لم تكن المرأة الملثمة التي زفّها مساء الى يعقوب سوى ليئة . ولم يدر الزوج بالحيلة الاّ في الصباح فانهال على حميه تعنيفاً مرًّا : « ماذا صنعتَ بي ؟ » . الاّ انه لم يرد ان يفضح الامر ويثير الضجة ، لأنه كان يحب راحيل ويريدها . وفكر لابان من جهته قائلاً : ان ليئة قد استقرت الآن ، وانه ان لم يعطه راحيل فسيضطر الى ان يدفع له اجرة سبع سنين من العمل . وتمّ الاتفاق اخيرًا بينهما على ان يكتم يعقوب الامر ، فتواصل افراح العرس كأن لم يحدث شيء ، ثم ينال بعدها راحيل امرأة ثانية ، لقاء سبع سنين اخرى يعمل عنده في سبيلها (تكوين ٢٩ : ١—٣٠) .

وعانى يعقوب فيما بعد ممّا بين الاختين الزوجتين من المنازعات والمشاحنات مثلما عانى ابراهيم ممّا بين ساره وهاجر . لا سيما ويعقوب كان يكره ليئة ، وراحيل كانت عاقر .

وأنجبت ليئة ليعقوب بالتوالي : راوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، وبعد فترة انقطاع : يشاكر ، وزابلون . ورزقت راحيل اخيرًا بكرها يوسف فكان أحب ابناء يعقوب اليه لانه ابن راحيل .

ورزق يعقوب اثناء اقامته في حاران اولادًا غيرهم : دان ، ونفتالي ، وجاد ، وآشار .

وهكذا تكوّنت العائلة وتنامت في ارض الغربة . الاّ انه لم يكن ليعقوب من الحزم ما كان له من الحيلة ، فلم يستطع ان يتلافى الخلافات بين نسائه ، وبين اولاده . واخذت الوثنية السائدة تتسرّب الى عائلته في هذه المدة الطويلة التي قضاها في حاران ، فلم يعد الله في عائلة يعقوب بالمعبود الأوحد . ولسوف يكون لمثل هذا التقلب بين الوثنية والتوحيد شأنه غدًا في تاريخ الشعب المختار .

الرجوع الى ارض كنعان :

حوادث على الطريق . — انتهت مدة خدمة يعقوب وجاءت ساعة الحساب. هي ساعته المنتظرة . فلقد عمل على تنمية مواشي لابان فحقّ له ان ينال حصته منها . وقال له لابان : « عيّن لي اجرتك فأعطيك » . وبدأ يعقوب حديثه فذكر ما كانت عليه أحوال لابان قبل مجيئه وما صارت اليه بعد خدمته : «كانت مواشيك قليلة قبل مجيئي وقد نمت كثيراً وباركك الرب بعد مجيئي » . وسأله لابان مرة اخرى : « ماذا اعطيك ؟ »

وفتق ليعقوب حيلة ، فطلب من الضأن والمعز كل ارقط وابلق . وبدأت بين الرجلين حرب باردة صامتة دامت سنين خرج منها يعقوب وقد أيسر ، فصارت له قطعان كثيرة من الضأن والمعز والجمال والحمير ، واصبح ذا شأن ومقام ، وباركه الله اذ وهبه خصب البنين ووفرة المواشي .

عشرون سنة مرّت شعر بعدها يعقوب بالشوق الى عشيرته ، والى تسلّم مقاليدها وقد مارسها عيسو مدة غيابه .

الاّ ان له في حاران اعداء كثيرين . فهذا لابان يرى انه كان ألعوبة في يديه ، وهؤلاء اولاد لابان تستثيرهم ثروة يعقوب الطائلة فلا يريدون ان يتركوه يذهب الى كنعان فتفلت من ايديهم .

وبذل يعقوب قصارى جهده في اكتساب ليئة وراحيل اعواناً له على ابيهما . فأخذ يصوّر لهما اباهما بصورة رجل جشع محتال لا يرعى عهداً ولا ذمّة . اما هو فقد باركه الله . واما حيله وخدعه فهي ارادة الله . أفلا تتبعانه الى ارض كنعان حيث يدعوه الله ؟

وكانت ليئة وراحيل تحبّان زوجهما . هما له وفي حصانته ، وقد باعهما ابوهما ليعقوب بيع السلع ، ولم يعد لهما من ابيهما ميراث . وعليهما ان تتمتعا بالخيرات التي اراد ابوهما ان يحرمهما اياها . انهما اذاً ليعقوب ، تتبعانه الى حيث يذهب ، يربطهما به القلب والمصلحة .

وكان يعقوب رعديداً فرأى في الهرب السلامة . ونجا بنسائه واولاده

وخدمه ومواشيه . الاّ ان حماه لم يلبث ان لحق به وادركه . واستطاع يعقوب ان يخرج بحيلته ومرانه من المأزق الحرج ، فعقد مع خاله عهد صداقة دائمة افترقا على اثرها على احسن حال (تكوين ٣١–٣٢) .

الصلح بين الاخوين . — لا تزال هناك العقبة الكبرى امام يعقوب : كيف السبيل الى دخول ارض كنعان وعيسو على حقده ، ويعقوب يخافه ويوجس منه شرًا ، لا سيما وليس من يجهل بركة اسحق له ، وما يحقّ له بعدها من تسلّم زمام العشيرة .

سيلجأ كعادته الى الحيلة ، الى الحيلة مع الله ومع عيسو . اما الله فيقول له انه ينكث بوعوده له اذا ما ترك عيسو يفتك به . واما عيسو فسيتخلى له عن نصف ثروته ، على امل ان يبقى له النصف الآخر .

وحدث ليعقوب ذات ليلة ان ضرب خيمته بالقرب من مخاضة يبّوق ، احد روافد الاردن . فاذا برجل يخرج له ويأخذ بمصارعته حتى الفجر . واعتقد يعقوب انه الله ذاته جاء يتفقد ثباته ، ودهش ان يظل بعد ذلك في قيد الحياة : « اني رأيت الله وجهاً الى وجه ونجت نفسي » . هي فكرة كثيرًا ما سنلتقي بها في طريقنا عبر تاريخ الشعب المختار. وسمي يعقوب على اثر تلك المصارعة اسرائيل ، اي مصارع الله ، الاسم الذي ستحمله ذريته بعده .

وطلع عيسو على اخيه باربعمائة رجل . الاّ ان الملتقى الاول كان مفاجأة وقع فيها الواحد منهما على عنق الآخر . ثم استفاقت العواطف العدائية في قلب عيسو . الاّ انه لم يلبث ان لان على رؤية ما أتاه به اخوه من هدايا ، فترك المكان لأخيه وذهب الى جبال سعير حيث ذريته تحمل اللقب الذي اطلق عليه ، فهم الادوميون المستوطنون في جنوبي البحر الميت (تكوين ٣٢ : ٤ ؛ ٣٣ : ١٨) .

حياة يعقوب في ارض كنعان . — عاش يعقوب كما عاش ابوه وجده حياة هي بين الحضر والمضر .

اقام اولا في شكيم ، ثم تركها على اثر حادث ثأر فضرب خيامه في بيت إيل حيث رأى الله .

في بيت إيل ماتت راحيل وهي تلد ليعقوب ابنه الثاني عشر ، بنيامين.

وقصد بعد ذلك ممرا ، مقام العشيرة ، حيث لا يزال ابوه على قيد الحياة . فما كاد يصل اليه حتى مات أبوه .

وخلف يعقوب اباه دون ان يلقى من مقاومة . فرعى ابناؤه قطعان الماشية ، وكانوا اثني عشر : راوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويشاكر ، وزابلون ، ودان ، ونفتالي ، وجاد ، واشار ، ويوسف ، وبنيامين . وهذان الاثنان الآخران هما ولدا راحيل ، ابناه المفضلان .

الاقامة في مصر :

يوسف واخوته . — لم تلبث هذه الحياة الهادئة الساكنة ان تعكرت بحادث مؤلم ذهب فيه يوسف احد ابني يعقوب المفضلين ضحيته .

كان يوسف شاباً مهيب الطلعة ، متقد الذكاء . هذا الى حسن تدبير وادارة ، والى مخيلة واسعة تصوّر له آماله ، التي لا تخلو من طموح ، احلاماً .

ولم تكن احلامه هذه مع تفضيل ابيه له على اخوته الاّ لتضرم نار الحقد في قلوب اخوته ، فائتمر بعضهم على قتله . وسنحت الفرصة : فلقد ارسل يوسفَ ابوه اليهم في مهمة . وانفرد الاخوة في البرية بأخيهم ولم ينجُ يوسف ، « رجل الاحلام » ، من الموت الاّ بتدخل راوبيم بكر الاخوة. لكن راوبيم عجز عن اطلاق سراحه ، فانتهز فرصة مرور قافلة من التجار الاسماعيليين بطريقهم الى مصر ، واخرج يوسف من البئر التي رموه فيها ، وباعوه اليهم ، رغم توسله وانتحابه ، بعشرين من الفضة . ثم اخذوا رداءه ، وبعد ان لطخوه بدم كبش ارسلوه الى ابيه ، الذي

ظن انه ذهب ضحية حادث: « قميص ابني ! وحش ضار اكله ! » (تكوين ٣٧) .

كان لهذه المأساة العائلية على عشيرة يعقوب أبعد الأثر .

يوسف في مصر . — ما ان وصل الاسماعيليون بيوسف الى مصر حتى باعوه بيع الرقيق الى فوطيفار رئيس شرط فرعون . فأقامه فوطيفار على بيته وامواله مطلق اليد ، دون رقيب ، لما وجد فيه من صدق ومقدرة . وراودت امرأة فوطيفار يوسفَ على نفسه فأبى ، فما كان منها الآ ان افترت عليه لدى زوجها فأودعه السجن .

ولم يطل به الوقت حتى صار له لدى رئيس السجن من الحظوة والمكانة ما كان له لدى فوطيفار ، فأقامه على كل اسراره . وآتته الظروف فكان لمعرفته تفسير الاحلام يد طولى ليس في اطلاق سراحه فحسب ، بل وفي اعلاء شأنه ايضاً .

فلقد فسَّر حلم كلّ من رئيس السقاة ورئيس الخبازين ، وكانا معه في السجن . وحدث كما قال : فأطلق سراح الاول وردّ الى منزلته ، وقُطع رأس الثاني وعلّق نهباً للطيور . الآ ان رئيس السقاة نسي وعده ليوسف بان يذكره لدى فرعون . ومضت سنتان . واذا بفرعون يرى حلمين فلا يجد بين منجّمي مصر من يفسرهما له . الى ان خطر يوسف ببال رئيس السقاة فأجرى ذكره في مجلس فرعون . واتوا بيوسف ، فلم يتردد لحظة في الجواب : فالبقرات السبع السمان والسنابل السبع الممتلئة يعقبها سبع بقرات عجاف وسبع سنابل فارغة تمثل سبع سني شبع يعقبها سبع سني جوع . وأقدم يوسف ، بعد ذلك ، على اداء النصح لفرعون فأشار عليه بان يجمع المؤن اثناء سني الشبع لسني الجوع المقبلة .

يوسف قيم مصر . — ودهش فرعون لما ابدى يوسف من ذكاء ، فاختاره لساعته لتنفيذ مشروعه الاقتصادي . وتمّ تنصيبه في مرتبته باحتفال رسمي . وقال ليوسف بحضور كل حاشيته : « انظر قد اقمتك على جميع

ارض مصر » . ثم وضع في اصبعه خاتمه الخاص ليوقّع به كل ما يتّخذ من تدابير . واركبه احدى مراكبه وطاف به في اهم مدن البلاد ، والمنادي يسير بين يديه ويضطر الناس الى السجود امامه علامة الخضوع .

وحقق يوسف مشروعه ، فخزن ما استطاع من القمح في اهراء المدن ، فتوفر لديه منه ما لا يحصى ، لما كانت عليه الارض من الخصب. وزوّجه فرعون اسنات بنت كاهن اون فرزق منها منسى وافرائيم(تكوين ٣٩–٤١).

عشيرة يعقوب في مصر . — وعقبت سني الشبع سنو المجاعة وكانت هائلة ، فنفدت سريعاً مؤن الناس ، وعندئذ جاؤوا فرعون يطلبون الخبز ، فارسلهم الى يوسف: « انطلقوا الى يوسف فما يقله لكم فاصنعوه » (تكوين٤١ : ٥٥) . وفتح يوسف خزائن القمح وباع القمح للمصريين بيعاً ، فزاد بهذه الطريقة من ثروة فرعون .

وتفشّت المجاعة ايضاً في كل البلاد المجاورة ، فأخذت القوافل تقصد مصر طمعاً في مخزونها من القمح . ولم تنجُ ارض كنعان من المجاعة العامة ، فأرسل يعقوب ايضاً اولاده الى مصر في سبيل القمح ولم يُبق منهم عنده سوى بنيامين اصغرهم .

ولما دخل اخوةُ يوسف على اخيهم لم يعرفوه . فالسنين العشرة الاخيرة قد غيّرت من ملامحه ، والثياب المصرية التي كان يرتديها قد زادت في تضليلهم . ومع ذلك فلم ينتقم منهم ، ولم يطلب منهم سوى ان يُحضروا في الرحلة التالية بنيامين ، فأذعنوا لأمره وأتوه به ، مع ما أصاب يعقوب من ألم فراقه وجزعه عليه ، اذ كانت المجاعة لا تزال ضاربة اطنابها في البلاد . وبعد ان هدّدهم يوسف بابقاء بنيامين رهينة بين يديه رقّ لهم قلبه فعرّفهم بنفسه ، وكان صفحه تاماً ، حتى انه عرض عليهم ان يستوطنوا في مصر فيستفيدوا مما له فيها من مكانة رفيعة .

وسمح فرعون ليوسف بان يأتي بعشيرته الى مصر . الاّ ان يعقوب تردد ، لكنه لما تأكد من حقيقة ما بلغه من اخبار يوسف قال : « حسبي

ان يوسف ابني لا يزال باقياً . أمضي وأراه قبل ان اموت » . وكان العشب في كنعان يجف والعيون تنضب ، ويوسف يعدهم بأطيب الاراضي . فجاءت العشيرة عن بكرة ابيها بمواشيها واموالها ، وكان ذلك حوالى عام ١٧٠٠

وخصّهم يوسف في مصر بارض جاسان يحتلونها بقطعانهم ، وكانت خصبةً جداً ، تقع على الحدود شرقي النيل .

لا يخلو هذا التدبير من حكمة . فلقد قام هؤلاء الغرباء على الحدود الشرقية سداً للفراعنة ضد كل زحف يأتيهم من الشرق ، كما كانوا لهم اعواناً على كبح كل تمرد يأتيهم من رعاياهم ذاتهم . وسيظل العبرانيون في رغد وسعة في مصر ما حكمت سلالة الملوك الرعاة مصر . فيتحقق كلام الله ليعقوب: « لا تخف ان تهبط مصر فاني سأجعلك ثمّ أمةً عظيمة » (تكوين ٤٢–٤٧) .

اتصال الوعد . — عاش يعقوب سبع عشرة سنة في ارض جاسان . ولما شعر بدنو اجله دعا اليه اولاده وباركهم . وكان الوعد بالمسيح لا لرأوبين بكره ، ولا ليوسف ابنه المفضل ، بل ليهوذا : « لا يزال صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠) .

من يهوذا سينحدر الملك داود ، جدّ المسيح .

فوائد الاقامة في مصر . — كان الكنعانيون والعبرانيون من جنس واحد ، وكانت عاطفة الشعبين الدينية متقاربة . واخذت الصلات بين سكان كنعان وعشيرة يعقوب تشتد ، مما هدّد بافساد ديانة العبرانيين . فأتت الهجرة الى مصر سبباً خفّف الله به من خطر ذلك . فالمصريون والعبرانيون ليسوا من جنس واحد ، وديانة المصريين قامت على تعدد الآلهة ، مما سهل على العبرانيين ، وقد نزحوا لسكناهم الى بقعة نائية من البلاد فصلتهم عن السكان ، ان يحتفظوا بعبادة الله خالصة صافية .

ـ اقامت العشيرة في ارض خصبة كانت فيها في مأمن من المجاعة ، فنمت نموًا سريعاً لم تلبث ان انقلبت معه الى شعب هو « الشعب العبراني » فرأى ابناء يعقوب الاثنا عشر ذريتهم تتكاثر طبق وعد الله لابراهيم .

تحقق الوعد في ارض جاسان في واحد من عناصره الثلاثة ، فتكوّن الشعب وبدا للوجود في خطوطه الكبرى .

ـ انقلب العبرانيون من بدو الى حضر ، فاتخذوا عادات اهل المدن ، دون ان تزول مع ذلك غرائزهم القديمة . انما اخذوا يعيشون على الاقل على نمط آخر .

ـ هذه القبيلة البدائية ، ذات المدنية الاولية ، قد احتكت في مصر بمدنية عريقة زاهرة ، فأفادت كثيرًا . ولسوف يجني زعيم الغد من ذلك الاحتكاك معلومات زراعية ، وعلمية ، واقتصادية ، ويتعلم كيف تنشأ دولة منظمة ، وكيف يقوم دستور سياسي .

ليس في هجرة عشيرة من البدو الى مصر ما هو جدير بالذكر . الاّ انها مع ذلك قد أتاحت لذرية ابراهيم ان تعيش وتزدهر وتصير شعباً يطلق عليه التاريخ اسم « شعب العهد » .

الآباء والليتورجيا :

يرد في صلوات القداس ذكر ذبيحة اسحق ، التي ترمز الى ذبيحة المسيح .

ويرد في صلوات الموتى ذكر « حضن ابراهيم » كناية عن الملكوت السماوي والحياة الابدية .

وفي صلوات عديدة من الطقوس البيعية يطلق على ابراهيم اسم ابي ايماننا وابي المؤمنين .

هي صلوات طقسية عديدة استقت موضوعها من حياة ابراهيم ، الذي هو جد المسيح ، والذي كان اصلاً للشعب المختار .

ارشادات روحية :

يجدر بنا ان ننقلب من درس حياة ابراهيم الى انفسنا نفحص قيمة ايمانها : هل هو وليد العادة ورهين الوسط والتقليد ، ام هو عقيدة شخصية ويقين ينبع من ذاتنا ؟

وتعلمنا حياة ابراهيم ايضاً ان الله يفهم ضعفنا ، ولا يحوّل وجهه عنا لكثرة نقائصنا ، بل يطلب منا ايماناً سخياً معطاء . فحقيقة ايماننا تقاس بأثر ايماننا في حياتنا كلها .

ونستخلص من حياة ابراهيم ، مثالنا الحي ، ان لا نستقر على حال ، ولا ننام على ظفر ، بل علينا ان نفوز كل يوم بايماننا فوزًا ، حتى نصل كما وصل ابراهيم الى الذروة التي عيّنها الله لنا .

ويجب ايضاً ان يكون عملنا في حقل الايمان صادرًا من صميم الحياة. فايماننا نكتسبه في الحياة التي نعيشها ، وفي الوسط الذي نتقلب فيه ، حتى يشعّ المسيح منا ، فيكون ايماننا شهادة منا له . ولا نستطيع ان ندعو ابراهيم بحق ابانا الاّ على هذا الشرط .

للمطالعة

قال الكتاب في مديح ابراهيم واسحق ويعقوب :

ابراهيم كان اباً عظيماً لأمم كثيرة
ولم يوجد نظيره في المجد .
وقد حفظ شريعة العلي فعاهده عهداً .
وجعل العهد في جسده ، وعند الامتحان وجِد اميناً .
فلذلك حلف له ان الأمم سيباركون في نسله ،
وانه يكثر نسله كتراب الارض .
ويعلي ذريته كنجوم ،

ويورثهم من البحر الى البحر ،
ومن النهر الى اقصى الارض .
وكذلك جعل في اسحق ، لأجل ابراهيم ابيه ،
بركة جميع الناس والعهد .
ثم أقرّهما على رأس يعقوب .
آثره ببركاته ،
وورّثه الميراث .
ميّز حظوظه وقسّمها على الاسباط الاثني عشر .
(يشوع بن سيراخ ٤٤ : ١٩—٢٣)

عقد العهد



مُقَدّمة

كان ابراهيم الخطوة الاولى في سبيل العهد : فلقد حققه في الخارج على صورة ذبيحة قدّمها ، وفي الداخل على صورة اتحاد صميم مع الله .

وكان اسحق ويعقوب حلقتين أقل شأناً بين ابراهيم وموسى . الاّ انهما قاما بدورهما من تسليم بركة الله الى الأمة ، فساهما حقيقةً في التمهيد لعهد سينا ، الذي سيبلغ بالعهد القديم الى تمامه .

هو موسى وسيط هذا العهد . انه رجل عظيم ، وزعـيم جبّار ، وحامل رسالة ، وصاحب دعوة ، وقد امتزجت دعوته بشخصه حتى عُرف بها وعرفت به .

سيكون موسى موضوع هذا الدرس .

الزمان :

ولد موسى حوالى عام ١٣٠٠
تمّ الخروج من مصر على يده حوالى ١٢٢٥
مات موسى حوالى ١١٨٥

المصادر .

هي اسفار الخروج ، والعدد ، والاحبار ، وتثنية الاشتراع .

تتميز هذه الكتب بما تتضمنه من خليط روايات واخبار ووصايا ادبية وشرائع طقسية . فهي تنتمي اذًا الى كلٍّ من النوع التاريخي والنوع التشريعي .

وفيما سفر الخروج يروي حوادث الخروج من مصر وعقد العهد

في سينا فلا يكاد يتطرق الى غيرها ، نرى سفر الاحبار يقتصر على طقوس العبادة ، فهو مجموعة من المراسيم التشريعية تتعلق بالكهنوت والذبائح . كما ان سفر تثنية الاشتراع هو مجموعة من الاحكام الناموسية . اما سفر العدد فانه تاريخ التيه في الصحراء ، سواء قبل قادش ام بعدها . الاّ ان الروايات التاريخية فيه ناقصة متقطعة تتخللها بعض الاحكام الناموسية .

وقد سبق لنا الكلام عن هذه الكتب في بحثنا عن التوراة .

الفصل الأول

تهيئة الوسيط

١ — . مهبط دعوة الله .

اضطهاد العبرانيين :

كان يُخشى على هؤلاء القوم العائشين في بحبوحة وسعة ان تخمد فيهم جذوة الشوق الى الارض التي وعد الله بها اباهم ابراهيم : « اعطيك ارض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع ارض كنعان ملكاً مؤبداً » (تكوين ١٧ : ٨) .

وحدث حوالى عام ١٥٨٠ ان خلع الفراعنة المصريون الملوك الرعاة واستردوا الحكم من ايديهم . فكان لهذا الانقلاب السياسي أثره في وضع العبرانيين . ولقد ذكر الكتاب ذلك بقوله عن فرعون « انه لم يكن يعرف يوسف » .

ومنذ ذاك عامل فرعون العبرانيين معاملة عدائية . فكان لا بد له ، نتيجة لهذه السياسة الجديدة ، من الأخذ بأحد هذين الأمرين : الطرد او التشغيل .

وكان العبرانيون ، وقد احتلوا مع غيرهم من الشرقيين ارض جاشان شرقي النيل ، مصدر خطر لا يستهان به . فهم قائمون على الحدود يتطلعون الى الشرق حيث يكمن الخطر . فمن هناك قد يأتي غزاة جدد . ويُخشى ، اذا ما نشبت حرب مع الكنعانيين او السوريين ، ان ينضم العبرانيون الى الغزاة ، وهم من بني جنسهم ، عساهم ان يسترجعوا ما كانوا يتمتعون به من امتيازات . فالأفضل طردهم من حيث أتوا .

واذا ما طردوا من مصر فانهم سيعودون ولا شك الى ارض الميعاد ، فتتحقق هكذا خطة الله. الاّ ان عودتهم على هذه الصورة لا تتجلى فيها يد الله ، وتقع في ظروف سيئة بلا زعيم يقودهم وفي صعوبات كبيرة جمّة .

الاّ ان فراعنة تلك الحقبة ، وهم من سلالة رعمسيس ، كانوا رجال بناء وتشييد . وقد سخّروا رعاياهم في الاشغال الشاقة ليشيدوا المدن ويبنوا البنايات . فكان العبرانيون اصلح من رأوا لمثل هذه الاشغال . وتساءلوا : أوَ ليس استغلالهم في الاشغال الكبيرة أفضل من طردهم ؟

وهذا ما قرَّ عليه الرأي . الاّ ان خطر وجودهم ما زال ماثلاً امام أعين الفراعنة ، مما حداهم على اتخاذ الخطة المزدوجة التالية :

١ . توقيف نمو العبرانيين توقيفاً قاطعاً .

٢ . ابقاؤهم في مصر لتسخيرهم في البناء .

وجاءت تطبيقات هذه الخطة في السنين التي تلت ميلاد موسى على الصورة التالية :

— تسخيرهم في الاشغال : « ونغّصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر اعمال الارض . وجميع خدمتهم التي استخدموهم كانت بقسوة » . (الخروج ١ : ١٤) .

— قتل المواليد الجدد : « ... فان كان ذكرًا فاقتلاه وان كانت انثى فاستبقياها » (الخروج ١ : ١٦) .

العناية الالهية :

كان لهذه الاحكام نتيجتان اساسيتان :

١ . انها بعثت في القلوب الشوق الى ارض كنعان . لقد نزحت في الماضي جماعات متفرقة من العبرانيين الى كنعان لضيق الارض . الاّ ان الاكثرية الساحقة لم يكن ليخطر لها الرحيل ببال ، لما كانت عليه من رغد العيش ، فلم يكن لينقصهم السمك ولا القثاء والبطيخ والكرات

والبصل . ولسوف يذكرون ما حيوا طعم الخبز الطيب الذي أكلوه واللحوم المعدّة الفاخرة التي يسيل لها اللعاب :

« فتذمّر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا . فلمَ اخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع ؟ » (الخروج ١٦ : ٢—٣) .

« واشتهى الاخلاط الذين فيما بينهم شهوة ، فتابعهم بنو اسرائيل وبكوا هم ايضاً وقالوا : من يطعمنا لحماً . فقد ذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم . والآن فنفوسنا يابسة لا شيء امام عيوننا غير المن » (العدد ١١ : ٤—٦) .

لقد تعلقت قلوبهم بهذا البلد تعلقاً شديداً ، مع ما كان عليه اهله من النفور منهم والكراهية لهم .

وما كان لغير الاضطهاد ان يبعث فيهم الشوق الى الحرية والى ارض كنعان .

كان هذا الشوق خير معين لموسى ، مع المعجزات التي اجترحها ، على حمل العبرانيين على الانقياد له واتباعه ، كما كانت ذكرى ايام مصر شرّ ما لقي في الصحراء من اسباب التمرد عليه والتفرق عنه .

٢ . **تربية موسى** .— كان موسى من اولئك الذين قُضي عليهم بالموت منذ الولادة . ولكان ، في ظروف اخرى ، نشأ عبرانياً ذكي الفؤاد يرعى الغنم طول حياته ولا يذكر له في التاريخ اسم .

لم يصبه حكم فرعون اذاً بسوء . بل كان له أداة نجاة رفعته من الحضيض الى مرتبة الزعيم المطاع للشعب المختار .

لم تُلقه أمه عند ولادته الى النهر ، بل جعلته في سفط من بردي ووضعته بين الخيزران . ولما اقبلت بنت فرعون الى النهر لتغتسل أخذتها الشفقة على الطفل « واتخذته ابناً لها » (الخروج ٢ : ١٠) .

وتلقّن الطفل في القصر الملكي ما يتلقن الامراء المصريون ، من علم الحقوق ، والادارة ، والسياسة ، والحرب . سيتلقن كل هذه العلوم ، فيعدّ بها نفسه ليقوم غداً بدور الزعيم في شعبه .

كما وسيصير اهلاً لأن يتفاوض مع قبائل الصحراء ، اهلاً لأن يحارب الذين يقطعون عليه السبيل ، اهلاً لأن يرسي قواعد ذلك الناموس الذي أعطاه شعبه لكي يسوسه به حتى مجيء المسيح .

ما الذي خلّفته هذه التربية في نفس موسى من أثر ؟

— هل ظلّ عبرانياً ؟ لقد نشأ في حضن امه فعلمته محبة قومه منذ نعومة اظفاره . كان يُخشى مع ذلك ان تقوده تربيته الى التمصر . الاّ ان قتله مصرياً دفاعاً عن عبراني اظهر انه ظل عبرانياً .

— هل حافظ على ديانة آبائه ؟ لا نظن انه كان بمستطاعه ، وتربيته ما ذكرنا ، ان يحافظ عليها صافية خالصة . فكان لا بدّ من دعوة خاصة تأتيه ، ومن وعي جديد لرسالة الشعب العبراني : « انا إله ابراهيم واسحق ويعقوب » .

٢ . — دعوة موسى .

رواية الكتاب :

اراد فرعون ان يقتل موسى بقتله المصري فهرب الى الصحراء الى ارض مدين حيث تزوج ابنة كاهن القبيلة وصار راعي غنمها . وفيما كان يوماً يرعى غنمه تراءى له الله « في العليقة الملتهبة » .

وهذا بعض ما ورد في الرواية (الخروج ٣—٤) :

رؤيا موسى .

« وكان موسى يرعى غنم يترو حميه كاهن مدين فساق الغنم الى ما وراء البرية حتى أفضى الى جبل الله حوريب . فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة . فنظر فاذا العليقة تتوقد بالنار وهي لا

تحترق . فقال موسى : اميل وانظر هذا المنظر العظيم : ما بال العليقة لا تحترق . ورأى الرب انه قد مال لينظر ، فناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . قال : هاءنذا . قال : لا تدنُ الى ههنا . اخلع نعليك من رجليك . فان الموضع الذي انت قائم فيه ارض مقدسة . وقال : انا إله ابيك إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . فستر موسى وجهه اذ خاف ان ينظر الى الله .

«فقال الرب : اني قد نظرت الى مذلة شعبي الذي بمصر ، وسمعت صراخهم من قبل مسخّريهم ، وعلمت بكربهم . فنزلت لأنقذهم من ايدي المصريين ، واخرجهم من تلك الارض الى ارض طيبة واسعة ، ارض تدر لبناً وعسلاً ... والآن هوذا صراخ بني اسرائيل قد بلغ اليّ ، وقد رأيت الضغط الذي ضغطهم المصريون. فالآن تعال ابعثك الى فرعون واخرج شعبي بني اسرائيل من مصر » .

اعتراضات موسى

« فقال موسى لله : من انا حتى امضي الى فرعون واخرج بني اسرائيل من مصر ؟ قال : انا اكون معك .

« فقال موسى لله : ها انا سائر الى بني اسرائيل ، فأقول لهم : إله آبائكم بعثني اليكم . فان قالوا لي : ما اسمه ؟ فماذا اقول لهم ؟ فقال الله لموسى : انا هو الكائن .

« فأجاب موسى وقال : انهم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي بل يقولون : لم يتجلّ لك الرب . فقال له الرب : ما تلك التي بيدك ؟ قال : عصاً . قال : ألقها على الارض . فألقاها على الارض فصارت حية . فهرب موسى من وجهها . فقال الرب لموسى : مدّ يدك وامسك بذنبها . فمدّ يده فأمسكها فعادت عصاً في يده .

« فقال موسى للرب : رحماك يا رب اني لست احسن الكلام مذ امس فما قبل ولا مذ خاطبت عبدك . اني بطيء النطق وثقيل اللسان. فقال له

الرب : من الذي خلق للانسان فماً ، او من الذي يخلق الاخرس او الاصم او البصير او الأعمى ، أليس أياي انا الرب؟ والآن فامض فاني اكون مع فيك واعلمك ما تتكلم به .

«قال موسى : رحماك يا رب ، ابعث من انت باعثه . فاتّقد غضب الرب على موسى .»

بحث في دعوة موسى :

آ . ان ما تشيعه هذه الرواية فينا من شعور العظمة والرهبة انما يتأتى من اننا ندرك عنوةً ما بين الله وموسى من بون : « لا تدنُ الى ههنا » . بين الاثنين اذاً فاصل لا يمكن تجاوزه . هذا هو معنى كلمة القداسة هنا . فان لم يذكر سوى الفاصل المادي الذي هو الارض ، فذلك لأن الارض تستمد قداستها من سكانها . فليست هذه البقعة من الارض بمنفصلة عمّا يجاورها الاّ لأن الذي يسكنها منفصل عمّا حوله من خليقته .

ب . ليس موسى بالرجل الوحيد الذي لا معين له ولا مغيث ، ولا عمله بالعمل القائم بذاته الذي لا يستند الى غيره.فهو اداة تنسجم مع خطة الله في العالم ، وتنتظم في سياق احداثها . وقد ذكرنا انه لا بد لموسى ، وقد تركت تربيته في قصر فرعون في نفسه ما تركت ، ان يتلقى دعوة خاصة جديدة ، كتلك التي تلقاها ابراهيم قبل ستمائة سنة: « انا هو رب ابيك ، رب ابراهيم واسحق ويعقوب» .

وجاءت الدعوة الجديدة تربط فيما بين موسى وابراهيم ، في وحدة خطة الله . انه حلقة من سلسلة ، وخيط من نسيج . لقد قام الآباء بدورهم فكانوا الأصل والمنبت للشعب المختار . وها هو الشعب المختار يعهد به الله الى موسى ليقصد فيه مقصده ويتابع عمله . وها هو الايمان بوحدة الله يتسلمه موسى وديعةً يؤتمن عليها للاجيال المقبلة .

تتقدّم خطة الله خطوة خطوة. فليس للاداة الانسانية ، مهما جلّت ، من شأن وقيمة الاّ بالنسبة الى عمل الله . وبذلك نفهم ان غاية العمل

لا تتوافق دائماً وغاية العامل . وهي الحياة تسير سيرها دائماً الى غايتها .

ج . لا يكشف الله لموسى عن رسالته الاّ جزءاً بعد جزء : « تعال ابعثك الى فرعون واخرج شعبي بني اسرائيل من مصر » .

لم يطلب الله اذاً من موسى في بادئ الامر سوى ان يستأذن فرعون ليخرج العبرانيين من مصر . فلا كلام عن عهد ولا عن تشريع في سينا . اما قيادة الشعب فتلك مسألة لا تزال ، وان كانت مفترضة ، في عالم المجهول .

والسبب في سلوك الله هذا السلوك واضح : فلو انه كشف النقاب لموسى عن كل ما سيعانيه من اتعاب وما يعترضه من صعوبات ، لتسرب اليأس والقنوط الى قلبه . فلكل يوم همه ، ودعوة موسى ستتحقق على مراحل .

وقد كشف الله لموسى الآن عن المرحلة الاولى . حتى اذا ما لبّى الدعوة وضع الله يده عليه فما تركه الاّ في ساعة أجله .

وغني عن القول ان هذه الدعوة تكتنفها الاسرار وتزجّ في المغامرات ، كما كانت دعوة ابراهيم . الى اين ستذهب بموسى دعوته ؟ انه لا يعرف . انما يعرف ان عليه ان يصدر عمل ايمان فائق به يستسلم بثقة الى الله ، الذي سيسير به في طريق ذلك المستقبل المجهول .

د . هذه الدعوة الى قيادة العبرانيين تحدث في موسى حالة من التوتر الباطني تظهر على شكل حوار وجدال يدخل فيهما مع الله ، مما لا نجد له في دعوة ابراهيم مثيلاً .

لا نتوهمن ان الحوار قام بهذه الكلمات القلائل ودام هذه الدقائق المعدودات . فليس ذلك بالمعقول . لان الله لا ينزع منا الحرية ، ولا يأخذها بالعنف والقسر . والاّ لما اعطانا اياها . وقد تطلبت من موسى دعوته ان يقوم باعمال شاقة ويتعرض لمخاطر جسيمة . فهو لا يجهل ان العبرانيين شعب صعب القياد ، وانهم « غليظو الرقاب » . كما ولا يجهل

انه سيترتب عليه ان يقتحم على فرعون مجلسه ويقاوم مقاصده .

يحق لموسى اذاً ان يُعمل الروية . فدعوة مثل هذه تستدعي التفكير الطويل ، وتثور لها الاعتراضات الكثيرة القوية .

ه . ها هي اعتراضات موسى على دعوة الله :

خوف يشوبه التواضع . — يجيبه الله على خوفه بقوله ان سيؤتيه عوناً من لدنه : « انا اكون معك » . لكن على موسى ان يؤمن : فالعون لحدث مقبل غامض يقتضي الايمان .

جهله اسم داعيه . — لا يبغي موسى من سؤاله الثاني الرد على العبرانيين فقط ، بل ايضاً الدخول في حديث تعارف مع الذي امامه .

يريد موسى ان يعرف اولاً ما شأن الرب بالعبرانيين ، وما مبلغ سلطته عليهم ؟ ومن يكون ؟

ويكشف الله عن شخصه ، فيأتي اسمه ايضاً مصداقاً لرسالة موسى . ويعلن له قائلاً : « انا هو الكائن » .

العبرانيون لا يؤمنون . — يطلب موسى من الله آية بيّنة تكون للعبرانيين برهاناً قاطعاً على صحة رؤياه . فاذا بآية العصا وآية البرص .

« اني بطيء النطق ثقيل اللسان » . — يشكو موسى العيّ ، فيقول له الله : اخوك هارون « يخاطب الشعب عنك » . ثم يردف : « انا اعلمك ما تتكلم به » .

يأس موسى . — ذلل الله لموسى كل هذه العقبات . ومع ذلك فقد بقي متردداً : هل هو الخوف من المجهول ، ام الهلع امام الصعوبات ، ام الخشية من سلطان الله ؟ ويتوسل : « رحماك ، يا رب ، ابعث من انت باعثه » . الاّ ان الله كان قد وضع يده عليه فلم يعد من سبيل الى النكوص على الاعقاب . وقبل موسى الدعوة وعاد الى مصر .

و . سأل موسى الله عن اسمه ، وكان في اعتقاد الأقدمين ان اعلان الاسم يجرّ معه الاستسلام . وانه لمن العجب ان يقبل الله باعلان اسمه .

وكان في اعتقاد الأقدمين ايضاً ان الاسم يكشف عن حقيقة المسمى فهو لا يُلقى على صاحبه عبثاً ، بل يدل على صفة جوهرية له. فما معنى الاسم الذي ادلى به الله الى موسى ؟

انا هو الكائن .

الصفة الخاصة باله موسى هي اذاً الوجود : فهو موجود ، وبه يوجد كل موجود ، وبدونه لا وجود لشيء . هذا الانفراد بالوجود يتجلى بكل قوته عند المقابلة بين الله والآلهة الاخرى . فهذه لا قيمة لها ولا شأن ، لأن لا وجود لها . وسيقول صاحب المزامير بلاذع الكلام ما هو بمعناه :

أما أوثانهم ففضة وذهب
صنعُ ايدي البشر .
لها أفواه ولا تتكلم .
لها عيون ولا تبصر .
لها آذان ولا تسمع .
لها انوف ولا تشمّ .
لها أيد ولا تلمس .
لها ارجل ولا تمشي .

(المزمور ١١٥ او ١١٣ : ٤ — ٧)

ها هو المعنى التام لاسم الله المذكور : انا هو الله الذي لا إله الاّ هو ولا وجود لغيره ممن يدّعون انهم آلهة ويطلبون العبادة ، من امثال اولئك الذين ترون الآن في مصر وتجدون في كنعان غداً .

ز . سوف يتعيّن على موسى ، لتحقيق هذه الدعوة ، ان يستغلّ كل مواهبه الطبيعية ، ويستثمر كل مكتسبات تربيته . ولسوف يضطر ، نظراً لما ابتلي به من عيّ، ان يستعين بغيره، فيلجأ الى بلاغة هارون ، والى خبرة الاقدمين . فيظهر فيه هكذا عون الله وقدرته بأجلى مظاهرهما .

ونشعر ايضاً ان ما سيحققه موسى من مقتضيات دعوته ، بشتى الاشكال والصور ، سيكون له سبباً للاستغناء ، ومدعاةً للتسامي .

الفصل الثاني

عقد عهد سينا

– الخطوة الاولى في سبيله : الخروج .

غاية الله ان يعقد مع العبرانيين عهداً في سينا. وكانت الخطوة الاولى في هذا السبيل اخراج العبرانيين من مصر . هذا ما كان على موسى ان يقوم به ، فيعمل على اقناع فرعون بان يترك العبرانيين يخرجون ، وعلى اقناع العبرانيين بان يقبلوا بالرحيل عن مصر .

وعاد موسى من صحرائه الى ضفاف النيل والقلب يطفح بما سمع من كلام الله :

« امضِ واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم : الرب إله آبائكم تجلّى لي ، إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، وقال: آني قد افتقدتكم وما صُنع بكم في مصر . فقلتُ اني اخرجكم من مذلة المصريين الى ارض الكنعانيين... فيسمعون لقولك وتدخل انت وشيوخ بني اسرائيل على ملك مصر وتقولون له : قد وافانا الرب إله العبرانيين فنسير الآن مسيرة ثلاثة ايام في البرية ونذبح للرب إلهنا. وقد علمتُ ان ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية . فأمدّ يدي واضرب مصر بجميع آياتي التي اضعها فيها . وبعد ذلك يطلقكم » .

(الخروج ٣ : ١٦ – ٢٠)

لم يجد موسى في مصر من يحاسبه على جرمه القديم . فلقد تغيّرت الاوضاع الادارية واستوى على العرش فرعون جديد . الاّ ان موسى ابصر بوضوح ما سيلقى ، مما ينتظر كل زعيم ، من عذاب وتضحية . ففرعون كان ينظر اليه نظره الى مشاغب ثائر ، فقاومه ما استطاع . والعبرانيون

كانوا يمنحونه من ثقتهم بقدر ما لا تتعارض ومصالحهم ، فكانت الثورة عليه توشك ان تندلع في كل لحظة .

محاولات الاقناع :

لما دخل موسى بصحبة هارون على فرعون مصر — وهو اذ ذاك منفتاح — وحادثه في شأن الخروج ، أجابه فرعون : « من هو الرب فأسمع لقوله واطلق اسرائيل ؟ لا أعرف الرب ولا اطلق اسرائيل » .

ولا غرو ، فستفقد مصر برحيلهم اليد العاملة . ولذا نظر فرعون الى موسى شزراً : « لماذا يا موسى وهارون تعطلان الشعب عن اعمالهم ؟ امضوا الى اثقالكم ؟ »

ولم يتأخر القصاص . وهذه أوامر فرعون الى وكلاء العمل شديدةً صارمة : « لا تعطوا الشعب تبناً بعدُ ليصنعوا اللبن مثل امس فما قبل ، بل ليذهبوا هم ويجمعوا لهم تبناً. ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه امس فما قبل افرضوه عليهم ولا تنقصوا منه شيئاً ، فانهم مترفهون » .

وجاءت العواقب متصلة الحلقات : فقلّ انتاج اللبن ، وأصاب وكلاء العمل الاسرائيليين لأجل ذلك الضرب المبرّح . فشكوا امرهم الى فرعون فأجابهم : « انما انتم مترفهون ، ولذلك تقولون نمضي ونذبح للرب... لا تنقصوا من لبنكم شيئاً ، بل فريضة كل يوم في يومها » .

وانقلب العبرانيون الى هارون وموسى متذمرين ، وقد ساءت احوالهم وبدا لهم ان الله ، بعد ما اخذ بناصرهم ، قد تخلى عنهم : « ينظر الله ويحكم عليكما ، كما افسدتما امرنا عند فرعون وعند عبيده » (الخروج ٥ : ٢١)

انه الفشل لدى فرعون الذي رأى في موسى مشاغباً يقاوم مشاريع البناء التي يقوم بها ، وانه لدى العبرانيين الفتور الذي لن يلبث ان ينقلب الى عداوة صريحة . وعلى كل ، فهي الكارثة ولمّا يبدأ الله بخلاص شعبه .

« سيطلقهم بيد قديرة » :

قال الله لموسى : « الآن ترى ما اصنع بفرعون : انه بيد قديرة سيطلقهم » . وصرخ فرعون باحتقار : « من هو الرب؟ لا اعرف الرب ! »

سيكشف الله اذاً عن قدرته ، وبذلك يعلن عن نفسه انه اقوى من آلهة المصريين ، ولذا فهو بحق يطلب من فرعون ما يطلب . « ويعلم المصريون اني انا الرب اذا مددتُ يديَّ على المصريين واخرجتُ بني اسرائيل من بينهم » .وينزل الله بالمصريين ضرباته العشر :الضفادع ، البعوض، الذبان، الوباء ، القرح ، البثور، البرَد ، الجراد ، الظلام ، موت الاطفال (الخروج ٧ : ١٤)

هذه كلها طوارئ طبيعية معروفة لدى المصريين . فليست المعجزة فيها بل في ظروفها . فلقد نزلت بالمصريين على اشارة من موسى ، وظهرت في غير وقتها ، ووقعت جسيمة على غير المألوف ، وكان العبرانيون في منجاة منها .

وكانت الضربة الاخيرة القاضية ، اصابت فرعون والمصريين في الصميم ، فهزم الله فرعون واضطره الى السماح للاسرائيليين بالرحيل .

وكان لهذه الضربات صفة العقاب والقصاص ، نظراً لما أسماه الكتاب « بقساوة قلب فرعون » . الاّ ان الغاية الاولى من هذه الضربات كانت اظهار قدرة الله .

ونلاحظ ان هزيمة فرعون سارت خطوة خطوة ، فقبل بعد الضربة الرابعة بان يقدّم الاسرائيليون الى إلههم الذبائح علناً في ارض جاشان ذاتها . وبعد الضربة السابعة قَبلَ برحيل الرجال فقط الى الصحراء ، وبعد التاسعة قبل برحيل الرجال والنساء ما عدا الماشية والاموال . وبعد العاشرة قبل بالرحيل كله دون قيد ولا شرط .

وللضربة العاشرة صلة صميمة بشريعة الفصح (الخروج ١١ : ١ — ١٣ : ١٦) .

الفصح :

قرارات موسى

« في العاشر من هذا الشهر يتخذ كل واحد حملاً بحسب بيوت الآباء لكل بيت حملاً . فان كان اهل البيت اقل من أن يأكلوا حملاً فليأخذه هو وجاره القريب من منزله ، حتى يجتمع عليه عدد من النفوس يكفي لأكل حمل . حمل صحيح ذكر حولي يكون لكم من الضأن او المعز ، تأخذونه ، ويكون عندكم محفوظاً الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . فيذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل بين الغروبين . ويأخذون من دمه ويجعلون على عضادتي الباب وعتبته العليا على البيوت التي يأكلونه فيها . ويأكلون لحمه في تلك الليلة شواء نار بفطير مع اعشاب مرة يأكلونه ... ولا تبقوا شيئاً منه الى الغداة ، فان بقي شيء منه الى الغداة فأحرقوه بالنار . وهكذا تأكلونه : تكون احقاؤكم مشدودة ونعالكم في ارجلكم وعصيكم في ايديكم ، وكلوه بعجلة . انه فصح الرب » (الخروج ١٢ : ٣–١١) .

معنى الفصح ومرماه . — ليس الفصح مرورًا فقط وعبورًا ، كما تعني الكلمة ، بل هو بجوهره تعبير عن العهد بين الشعب المختار والله .

١ . للدم يلطخ عضادتيْ البيت معنى خاص : انه علامة الانتماء الى شعب والانضمام الى جماعة دينية . فالعبراني يعلن بذلك انه من اتباع الله وعبّاده .

٢ . عزّز الفصح روح الجماعة ، وان احتفلت به كل عائلة بمفردها وبين اعضائها .

٣ . على الاسرائيليين ان يأكلوه وهم على أهبة السفر ، متوجهين بانظارهم وآمالهم الى الصحراء والى سينا .

٤ . صان الله العبرانيين مما ضرب به المصريين ، واغناهم بما سلب المصريين اياه ، وبذلك اكتسب على شعبه حقوقاً . فكانت منه بادرة

عطف ومحبة تنم عن رغبته باقامة عهد سينا . وسيقول لهم : « قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على اجنحة النسور وأتيت بكم اليّ » (الخروج ١٩ : ٤) .

ولم يكن قبول الاسرائيليين بعقد عهد سينا سوى الجواب على هذه المحبة الالهية .

الرحيل :

مرّ الله ، فنزلت بمصر نوازل قدرته . فاذا بالبلاد كلها تضجّ بطلب رحيل الاسرائيليين . الى ان اصدر فرعون اخيراً امره بذلك .

ورحل الاسرائيليون بمواشيهم واموالهم حوالى عام ١٢٢٥ حاملين معهم ما استطاعوا من حلي المصريين وامتعتهم (الخروج ١٢ : ٢٩–٣٦) .

وها هو موسى يأخذ بزمام القيادة ، فيظهر زعيماً عظيماً ، يرى بوضوح ما يريد من غاية وما يجب ان يتخذ للغاية من وسائل واسباب . ويبدو ايضاً على جانب عظيم من الحكمة والحنكة والايمان الوطيد بعون الله ، وعلى مقدار كبير من قوة الارادة وعلو الهمة امام الصعوبات ، وعلى قسط وافر من الكفاءة والاهلية لحل المشاكل وتذليل الصعوبات.

الغاية والوسائل . — قرر موسى منذ الآن ، على ما يبدو ، ان يقود الشعب الى ارض كنعان . فهي شرقاً اقرب البلاد الى مصر ، وهي موطن اناس هم والعبرانيون من جنس واحد ، وهي على كلّ ارض الميعاد ، تلك التي وعد الله بها الآباء : « سأدخلكم الارض التي رفعتُ يدي مقسماً ان اعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب ، فاعطيها لكم ميراثاً ».

كان على اسرائيل ، وهو خارج من المدن التي كان يبنيها ، ان يسلك احدى الطرق الثلاث التالية :

— طريق الساحل .
— طريق الشرق ، وهي تمر ببير سبع الى كنعان .
— طريق الجنوب ، وهي اكثر الطرق طولاً .

ترك موسى طريق الساحل التي فيها لفرعون مراكز جنود ، ليأخذ طريق الشرق . الاّ انه ما بلغ الصحراء حتى انقلب راجعاً على الاعقاب ليأخذ طريق الجنوب . هل بلغه يا ترى ان الكنعانيين ، وقد علموا بقدوم اسرائيل ، اخذوا يستعدون لزحفه بما لا قبَل لرجال اسرائيل به ؟

واذا بجيوش فرعون تطلع عليهم وهم في المخيم الذي ضربوه قرب عبر السويس ، عند البحيرات المالحة . فهو سرعان ما ندم على تركه اياهم يرحلون : « ماذا صنعنا فأطلقنا اسرائيل من خدمتنا » . وتعقبهم بجنوده ظناً منه ، بعد ما علم ما كان من تغييرهم الطريق ، انهم يضربون في الصحراء تائهين ، فعلّل النفس بانتقام سريع .

الحكمة والايمان . — الحالة خطيرة والموقف حرج . ألوف من المشاة محصورون في سهل لا مخرج لهم منه . الموت محتم : فالبحيرات تمتد متصلة الحلقات بالبحر الأحمر ، والعبر لا يؤمن عبوره في كل آن ، وممرّ الجبال قد سدته مراكب فرعون .

وثار ثائر العبرانيين : « أمن عدم القبور بمصر أخرجتنا لنموت في البرية ؟ ماذا صنعتَ بنا فأخرجتنا من مصر؟ أليس هذا ما كلمناك به في مصر قائلين : دعنا نخدم المصريين ، فان خدمتنا لهم خير من ان نموت في البرية » (الخروج ١٤ : ١١—١٢) .

واتخذ موسى ، ليدرأ الخطر ، اجراءات سريعة حازمة :

بدأ باخماد الثورة : « لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب » .

ورفع الخيام عند المساء ، في ريح شرقية عاصفة .

في هذا الموقف تجلى ايمان موسى على اروع صورة.وعلى أمر من الله مدّ موسى يده الى البحر فانخفضت المياه . وظلّ القوم طول الليل يعبرون . وفي الصباح اقتحم المصريون العبر بدورهم فامتدت يد موسى الى البحر مرة اخرى وللحال عادت المياه الى مجاريها فأغرقت الناس والبهائم (الخروج ١٤ : ٥—٣١) .

العزم والحزم . — لا تخلو الطريق الى سينا من صعوبات وعقبات .
هو اولاً نقص المياه الحلوة : « ماذا نشرب؟ » . فجعل لهم الماء المر عذباً فشربوا وارتووا .

وهو الجوع اخذ يهددهم : « لمَ اخرجتمانا الى هذه البرية ، لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع ؟ » فأعطاهم موسى المن والسلوى .

ونقص الماء فيما بعد مرة اخرى ، فعطش الشعب وتذمروا على موسى : « لمَ أصعدتنا من مصر ، لتقتلنا وبنينا ومواشينا بالعطش ؟ » فقادهم موسى الى صخرة تفجرت عن يده ماء فشربوا .

الاهلية والكفاءة . — التقى العبرانيون ، وهم في طريقهم الى سينا ، بمحاربين غزاة اخصهم بالذكر العمالقة ، فحاربهم موسى بالسيف والصلاة حتى هزمهم .

واخذ ينظم شؤون الشعب . وانتهز فرصة زيارة قام بها له حموه يترو ، فقسَّم مهام الحكم ، عملاً بنصيحته ، بين عدد من الرجال اخذوا يقضون في خلافات الشعب باسمه ، وتفرغ هو ليباشر عمله التشريعي .

٢ . — العهد .

حوادث سينا التاريخية :

سينا هي شبه جزيرة شمالها هضبة صحراوية فيها واحة قادش ، وجنوبها ارض جبلية فيها سلسلة سينا (ويعتبر جبل موسى القائم في الشرق جبل العهد) . وقد اقام الشعب مدة في سينا ، فحدث اثناء اقامته من الحوادث التاريخية ما يلي :

آ . صعد موسى الجبل فعرض الله هناك عليه عهداً : « والآن ان امتثلتم اوامري وحفظتم عهدي فانكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب » (١٩ : ٥) .

ب . وقبل الشعب . فأمر الله بالاستعداد لعقد العهد يومين كاملين :

« فنزل موسى من الجبل الى الشعب وقدّسهم وغسلوا ثيابهم » (الخروج ١٩ : ١٤) .

ج . جاء الله الى سينا وسط عاصفة شديدة ، وأعلن الوصايا ، التي هي بمثابة ملخص لما يتعهد العبرانيون لله بحفظه . ورجع موسى الى الشعب واعلن لهم أقوال الله . فأجاب العبرانيون : « جميع ما تكلم به الرب نفعله ونأتمر به » . وعقد العهد وسط الذبائح . فأخذ موسى من دم الضحايا ورشّ به الشعب قائلاً : « هوذا دم العهد الذي عاهدكم الرب به » (الخروج ١٩ : ١٦ ؛ ٢٠ : ٢١ ؛ ٢٤ : ١–٨) .

د . وصعد موسى مرة اخرى جبل سينا ، ومكث هناك اربعين يوماً يستمع الى كلام الله ويتبصّر فيه، ويضع للشعب القوانين والانظمة . وقد دوّن الطقسيات ، ولا شك ، في تلك الحقبة .

ولم يطل بالشعب الامر حتى نقض العهد . فلقد حرّم الله عليه ، منعاً للوثنية ، ان يمثّله في شكل من الاشكال : « لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة » . الاّ ان موسى أطال غيابه ، فاستبطأه الشعب ، واجتمع على هارون : « قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا » . فطلب هارون منهم ان يأتوه بحلي نسائهم . فلما أتوه بها سبكها عجلاً . لم يريدوا ولا شك ان يمثلوا بالعجل إلهاً وثنياً ، بل الله بعينه . وللحال نصبوا مذبحاً وقدّموا عليه الذبائح ، وأولموا وليمة كبيرة رقصوا فيها الرقصات الطقسية . فكان العصيان الاول والمخالفة الاولى للعهد المقدس .

ه . ولما نزل موسى من الجبل وسمع الاناشيد ورأى العجل والرقصات « رمى باللوحين من يديه وكسرهما في اسفل الجبل » . وأنحى باللائمة على اخيه هارون ، ثم اقتصّ من الذين عصوا الله فسقط منهم بسيف بني لاوي ، الذين ظلوا مخلصين للعهد ، قوم كثيرون . وتكرّس الشعب لله ، ونال موسى ، بعد تضرع وتوسل ، عفو الله عن شعبه ، وتجدد العهد (الخروج ٣٢–٣٤) .

و . وانشئ هيكل العهد يومئذ على شكل تابوت صغير يحمل في الاسفار ، وعلى مثاله سيبنى يوماً هيكل اورشليم .

العهد :

اهميته . — في جبل سينا نشأ الشعب المختار ، وفيه كتب صك ولادته . ولقد هيأه الله بالعهد الذي قطعه قبلاً مع ابراهيم (تكوين ١٥) . وليس عهد سينا ذاته سوى صورة للعهد الحقيقي الذي سيعرضه يوماً على البشرية جمعاء ، كما ان موسى ، وسيط العهد القديم ، ليس سوى صورة للمسيح وسيط العهد الجديد .

من هنا يستمد عهد موسى اهميته للحاضر والمستقبل .

غاية موسى من العهد . — تتحقق ارادة الله على ايدي البشر ، وفي وسط البشر. فموسى هو رجل الله ، وهو ايضاً زعيم شعبه . وعليه ان يحكم ويقرر ويعزم ، على ما يرى .

لقد عمل برأي حميه يترو ، فقسّم الشعب كله الى وحدات من عشرة وخمسين ومئة وألف . ووضع على رأس كل وحدة رئيسها (الخروج ٣٨ : ٢١) .

هذا التنظيم ان هو الاّ تنظيم خارجي لا يزيل ما بين الناس من تفاوت واختلاف . اذ لم تتبع موسى عشيرةُ يعقوب وحدها ، بل كان هناك كثيرون من الساميين المضطهدين ، ومن المصريين وغير المصريين ممن يريدون ان ينزحوا عن ارض فرعون .

ليس بين هذه الالوف من وحدة. وليس ما يوحّد بين مختلف طبقاتهم سوى الدين . ومن الضروري ان يصهر الدين هذا الشعب كله في بوتقته منذ الآن ، قبل ان يدخل ارض كنعان . ومن هنا نشأت في عقل موسى ، طبقاً لارادة الله ، فكرة عقد عهد مع الله في حفلة رسمية ، فيطبع ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب بطابع خاص ، الى الابد .

نوع العهد :

« وصعد موسى الى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً : كذا تقول لآل يعقوب وتخبر بني اسرائيل : قد رأيتم ما صنعتُ بالمصريين وكيف حملتكم على اجنحة النسور وأتيتُ بكم اليَّ . والآن ان امتثلتم اوامري وحفظتم عهدي فانكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الارض لي ، وانتم تكونون لي مملكة احبار وشعباً مقدساً . هذا هو الكلام الذي تقوله لبني اسرائيل » (الخروج ١٩ : ٣-٦) .

هذا العهد هو حدث تاريخي ، وهو يد الله في حياة اسرائيل ، وهو عمل من ارادة الله . وقد صدر منه تعالى دون اي فضل من اسرائيل ، وقام على النعمة وحدها .

وهو ايضاً عمل من قدرة الله . فحقّ له تعالى ، بعد ان كان له مع المصريين والعبرانيين ما كان ، ان يفرض كل فرض، ويطلب كل مطلب .

ومع ذلك فالله لم يفرض العهد فرضاً . فبامكان العبرانيين ان يرفضوه كما رفضه قديماً رأس البشرية جمعاء فقال « لا » للذي جاءه بالسعادة .

ولم يُخف الله عن العبرانيين موضوع العهد ، فقال لهم اذ كانوا في مصر : « واتخذكم لي شعباً واكون لكم إلهاً » (الخروج ٦ : ٧) .

لهذا العهد اذاً صفة الشرط والصفقة ، به يتعهد اسرائيل بان يطيع الله في كل اوامره ونواهيه ، وبه يتعهد الله مقابل ذلك بان يتخذ له اسرائيل شعباً مختاراً يشمله بعطف خاص . حتى اذا ما نقض اسرائيل عهده كان الله في حلّ من كل وعد معه .

نتائج العهد :

آ . بهذا العهد وبقبول الناس له خلق موسى جماعة جديدة وشعباً

جديداً ، هو الشعب العبراني ، الذي سيسمى ، بعد سبي بابل ، بالشعب اليهودي .

ب . عامل الوحدة في الشعب هو التوحيد ، اي الايمان بالله الواحد . فتصبح الرابطة الدينية اساساً للرابطة السياسية . حتى اذا تراخت يوماً عقدة الوحدة الدينية ، كما في عهد القضاة ، صارت ايضاً عقدة الوحدة السياسية الى التراخي والانحلال .

ج . ينتمي هذا الشعب الى الله انتماء خاصاً : « انتم تكونون لي مملكة احبار وشعباً مقدساً » . شعب مقدس اي منعزل بايمانه بالله الواحد عن غيره من الشعوب ، فهو حقاً شعب الله (انظر ايضاً الاحبار ٢٠ : ٢٤ و٢٦) .

د . اضف الى ذلك ان هذا الشعب انما هو شعب الله لأن له دعوة خاصة . فليس عليه ان يحقق مطامع سياسية ، ان يوسع من رقعته في الارض ، ان يعلي من شأنه بين الأمم ، ان يعقد محالفات مع الدول . كلا . بل دعوته ، التي هي عنوان وجوده ، ان يكون حارساً لوديعة استودعها ، محافظاً على امانة ائتمن عليها : التوحيد . ولاجل ذلك عني الله بتربيته التربية الدينية الخاصة . جاء هذا الشعب من بلد وثني مكث فيه اربعة قرون ، فأصاب ايمان آبائه من اختلاطه بالوثنية فيه ما أصاب ، أفلا يميل بعد ذلك الى النظر الى الله نظره الى غيره من الآلهة ؟ فيعدّ إله سينا في مصاف غيره من الآلهة ، ويضعه بجانب غيره من الآلهة . لا نعجبنّ اذاً مما حدث ، عند غياب موسى ، من الانهيار الديني ، ولا مما نجده بعده في مواعظ الانبياء من التشديد الدائم والدعوة الملحّة لحفظ الوصايا العشر .

سيأتي يوم يضاف فيه الى مهمة حفظ الوديعة هذه مهمة اخرى هي اشعاع الايمان ونشره . فيكون الشعب المختار عندئذ قد بلغ سن الرشد والنضوج ، فحان وقت مجيء المسيح . وتكون هذه التربية الدينية قد اقتضت من الوقت الفاً ومائتي سنة ، وكلفت من الشهداء عدداً

عديداً . هذه المهمة الاخيرة ، التي هي اكتمال المهمة الاولى ، لم تكشف لموسى ، كما انها لن تكشف لشعب الله الاّ فيما بعد ، على توالي الايام .

هـ . قام موسى بدوره احسن قيام . فكان الوسيط ، اي الصلة بين الله والشعب . فبيّن لاسرائيل دعوته ، وأهاب به الى قبولها ، واخذ بيده في سبيل تحقيقها .

– كان يتصل بالله وهو وحيد فريد : «كن مستعداً للغداة ، واصعد في الغداة الى جبل سينا وقف لديّ هناك على رأس الجبل . ولا يصعد احد معك ، ولا يُرَ احد في كل الجبل» (الخروج ٣٤ : ٢–٣) .

– كان يشفع لدى الله لشعبه في الظروف الصعبة ، فيسكن من غضبه (سفر العدد ١٤ : ١٣–٢٥) .

– انه لا يكتفي بان يعرض على العبرانيين دعوة الله الخاصة ، بل يعدّهم لها وينشئهم عليها ، بكل صبر وثبات ، فيقوّم اعوجاجهم بيد من حديد ، ولا يألو جهداً حتى يقبل الشعب احكامه ويسير بموجبها . وقد أثار عليه من الحساد ، كما وألّب حوله من المخلصين ما كان من شأن كل زعيم . انه حقاً زعيم شعبه .

شروط العهد :

هذه الشروط هي الشرائع التي سنّها موسى للعبرانيين . وقد أتت على شكل ملحق للعهد ، لأنها لا تعدو ان تكون وسائل ووسائط لحفظه .

ولذا فهي قابلة للتحوير والتعديل ، او النسخ والالغاء ، على مرّ الايام ، دون ان يلحق بالعهد من ذلك اي ضير . فالعهد لا يتغيّر ولا يتبدل . انما يسير الى غايته ، فيبلغ بالمسيح تمام ازدهاره .

هذا هو معنى كلام المسيح : «لا تظنوا اني جئت لأحلّ الناموس او الانبياء . ما جئت لأحل بل لأكمل» (متى ٥ : ١٧) .

وليست كلمة الناموس هنا بمعنى التشريع . لأن المسيح سينقض الناموس والتشريع القديم، فيقول: «لقد قيل لكم... اما انا فأقول لكم ...» يجب اذاً ان نفهم كلمة الناموس الواردة في كلام المسيح السابق كمرادفة لموسى ، او ابالاحرى كمرادفة للعهد ذاته .

تتضمن كلمة « الناموس » بمعناها العام :

١ . الوصايا العشر ، في الدرجة الاولى .

٢ . مجموعة من القوانين الادبية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، من جهة ، والحياة الثقافية من جهة اخرى .

الوصايا العشر (الخروج ٢٠ : ١–١٧ ؛ تثنية الاشتراع ٥ : ٦–٢١) : نجد على رأس الناموس الوصايا العشر . فهي المبدأ الذي يستوحيه كل تشريع ، وينطبق على كل زمان ، وتنادي به كل الانبياء . وقد أجاب يسوع يوماً احد الشبان الاغنياء وكان قد سأله عمّا يجب عليه عمله ليربح الحياة الجديدة ، فقال : « احفظ الوصايا » (مرقس ١٠ : ١٩) .

التعليم المسيحي انما اثبت اليوم الوصايا العشر لأنها خلاصة حياة المسيحي الدينية والادبية .

الناموس بحصر المعنى :

آ . اصله وتطوره . — لموسى اليد الطولى في اصل التشريع كله . وقد جاء هذا التشريع ، الذي يطغي عليه اللون الادبي ، اساساً رفع عليه موسى صرح العهد . سوف تتغير الظروف على مرّ العصور ، وسوف تقتضي الوصايا تطبيقات جديدة . الاّ ان كل تحوير لاحق يجب ان يحتفظ ان لم يكن بحرف موسى فبروحه . ولذا فكل قانون يحدد العلاقات مع الله ، والروابط فيما بين الاسرائيليين ، وفيما بينهم وبين الغرباء ، يجب ان يرتقي الى موسى ، لان الناموس شرط العهد .

وقد مرّ التطور التشريعي في مرحلتين :

آ . مرحلة كتاب تثنية الاشتراع . — يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من القوانين ترجع الى آخر القرن السابع ، وفيها الاحكام الموسوية مع روافد من الانبياء .

فمركزية الطقوس هنا لم ترد بصريح الكلام في النصوص المعاصرة لموسى . الاّ انها غاية ، وقد استشفها موسى ، لحفظ الوحدة الدينية الاصلية . وكذلك محبة الله ، فان الكلمة لم ترد بحرفها الاّ في كتاب تثنية الاشتراع الذي يفرضها على الاسرائيلي فرضاً ، الاّ انها كانت متضمنة في الايمان بالتوحيد الذي يقتضيها .

ب . مرحلة سبي بابل . — كان لانهيار المملكة في عام ٥٨٦ ، وللسبي في اعوام ٥٨٦—٥٣٨ اثره في التطوير . فلقد قضت الظروف بان تتخذ اجراءات مشددة تكفل للعهد البقاء وتعزز مكانته . كما وكانت مجموعات القوانين آنذاك بحاجة الى من يضمّها الى بعضها ويعمل على تنسيقها وانسجامها ، حتى يجد فيها رجال ما بعد السبي الخطوط الاساسية لديانة التوحيد .

من هذا العمل ، الذي اكبَّ عليه اجيال من الكتبة ، نشأ الناموس الموسوي في صيغته الحاضرة .

ب . **الطابع الديني** . — للناموس طابع ديني يطغي على كل اقسامه . فالاسرائيلي هو ، اول ما هو ، عبدالله ، يؤدي لربه العبادة . حتى ان الشرق الساميّ بأجمعه لا يفرق بين الحياة الدينية والحياة الاجتماعية . والمرء الذي ينتسب الى الجماعة اليهودية فانه يحيا في حياته الشخصية ، كما وفي صلاته مع سائر الاسرائيليين ، طبق الشرائع الالهية : « قال الله لموسى ... »

الشرائع الادبية :

التوحيد يتنافى مع كل ما سواه . والوثنية محرمة فيه بكل اشكالها (الخروج ٢٠ : ٣) .

وعلى الاسرائيليين ، اتقاء لعدوى الوثنية المجاورة ، ان يهدموا كل المعابد الكنعانية التي يجدونها في ارض الميعاد (الخروج ٢٣ : ٢٤ ؛ ٣٤ : ١٣) .

يحرم اكل بعض الحيوانات ، ولا سيما تلك التي تقدسها الشعوب المجاورة ، وتعتبر نجسة . وقد يحرم غيرها للصحة والنظافة (الاحبار ١٠).

يقضي احترام الله بالامتناع عن التجديف والايمان الكاذبة (الاحبار ١٩ : ١٢ ؛ ٢٤ : ١٠—١٦) .

تذهب النفوس الى الله بالمحبة ، التي هي ، اكثر ما هي ، شكر لله ، وعرفان لجميله ، اذ اختار شعبه واصطفاه (تثنية ٦ : ٥) .

ويرسم سفر الاحبار ، فضلاً عن ذلك ، قواعد دقيقة للزواج ، منعاً لاختلاط الدم الاسرائيلي بغيره . ويعلّم احترام الوالدين (١٩ : ٣) وينهي عن الفواحش (٢٠) . هذه كلها انما هي وسائل تقربنا من الله وتشركنا في قداسته .

الشرائع الاجتماعية

يؤلف العبرانيون ، بسبب وحدة الايمان والعبادة ، عائلة واحدة . فكان لاحترام القريب شأنه الكبير في الجماعة الاسرائيلية . حتى ان هناك عدداً من القوانين لا غاية لها سوى شرح الجزء الاخير من الوصايا . هذه الاخوّة بين الاسرائيليين تبلغ تمامها وكمالها بالمحبة الاخوية : « احب قريبك كنفسك » (الاحبار ١٩ : ١٨) .

تتّسم علاقات الاسرائيليين بالغرباء في اكثر الاحيان بطابع العنف والعدا ، وذلك ابعاداً للاخطار التي يتعرض لها دين التوحيد بين الشعوب الوثنية .

تطغي الجماعة على الفرد. يبدو ذلك واضحاً في القانون الذي يقضي بان يتزوج رجل امرأة اخيه اذا كان اخوه قد مات عن غير ولد .

ويحمل المولود من هذا الزواج الاخير اسم الاب المتوفى . وقد اورد الشارع سبب ذلك الاجراء بقوله : « فلا يندرس ذلك الاسم من اسرائيل » (تثنية ٢٥ : ٦) .

وينهى عن القتل ، ويفرض فيه التعويض ، كما ويفرض التعويض في الضرب والجرح (الخروج ٢٠ : ١٣) .

ومن المحرم استعباد القريب ظلماً . وعلى وليّ عبد ان يرأف به ولا يسومه جوراً (الخروج ٢١ : ١٦) .

وينص بواضح الكلام على حق الملكية ، لكن في حدود المحبة . والسرقة محرمة وردّها فرض (الخروج ٢٠ : ١٥ ؛ ٢٢ : ١–١٤ ؛ احبار ١٩ : ١٣).واجرة العامل يجب ان تدفع في اوانها . وللفقير ان يجمع الباقي من القمح بعد حصاده ،والباقي من العنب بعد قطافه . وعلى الغني ان يحفظ العشر من حصاده للفقير (احبار ١٩ : ٩–١٠ ؛تثنية ١٥ : ٧–١١) .

الاّ اننا نجد بجانب هذه الاحكام التي تعزز روح المحبة نقائص عديدة :

– يحلل الطلاق وتعدد الزوجات .

– يقرّر الثأر : « حياة بحياة ، وعيناً بعين ، وسناً بسن ، ويداً بيد ، ورجلاً برجل » (تثنية ١٩ : ٢١) .

الشرائع الاقتصادية :

الارض لله . وعلى صاحب الارض ، اعترافاً منه بملكية الله هذه ، ان يريح الارض سنة كل سبع سنين . وما تنتجه الارض في تلك السنة من تلقاء ذاتها يُحفظ لله ليوزع على الفقراء . وهذه السنة تسمى بالسنة السبتية .

وكذلك يعتق العبيد في تلك السنة ويطلق سراحهم . ويبدو ان هذا القانون لم يطبق (ارميا ٣٤ : ١٣–١٤) .

الشرائع الطقسية :

صورة الله . — تحرم تماثيل الله خشية ان تؤدي بالناس الى عبادتها بدل الله (الخروج ٢٠ : ٤—٦ ؛ ٣٤ : ١٧) .

المعبد . — كان معبد الله في زمان موسى على شكل خيمة او خباء. وذلك لما كان عليه العبرانيون من حياة البداوة . وتسمى هذه الخيمة ايضاً « خيمة المجمع » و « خيمة المعبد ». وقد جاء هذا المعبد في هيئته العامة على شكل هيكل ساميّ .

ويشغل تابوت العهد الجزء الأكبر من هذا المعبد الموسوي . وتابوت العهد هذا هو صندوق وضع فيه موسى ألواح وصايا العهد ، ومن هنا جاء اسمه . وهو يرمز بصورته الحسية الى وجود الله بين شعبه .

الكهنة . — افرز الله بني لاوي لخدمته ، فهم كهنة العهد . لكن الكهنوت سيتطور فيما بعد تطوراً يبلغ درجة التمييز الصريح بين الكاهن واللاوي .

ومهمة الكهنة ان يذبحوا الذبائح طبق المراسيم الطقسية ، وان يبلّغوا الشعب اقوال الله وارادته .

الذبائح . — جاءت فكرة الذبائح الدموية من الشرق القديم . وهي تنقسم الى :

— ذبيحة تحرق فيها الضحية ، وهي ذبيحة المحرقة .

— ذبيحة تؤكل فيها الضحية ، يشترك فيها الانسان مع الله في وليمة مقدسة فيتحد الانسان بالله بواسطة هذه الذبيحة التي قدّمها الانسان وقدّسها الله .

السبت والاعياد . — أقدم الاعياد الفصح . وكان اولاً عيد الرعاة يقدّمون فيه من غنمهم بواكير الربيع . الاّ انه قد تضمّن فيما بعد معنى تاريخياً هو ذكرى الخروج من مصر .

ولعيدَيْ العنصرة والمظال ما لعيد الفصح من ازدواج المعنى : فالاول عيد بواكير الحصاد يرمز الى عهد سينا ، والثاني عيد الحصاد الاخير يندمج بذكرى مساكن الخيام في الصحراء .

يطلب الله يوم السبت التزام الراحة التامة .

بالختانة ينتسب الطفل الى الشعب المختار .

بين التشريع الموسوي والوحي الالهي :

آ. يلقي علينا ناموس موسى تعليماً عن الله :

ـ انه واحد : « لا إله لك غيري » .

ـ انه شخص ، اسمه « يهوه » .

ـ انه كائن روحي ، لا سبيل الى تمثيله بالمادة ، ولا يحلّ ذلك .

ـ انه قدّوس : اي انه منفرد عن خلائقه ، متعال عنها . الاّ ان كل ما له صلة به يشترك في قداسته : مثل جبل سينا حيث اقام ردحاً من الزمن، وموسى كليمه الذي يشعّ من وجهه بهاء باهر ، واسرائيل شعب العهد والوعد .

ـ انه ضابط الكل : سيد الارض ، رب الطبيعة ، مولى الشعوب والامم .

ب . من هذا التعليم عن الله يستمد ناموس موسى اهم خصائصه وميزاته . ولا شك ان موسى قد استعار اشياء كثيرة :

ـ فالشعور الديني يستطيع وحده ان يفسّر وجود الامكنة المقدسة والذبائح .

ـ قد يكون من صلة بين احكام كثيرة في ناموس موسى عن السرقة والديون والطلاق والعنف والعبودية ، وبين شرائع آسيا القديمة كشريعة حمورابي ، وشريعة الحثيين ، وقوانين آشور وبابل .

– الختانة والسبت كانا من تقاليد آباء الشعب العبراني .

– كان للطهارة منذ عهد ابراهيم مفهوم خارجي محض .

من هذا القبيل اذاً لم يأت ناموس موسى بجديد . اين اذاً ميزته ؟ ميزته في التعليم والايمان . فان شخص الله الواحد يسيطر على ناموس موسى كله . وكل ما استعاره موسى من عوائد قديمة ، ومن آثار غريبة ، قد ذاب وانصهر في بوتقة الوحي عن التوحيد . بذلك هو وحيد نسجه . حتى الاحكام المدنية ذاتها تندمج في الاحكام الدينية ، فتأتي معها على انها مثلها نتيجة العهد .

ج . يحمل ناموس موسى في جوفه بذار المحبة .

للخوف ايضاً مكانه ، لأن موسى يعرف انه ضروري . الاّ ان قانون الثأر يسجّل تحديداً للانتقام وحصراً له ، وبالتالي تقدماً .

قد تجرّ المسؤولية الجماعية الى عواقب وخيمة ، الاّ انها ليست هنا الاّ وسيلة عابرة لتحفظ للشعب المختار وحدته .

هذا ولا بد من تكرير القول بان للمحبة في ناموس موسى شأنها :

– ليس الخضوع الذي يقتضيه العهد ظاهرةُ عبوديةٍ ، بل عمل محبة.

– ومع ذلك فمبدأ المحبة وارد في الناموس بصريح العبارة : « لا تثأر لنفسك ، احب قريبك كنفسك » . ويصف سفر تثنية الاشتراع المحبة بعد ذلك بكلام اوضح ، قائلاً : « احب الرب إلهك بكل قلبك ، وكل نفسك ، وكل قوتك » . لا شك ان المحبة لم يكن يعمل بها الاّ بين المواطنين (انظر مثل السامري) . وقد انحرفت عن طريقها القويم الى نوع من الاحترام والاجلال هو بالخوف اشبه منه بالمحبة . ومع ذلك فقد انطلقت الشرارة الاولى واحب موسى الله بكل قواه . فما على الانبياء بعده سوى ان يتأملوا بالناموس ويدرسوه حتى يذهبوا بالنفوس الى مورد تلك المحبة الالهية التي ستصير يوماً ميزة المسيحي .

د . كانت مهمة ناموس موسى ان يعمل على تربية الشعب المختار .

نجد فيه الشعور بالله ، وبالآداب الاخلاقية ، وبالخطيئة . فهذه قيم دائمة ثابتة لم ينقضها الانجيل ولم يتخلّ عنها . ومع ذلك فهناك من الأحكام والشرائع ما يحمل على الاعتقاد بان ناموس موسى لا يحفل بالحياة الداخليـــة . ولذلك فهو لا يسمو بالنفس ، ولا يأنف من بعض العادات التي ننكرها اليوم كتعدد الزوجات ، واحكام الثأر ، ممـــا قد يقودنا الى ممارسة ديانة الاشكال والصور .

لـــكن تثنية الاشتراع يدعو بشدة الى الاستعدادات الباطنية (٤ : ٢٩ ؛ ٣٠ : ١١-١٤) ، ويوازي بين الطاعة والمحبة (٦ : ٥) . وقد أقام موسى ناموسه على اساس العقلية السائدة . فالقوم هم من اهل زمانهم ، لا يستطيعون ان يفهموا الفكرة الروحية ، وان يحسّوا بعواطف سامية . بل كانوا يسدّدون الانظار الى الحركة الخارجية الظاهرة لا يسترعيهم غيرها . فلنحاول ان نتفهم موسى في هذا الامر :

كانت غايته ، وهو يسنّ القوانين الادبية الاخلاقية ، ان يبعث في الناس عادات خارجية تتملكهم فتقودهم رويداً رويداً الى ما يجانسها من العواطف والافكار . فالطهارة الخارجية ، اذا ما مارسها المرء ، تعدّه خير اعداد لفهم طهارة القلب : « طوبى للطاهرة قلوبهم » . وقانون الثأر يحول دون التمادي في عاطفة الانتقام ويعدّ النفس لفهم الوداعة : « طوبى للودعاء » . وتبادل المعروف بين العبرانيين يمتد الى غيرهم ، ويوسّع من نطاق معنى القريب الى اقصى حدوده : « من هو قريبي ؟ »

كان ناموس موسى ، باستثناء الوصايا العشر وما يتعلق بها من القوانين الادبية الاخلاقية ، ناموساً موقتاً عابراً ، يقود النفوس الى كمال نسبي ، ويعدّ البشرية للعهد الجديد ، ذلك العهد الذي سيسمو بالنفوس الى القداسة الحقيقية : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو » .

ناموس موسى والعبرانيون :

اصبح اسم موسى مرادفاً لاسم ناموس . فكلمة : « موسى والانبياء »

هي مرادفة لكلمة : « الناموس والانبياء » .

فموسى هو مشترع العبرانيين .

وهذا الناموس، الذي ارسى موسى قواعده، قد طبع الشعب العبراني بطابعه . فكانت له اليد الطولى في تربية اسرائيل التربية الدينية ، وتوجيهه التوجيه الذي لن يحيد عنه . لقد تعثّر اسرائيل كثيرًا ما في سيره ، وزلت به القدم مرارًا ، وارتد في احلك الساعات عن الايمان برمّته أو كاد . الاّ انه كانت تقوم جماعة منه يسيرة فتقيله من عثرته ، وتبعثه بعثاً ، وتعيد اليه ايمان موسى ودعوته ، حتى يجيء المسيح .

وكان موسى المعلم، اذ أقامه الله على شعبه الخاص في الوقت المضروب مربياً ومهذباً ، فوضع بين يديه الكتاب الذي فيه الخلاص .

كان ناموس موسى اذًا امثولات الله للبشر ، وسيظل مفعولها حتى مجيء المسيح . ومـــا ابلغ الكلمة التي وضعها المسيح يوماً على لسان ابراهيم في مثل لعازر والغني : « ان لم يسمعوا من موسى والانبياء فولا ان قام واحد من الموتى يصدقونه » (لوقا ١٦ : ٣١) .

٣ – الخطوات الاولى للعهد :

قادش وموآب

يحقق الله خطته على مراحل. في سينا خلق كيان الشعب المختار ، ووضع له دستوره . بقي ان يعطيه ارضاً يسكنها . فلا سبيل للعودة الى مصر دون الوقوع في شرّ العبوديات . والبقاء في الصحراء لم يعد للشعب من طاقة على احتماله . ليس امامه اذاً سوى طريق العودة الى ارض آبائه ، ارض الميعاد.

بعد مرحلة سينا تبدأ اذًا مرحلة العودة الى ارض كنعان . تلك هي ايضاً مهمة موسى. فهو لن يترك الشعب وشأنه في هذه الصحراء، وسيتابع العمل على توطيد اركان العهد ، فليس لهذه المهمة غيره . وليس مثله

ليقود هذا الشعب الغليظ الرقاب الى ارض كنعان ، بما عرف به من عزم وحزم وصولة وسلطان .

في هذه المرحلة يتمرس اسرائيل في العهد ، وفي ناموس العهد ، فيخبر عظمة الغاية التي تطوع لها ، وعفو الله بعد السقطات الاولى .

المكوث في قادش :

طال المكوث في الصحراء عاماً واحداً رفع موسى بعده الخيام ، فقطع صحراء فاران حتى بلغ واحة قادش .

طلائع الاستكشاف الى كنعان (عدد ١٤) . — لم يلبث موسى ان بعث بطلائع الاستكشاف الى بير سبع (٨٠ كيلومتراً من قادش) للتعرف الى الطريق التي سيسلكها لدخول البلاد ، فعادوا بأسوإ الاخبار عن قامة الرجال ، وعن مناعة الاسوار التي تحيط بالمدن ، مما يكاد يجعل الفتح مستحيلاً .

وثار لهذه الاخبار ثائر القوم ، وشبت نيران الفتنة بينهم ، وكانت هذه المرة اشد من سواها واخطر ، حتى انه قامت محاولات لتعيين زعيم آخر يعود بالشعب الى مصر . حلّ طائش أملاه اليأس ، ينم عمّا عانى موسى من المشقة في اخماد الثورة وتهدئة الخواطر .

ولما ثاب الناس الى رشدهم جاؤوا موسى مقرّين بذنبهم مستغفرين . الاّ انهم أصروا ، رغم مخالفة موسى ، على دخول كنعان دون تأخير . لكن بعد فوات الاوان ، اذ كان الكنعانيون قد تنبهوا لأمرهم واخذوا حذرهم ، ولم يعد من مجال لمباغتتهم . فكان من نتيجة الحملة ان قتل من الاسرائيليين عدد كبير دون جدوى .

عمل موسى في قادش . — رأى موسى ان الشعب لا يزال يحنّ الى تلك العبودية الخانعة التي كان يهنأ بها في مصر ، فقرر ان لا يدخل احد من الجيل الذي شبّ في مصر الى كنعان (العدد ١٤ : ٢٠—٢٣) . .

فكان من نتيجة ذلك ان أقام الشعب العبراني في قادش اكثر من ثلاثين عاماً .

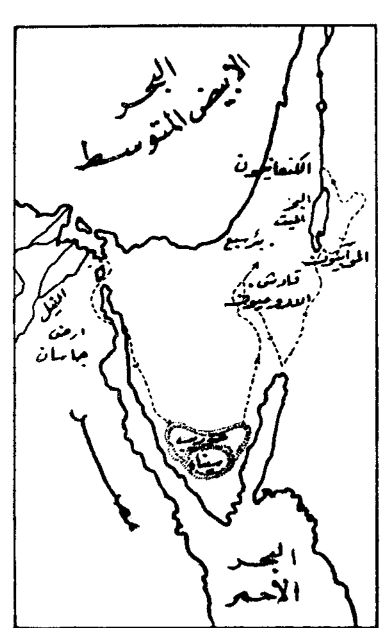
وفي قادش تابع موسى عمله ، وكان وجود تابوت العهد خير معين له على حفظ وحدة الشعب وتماسكه . وكانت قادش ، على ما يبدو ، مرحلة انطلاق للناموس الموسوي .

لم تكن قادش بالمهمة السهلة اليسيرة ، كما انها لم تكن للشعب بالمتنزه الجميل .

لقد اضطر موسى مراراً الى انزال العقوبات بالمخالفين العصاة والقبض بيد من حديد على الشعب ليظل سائرًا في الطريق التي انتهجها الله له .

الى ارض الميعاد :

طواف جديد في الصحراء . — لما رأى موسى ان الجيل القديم قد فني ، وان الجيل الطالع قد اشتدّ ساعده ، عاد الى ما صمم عليه النية اولاً من فتح ارض كنعان . وكانت طريق الجنوب ممتنعة عليه ، فلم يبقَ له الاّ السير نحو الشرق. ولذا فقد طلب من الادوميين ان يفسحوا له السبيل ، فأبوا . فقام بحركة التفاف دار بها حول جبال هور ثم صعّد باتجاه شرقي البحر الميت (العدد ٢٠) .



ونشبت على الطريق بين الشعب ثورا ت وفتن جديدة كان عقاب احداها شديداً، اذ اخذت

الحيّات المسمّة تفتك بالناس . الاّ ان موسى استطاع ان ينال العفو والغفران من الله . فكان كل من لذعته حية فنظر بايمان وثقة الى حية نحاسية نصبها موسى في وسط المخيم بأمر الرب ، نجا من الموت .

الفتوحات الاولى . — كان على موسى اولاً ان يعبر الاردن . فبدأ بمحاربة الاموريين الذين كانوا يحتلون ضفتيه . والارض التي كسبها في زحفه وزّعها على قبيلتَي جاد وروبين وعلى نصف قبيلة منسى ، على ان يساعدوا سائر الشعب على متابعة احتلال كنعان (العدد ٢١) .

في سهول موآب . — وحطّ الشعب رحاله بين قبائل الموآبيين الذين حاولوا مرتين دفع الغزاة عنهم :

المحاولة الاولى لها طابع ديني وقد اخفقت : فلقد ارسلوا الى بلعام الساحر ليلعن العبرانيين فلم يكن منه الاّ ان باركهم .

والمحاولة الثانية لها طابع اخلاقي وكادت تنجح . فلقد فسدت اخلاق العبرانيين لاتصالهم بالنساء الموآبيات اللواتي دخلن خيامهم . فتفشّت نتيجة لذلك الامراض المميتة والكفر .

واضطر موسى مرة اخرى ، وهي الاخيرة ، الى ان يلجأ الى العقوبات الدموية ليخلص مستقبل اسرائيل .

ايام موسى الاخيرة :

بلغ العبرانيون في زحفهم مشارف ارض الميعاد. الاّ ان الزعيم العظيم الذي قاد الشعب اليها لن يدخلها ، لن يدخل الارض « التي تسيل لبناً وعسلاً » وذلك لسبب غامض قد يكون بادرة ضعف بدرت منه في ظرف مجهول . انه يعرف ذلك ، وهذه هي الضحيّة الاخيرة يقدمها على مذبح العهد . ويعلن وصيته الاخيرة :

آ . عيّن يشوع بن نون خلفاً له في قيادة الشعب (العدد ٢٧ : ١٥—٢٢) .

ب . لخّص ولا شك ما سنّ منذ سينا من احكام وشرائع .

ج . ثم صعد جبل نبو ، ليسرّح الطرف في الارض التي حرم دخولها ، فيتعزى برؤياها من مرتقاه . ثم مات بعد ذلك بقليل ، حوالي عام ١١٨٥ .

الفصل الثالث

العهد والحياة الروحية

١ - موسى رجل حياة روحية صحيحة .

كان لموسى ، بوصفه وسيط العهد ، صلات دائمة مع الله . الاّ ان ما قام به من مهمة ينمّ عن حياة دينية قوية تتناسب وعظم المهمة وخطورتها.

استعدادات في النفس :

تتجلى كلها في عبادته . حسبنا لنرى ذلك ان نرجع الى دعوة الله الاولى له (الخروج ٣) . انه مشهد رائع يخيم عليه جو من الاحترام يتصل اتصالاً وثيقاً بفكرة القداسة : فالانسان ينعدم ويبيد في حضرة الله.

الصلاة :

صلاة مشبعة حباً .

— في سفر العدد ١٢ : ٦—٨ : « قال الرب : فماً الى فم اخاطب موسى وعياناً لا بألغاز وشبه الرب يعاين » .

— وفي سفر الخروج ٣٣ : ١١ « ويكلم الرب موسى وجهاً الى وجه كما يكلم المرء صاحبه » .

هي صلاة نزيهة مجردة عن محبة الذات ، صلاة توسل وتضرع . ولا غرو فمهمة موسى هي الوساطة والشفاعة .

وازن بين صلاته في عدد ١٤ : ١١—٢٥ وبين صلاة ابراهيم لاجل سدوم (تكوين ١٨).غاية صلاته القصوى ان يحقق ما يطلب الله منه .

الصداقة الحميمة مع الله :

ما كان موسى ليستطيع ان يتم مهمته لولا صلته الحميمة بالله .

اشرنا آنفاً الى صـــلاته المشبعة حباً . فلنبحث الآن في موضوع معرفته لله :

آ . كشف الله له عن ذاته في سينا لما دعاه الى اخراج العبرانيين من مصر(الخروج ٣ : ١٤).وما ذكره اسمه يومئذ لموسى سوى دليل على تلك الصداقة الحميمة التي اخذت تنشأ فيما بينهما .

ب . ولنا دليل آخر هو انفراده الطويل بمناجاته في جبل سينا قبل العهد وبعده (الخروج ١٩ و٣٤)،حيث كشف الله له مطاليبه ورغباته، كما وقدرته ومحبته . حتى ذهب الكتاب الى القول بان الله اعطى موسى لوحي الوصايا « مكتوبتين باصبع الله » (الخروج ٣١ : ١٨) .

ج . ولنمعن النظر بنوع خاص في طلب موسى رؤية الله : « أرني مجدك » (الخروج ٣٣ : ١٨)، وجواب الله له : « ويكون اذا مرّ مجدي اني اجعلك في نقرة الصخرة واظللك بيدي حتى أجتاز . ثم ازيل يدي فتنظر قفاي... » (الخروج ٣٣ : ٢٢—٢٣) .

ذكر الله له اسمه ، في سينا وبعد سينا ، وبذلك كشف له عن ذاته . وقد زاده معرفة عن نفسه بانه رحوم ، وطويل الأناة ، وامين (الخروج ٣٤ : ٥—٧) .

الاخلاص والوفاء للدعوة :

آ . لقد قبل بالتضحيات في سبيلها .

— في دعوته : فلقد مثل وحده بين يدي الله ، ولم يكن له في دعوته من سند سوى كلامه تعالى : « انا اكون معك » . وسيقول المسيح يوماً : « ولا اكون وحدي لأن الآب معي » (يوحنا ١٦ : ٣٢) .

— في اعماله : فلقد أسيء به الظن ، حتى تمرد عليه اولئك الذين اخرجهم من مصر ، ولم يحفظوا له يداً ، وحسده اقرباؤه وخذلوه . ونذكر بهذه المناسبة ما قاله الانجيل عن المسيح : « لأن اخوته لم يكونوا يؤمنون به » (يوحنا ٧ : ٥) .

— في موته : لقد مات وحيداً . فترك الجيل الجديد يدخل ارض الميعاد واكتفى هو منها بنظرة يلقيها عليها من بعيد . انها التضحية الكبرى التي ستخصب عمله وتضمن له البقاء .

ب . بذلك صار حقيقاً بأن يشبَّه بالمسيح : « قد كان موسى اميناً في جميع بيته كخادم ... اما المسيح فكالابن على بيته » (عبر ٣ : ٥–٦).

بذل الذات:

جاءت اعمال موسى كلها ثمرة اتصاله بالله . فلم يكن لدى هذا النبي الذي اكتحلت عيناه برؤية الله من فرق بين المحبة والعمل . فكان العمل ذاته لديه محبة . وليس من المستطاع ان نفصل شخصية موسى ، كما رسمها لنا الكتاب ، عن عمله . فهو وعمله واحد ، وانه لَكالدعوة المتجسدة ، وفيه يسير الحب والمعرفة معاً لا يفترقان .

هذا سبب رسوخ عمله وثباته . فقد عمل لله اكثر منه لنفسه . وليس لديه العهد ، والشعب ، والطقوس ، وما اليها ، سوى ظل المستقبلات ورموزها .

— هو الوسيط الاول . وقد سن الناموس ، وعقد العهد ، وقاد الشعب ، بما عانى من جهود وعذاب ، الى الحرية ، الى ارض الميعاد ، يحدوه على ذلك كله اخلاصه ومحبته . انه حقاً صورة المسيح والممهد للعهد الجديد (عبرانيين ٩ : ١٩).

— أنشأ موسى الشعب المختار وطبعه بطابعه . فقال المسيح ، ولم ير من حرج في قوله : « لا تظنوا أني اشكوكم عند الاب . لأن لكم من

يشكوكم : موسى الذي فيه رجاؤكم . فلو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بي لأنه كتب عني» (يوحنا ٥ : ٤٥—٤٦) .

ولما اراد المسيح ان يظهر ذاته لرسله ، وهو المسيح المتألم ، بانه ينتظم في سياق العهد القديم ، فقد تجلى امامهم وهو يتكلم مع موسى . وكذلك لما اراد ان يبعث الشجاعة في تلميذَي عماوس يوم الفصح فقد اخذ يشرح لهم الكتب التي تتكلم عنه ، ابتداء من موسى .

— والجماعة التي اسسها تمثل الكنيسة بروؤسائها (الكهنة) ، وبغايتها (العهد مع الله ومجيئ المسيح) .

سينقضي اثنا عشر قرناً قبل ان تنطلق كنيسة المسيح انطلاقتها في يوم العنصرة . الا ان الجماعة الموسوية كانت تحمل في جوفها منذ ذاك حصاد الغد .

لا تخلو الطقوس الموسوية من شوائب . ومع ذلك فهي تبشر بطقوس العهد الجديد . ولسوف يشيد صاحب الرسالة الى العبرانيين ، وهو يقارن بين الكهنوتين والذبيحتين ، بتفوق الكهنوت المسيحي والذبيحة المسيحية . فلا انقطاع بين العهدين بل تواصل ، والمسيح وحده يستطيع ان يقوم بما هو اعظم مما قام به وسيط العهد القديم .

للمطالعة

١ — هذه صورة لموسى رسمها يهودي من القرن الثاني قبل المسيح :

أقام من يعقوب رجل رحمة ،
قد نال حظوة امام كل البشر :
موسى كان محبوباً عند الله والناس ،
مبارك الذكر .
فآتاه مجداً كمجد القديسين ،
وجعله عظيما مرهوباً عند الاعداء .
بكلامه أزال الايات ،

ومجّده امام الملوك ،
أوصاه بشعبه ،
وأراه مجده .
قدسه بايمانه ووداعته ،
واصطفاه من بين جميع البشر .
اسمعه صوته ،
وأدخله في الغمام ،
اعطاه الوصايا مواجهة ،
شريعة الحياة والعلم .
ليعلم يعقوب العهد
واسرائيل احكامه .
(يشوع بن سيراخ : ٤٤ : ٢٧، ٤٥ : ١—٦)

٢ — وهذه صورة لموسى رسمها صاحب الرسالة الى العبرانيين :

فمن ثم ايها الاخوة القديسون المشتركون في الدعوة السماوية ، تأملوا رسول اعترافنا وحبره يسوع ، الذي هو امين لمن اقامه كما كان موسى في جميع بيته . فان هذا قد حسب اهلاً لأفضل من مجد موسى بمقدار ما كرامة باني البيت افضل من البيت . وقد كان موسى أميناً في جميع بيته كخادم، شهادةً لما سيقال. أما المسيح فكالابن على بيته (عبر ٣ :١—٦) .

٢ — موسى والليتورجيا

كان للحوادث التي اكتنفت العهد اثرها في تكوين صلاة الشعب المختار في طقوس عبادته ، والفضل في ذلك لموسى .

وجاءت الكنيسة فأعادت بدورها ذكر حوادث الخروج من مصر في صلاتها الرسمية ، لأنها فقهت معناها العميق .

طقوس العبرانيين :

انقلبت الاعياد الزراعية التي كانوا يحتفلون بها قديماً الى ذكرى خروجهم من مصر وسيرهم في الصحراء .

وقد ترك الفصح في طقوس الشعب المختار اكبر الاثر واعمقه .

ولسوف يحتفل الشعب كل سنة باحياء ذكرى هذا الحادث العظيم : « ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فتعيدونه عيداً للرب ، تعيدونه مدى اجيالكم فريضة ابدية» (الخروج ١٢ : ١٤) .

وفي زمان المسيح كان شهر الفصح، نيسان ، اول شهور السنة الدينية .

وكان للضربة العاشرة التي انزلها الله بالمصريين النتيجة التالية : كل ابكار العبرانيين هم خاصة الله ، ووقف على خدمته .

ولما تركزت خدمة تابوت العهد بعدئذ في قبيلة لاوي ، لحق الابكار بعامة الشعب ، على ان يفتدوا انفسهم بفدية . وهذا ما قام به يسوع يوم تقدمته الى الهيكل (عيد ٢ شباط) .

الطقوس المسيحية:

لم تهمل الكنيسة هذه الطقوس فادخلتها في صلب طقوس يوم الجمعة العظيمة وليلة القيامة .

— يوم الجمعة العظيمة ، يوم موت المسيح ، لأن المسيح هو حمل الفصح الحقيقي . تتلى على مسامع الشعب نصوص كثيرة من الكتاب المقدس عن حمل الفصح (الخروج ١٢ : ١—١١)، وعن سائر الاحداث التي ترمز الى آلام المسيح وموته .

— ليلة القيامة ، لما يتضمن العماد وحوادث السير في الصحراء من معان ورموز . تذكر الكنيسة في تلك الليلــة عشاء الفصح ، ودم

الحمل الذي لطخت به ابواب العبرانيين ، وعبور البحر الاحمر ؛ وترمز شمعة الفصح الى عمود النار في الصحراء ، والى المسيح نور العالم. والكنيسة اذ تعرض في طقوسها على مسامعنا وامام عيوننا حوادث العهد القديم ، انما تذكرنا بما تشير اليه وترمز من حياة المسيح. فنفهم فهماً اعمق تاريخ خلاص البشر .

٣ — نحن وموسى

درسنا حياة موسى في ذاتها ، وفي صلتها بالمسيح . لكننا بذلك لم نستنفد كل معناها . فهي ، كحياة ابراهيم ، غنية بالمواعظ والارشادات لحياتنا الشخصية .

حرية الانسان وارادة الله:

هل من سبيل الى التوفيق بين حرية الانسان وارادة الله ؟ سؤال لدينا الجواب عليه في حوادث كثيرة من حياة موسى .

اراد الله ان يقيم من موسى مخلصاً لشعبه ووسيطاً للعهد ، واراد فرعون ان يهلك كل مواليد العبرانيين من الذكور . فكيف السبيل الى التوفيق بين ارادة الله وارادة فرعون ؟

لن يُخضع اللهُ ارادة فرعون العاصية بالقوة فلا ؛ اكراه عند الله ولا قسر. الا انه سيحسب لها حساباً في خطته ، ويجعلها اداة لتتميم مقاصده ، فينقلب امر فرعون بقتل الطفل الى اداة الله لخلاص الطفل وتهيئته لدعوته.

الدعوة :

تقتضي الدعوة استعداداً طويلاً .

هو الله يدعو الانسان ويعده لتلبية الدعوة. فيسخّر كثيراً ما لذلك حتى اعظم الحوادث العالمية . وليس من جواب على ما يعترض سبيل كل دعوة من صعوبات وعقبات افضل من جواب الله لموسى : « انا اكون معك » . وعلى كل فهو الله يعمل فينا عمله : « انا اعلمك ما تتكلم به » .

وكثيراً ما يرى العقل الغاية ويهتدي اليها ، دون ان يتحرك لها القلب وتقبل عليها النفس : « رحماك يا رب ، ابعث من انت باعثه » (لكن لا انا) .

فصحنا :

١ — كان يجب على العبراني ليخلص ان يصم بيته بوصمة الدم . ونحن ايضاً يجب علينا لنخلص ان نصم انفسنا بوصمة العماد ، التي هي وصمة الدم ايضاً ، دم المسيح . فيمر الله عندئذ في حياتنا ليخلصنا من عبودية الخطيئة .

٢ — الا ان ذلك لا يكفي لاننا ضعفاء مفتقرون الى القوة . فيأتينا سر القربان بهذه القوة ، لأنه حقاً عشاء الفصح ، عشاء الجماعة المسيحية كلها ، الذي ينفحنا قوة المسيح .

٣ — عشاء الفصح هو عشاء الجماعة ، فتصلنا الافخارستيا بالمسيح وبكل عضو من الجماعة المسيحية ، جسمه السري .

٤ — كان العبراني على اهبة السفر . فعلى المسيحي ايضاً ، وقد تناول المسيح ، ان يكون على اهبة السفر ، ليحقق في ذاته سر الخلاص ويحمله الى غيره .

٥ — كان عشاء الفصح يشير لدى العبرانيين الى الانعتاق ، الى الخروج من العبودية الى الحرية . فعلى مناولتنا ان تحقق هذا المعنى ، فتكون لنا ، بواسطة اتحادنا بالمسيح ، مرحلة جديدة من مراحل خروجنا من عبودية الخطيئة الى حرية ابناء الله .

العهد الجديد :

١ — يرمز العهد القديم الى العهد الجديد .

ما كاد موسى يخرج من حديثه مع الله على الجبل حتى بادر الى

كتابة ما سمعه منه . ثم ذبحت الذبائح ، التي كانت تسبق دائمــاً عند الاقدمين الاحداث العظيمة (التكوين ١٥) . فوضع موسى نصف الدم في آنية ، وسكب النصف الآخر على المذبح . ثم اخذ كتاب العهد وجعل يقرأه على مسامع الشعب ، والشعب يجيب: «كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به » . واخذ اخيرًا من الدم ورشه على الشعب قائلاً : « هوذا دم العهد الذي عاهدكم الرب به ...» (الخروج ٢٤ : ١–٨) .

نجد كل ذلك في العهد الجديد . نجد الدم علامة العهد ، لكن الدم هنا هو دم المسيح يقدمه لرسله : « خذوا اشربوا ... » (اقرأ الرسالة الى العبرانيين الفصل التاسع) .

واليوم يعقد كل منا عهده الشخصي مع الله ، وذلك بالعماد ، بدم المسيح .

– وتظهر هذه الصلة الوثقى بين العهدين في حادث آخر : فلقد خرج ايضاً مع موسى من مصر خليط من الغرباء ساروا مع العبرانيين الى سينا . هي محاولة انفتاح من العهد القديم على غير العبرانيين سوف تبلغ تمامها في العهد الجديد، اذ يفتح ابوابه على مصاريعها للبشرية جمعاء .

٢ . تتجلى لنا في حياة موسى طرق الله وسبله مع البشر. فهو يعمد الى المرء فيأخذه على علاته ، ولا ينفك يهذبه ويسمو به ويعمل فيه عمله.

هكذا صنع الله بالعبرانيين . انه جعل منهم شعباً ، وربّاهم على اساليبه ، رويداً رويداً ، بصبر وتؤدة . فلم يغيّر من حالتهم بمعجزة من قدرته ، بل اقتضى منهم ان يعملوا معه على تقدمهم . ان العبرانيين معاصري موسى هم من ابناء القرن الثالث عشر قبل المسيح ، ومن ابناء الشرق ، ومن ابناء آباء لهم طباعهم وعاداتهم المعروفة ، ومن ابناء مدنية معيّنة . فهم ابناء زمانهم ومكانهم . فأخذهم الله على علاتهم ، التي استخدمها اداةً لرفع مستواهم الى غاية يريدهم لها . هذه الغاية كانت في اول امرهم مقتصرة على العهد وما اليه من الاسباب القريبة الدانية .

فأكب الانبياء على تفهمها والتبصر بها والغوص الى اعماقها واكتشاف غناها . ولم تزل هذه الغاية ترتقي على مرّ القرون وتسمو حتى بلغت الذروة التي رفع عليها المسيح فيما بعد « عظة الجبل » .

ونخلص من نهج الله في تربية شعبه الى العبرة التالية : لا بدّ لكل رسالة ، ولكل تربية ، من بعد نظر وطول أناة .

٣ . ذعت الصعوبات التي لقيها موسى في بدء رسالته ، كما تدعو الصعوبات كل زعيم ، الى التواضع والثقة بالله .

وما كاد موسى يعقد العهد مع الله حتى انفرد على جبل سينا يعمل الروية ويقدح زناد الفكر والتأمل في احكام الله . واذا بالشعب ، وقد أعيته روحانية الله عن تمثله حسياً ، يصنع العجل الذهبي صورة مادية لله . لقد نقضوا العهد ولما يبدأ ، ونكثوا بوعودهم بُعيد ان ابرزوها بحماسة.

سيعاقب موسى المذنبين اشد العقاب . الاّ انه سيحظى من الله بعفوه عن الشعب ، فيجدد العهد . ومع ذلك فلم يتمالك موسى من الشعور بالخزي لما جرى ، اذ رأى عمله على وشك الانهيار ولمّا يبدأ . ولذا فلن يصبه الغرور فيما بعد . ان حضوره ولا شك ضروري لكي ينجز ما بدأ به من عمل . الاّ ان هذا العمل يفوته ويتعداه ، لأن العامل الحقيقي له هو الله .

٤ . لا بدّ لحياتنا الدينية من اشكال واحكام وقيود .

— للديانة المسيحية قوانين واحكام تقيد ارادتنا . الاّ انها ، اذا ما قبلنا بها وعملنا بموجبها ، لا تلبث ان تتحول الى اداة تنظيم لحياتنا ، ومصدر قوة لنشاطنا .

— لا اسهل من ان نرفض حرف القانون بحجة اننا نأخذ بروحه . والحقيقة اننا انما نفعل ذلك للتحرر من القانون ذاته ، لما نجد في ممارسته من مشقّة وعناء .

– الناموس المسيحي هو للمسيحيين ما كان الناموس الموسوي للعبرانيين . انه المرشد والمعلم . وهو يقودنا الى المسيح بطرق قد نجدها وعرة المسلك . الاّ انها تمدّ حريتنا بالعون ، وتسعف محبتنا بالعضد . فما الناموس الاّ قانون السير : انه يمنع ويقود ويرشد ، حتى اذا ما بلغنا به الغاية زال ، فلا يبقى الاّ المحبة .

العهد
في صميم الحياة



الفصل الأول

العهد في خطر

يشوع والقضاة

عقد موسى العهد ، فبقي على الشعب ان يعيشه .

ستكون الاعوام المائة والخمسون التي تلت موت موسى سني تردد وتذبذب ، فالعهد في خطر .

وتبدأ مع الملوك حقبة ساد فيها العهد ، رغم بعض الظواهر ، على الشعب المختار .

قبل داود بالعهد قبولاً تاماً . ثم عمل الانبياء على تفهمه تفهماً اعمق ، وعلى عيشه عيشاً اكمل . وتمّم العذاب ما بقي .

الزمان :

ـ بدأت حقبة الخروج حوالى عام ١٢٢٥ ، ودامت حوالى اربعين سنة ، وكان الدخول الى ارض كنعان حوالى ١١٨٥ ؛

ـ وبدأ شاول ملكه حول عام ١٠٣٥ ؛

ـ ويمتد تاريخ يشوع والقضاة قرناً ونصف قرن ، ويشغل حقبةً من الزمن تتراوح بين ١١٨٥ــ١٠٣٥ .

المصادر :

دوّنت احداث هذه الحقبة من تاريخ الشعب في الكتب التالية : يشوع بن نون ، والقضاة ، وصموئيل في كتابه الاول (١ــ٧) .

نوعها الادبي . — تنتمي هذه الكتب الثلاثة الى مجموعة الكتب التاريخية . الاّ ان التاريخ لم يكن له في ذلك الزمان من الدقة والتلوين ما له في يومنا الحاضر. فقد كان يتضمن تقاليد قديمة سردت وقائعها مع ما تقتضي من التزيين والتنميق . ثم جمعت الحوادث المذكورة على أساس فكرة معيّنة يبغي المؤلف تدعيمها بالوقائع .

ونجد فيها ايضاً قطعاً مأخوذة من كتب من نوع ادبي آخر ، مأخوذة مثلاً من « كتاب البار » حيث القطعة الشهيرة عن يشوع يوقف الشمس (يشوع ١٠ : ١٣) .

ويذهب تاريخ هذه الحقبة من الزمن حتى بداية كتب صموئيل ، التي سيرد الحديث عنها فيما بعد .

قدمها . — تستخدم كتب يشوع والقضاة وثائق قديمة جداً .

يرتقي عهد صيغتها النهائية الى نهاية عهد الملوك ، اذ اخذ المؤلف ، تحت تأثير كتب تثنية الاشتراع والانبياء ، يستخلص من تاريخ الشعب المختار العبر الدينية .

ملاحظات اضافية . — لن نلتقي في هذه الحقبة بشخصيات تضاهي ابراهيم في زمن الآباء، وموسى في زمن الخروج .فلم يكن ليشوع وصموئيل، وهما من اهم رجال تلك الحقبة، ما لذينك من القدر والشأن . ومع ذلك فقد قام كلّ في مكانه بدوره ، وساهم كلّ في تحقيق خطة الله ومقصده . انهم جميعاً خلفاء موسى وحاملي لوائه ومتابعي عمله .

تتجلى لنا في هذه الروايات حياة الشعب المختار ، في كل مظاهرها ، من صعوبة الفتح الذي كافحوا في سبيله ، والاخطار التي تعرض لها وجود الأمة ذاتها ، والاعمال التي قام بها النشاط الديني ؛ ومن ايمان عميق وسقطات مريعة ؛ ومن اخلاص لله وانحياز الى آلهة البعل . هو الشعب ينبض حياة في هذه الصفحات من تاريخه .

الوسط الجغرافي : ارض كنعان

حدودها . — في الشمال سهل البقاع ، في الجنوب النجف ، في الشرق البادية السورية ، في الغرب البحر الابيض المتوسط .

مناطقها . — نذكر منها اربعاً تمتد من الشمال الى الجنوب ، منحصرة بين سوريا وسينا :

— سهل شارون الساحلي الذي يتصل في الجنوب بسهل شيبيلاح ، وتفصله هضبة الكرمل عن سهل فينيقيا .

— تشمل المنطقة الجبلية جبال الجليل (الكرمل ، طابور) ، وجبال السامرة (ايبال ، جريزيم) ، وجبال يهوذا (صهيون) . ويفصل سهل يزرائيل بين جبال السامرة وجبال الجليل .

— سهل الاردن (الغور) الذي يمتد من بحيرة جنّاشر الى البحر الميت ، بعرض ٥ كيلومترات في الشمال ، و٢٠ كيلومتراً تجاه اريحا .

— جبال شرقي الاردن : جبال باشان ، وجلعاد ، ومؤآب .

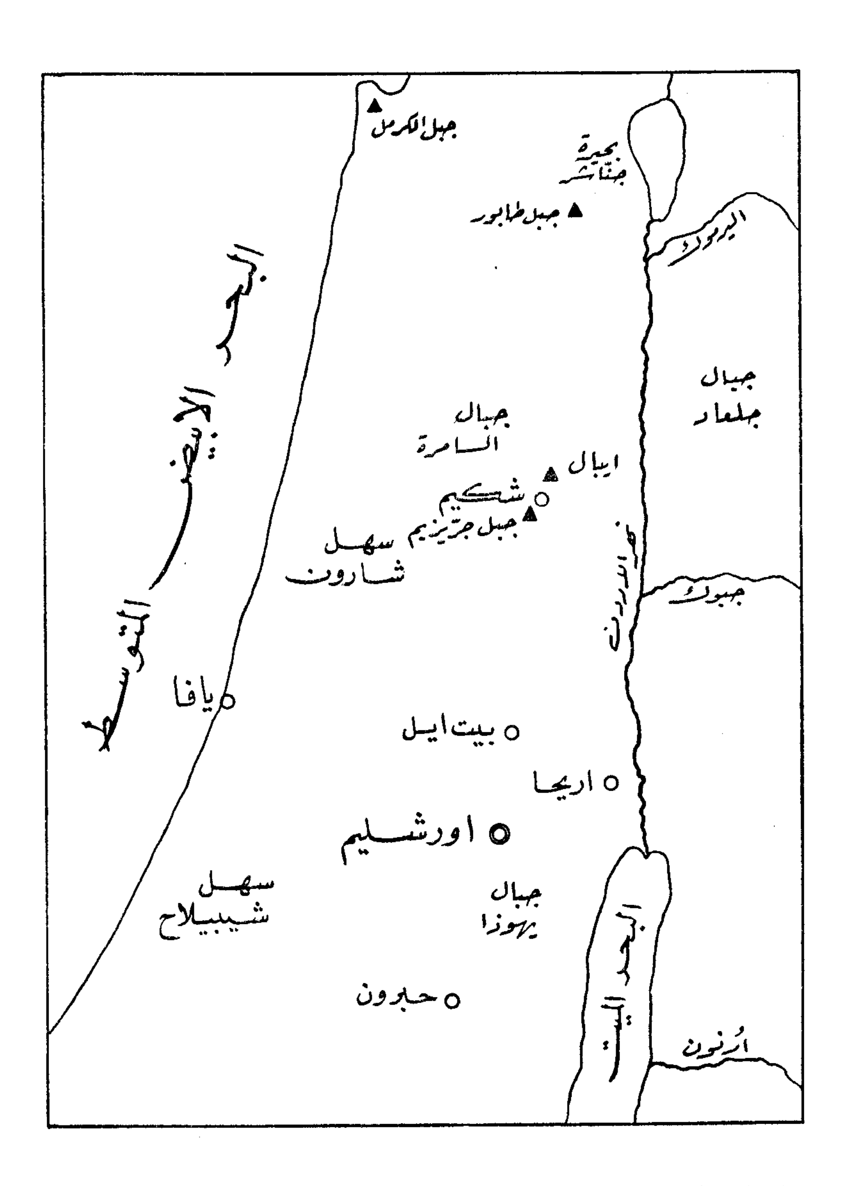
انهرها . — تشرب طبقتها الكلسية كل مياه الامطار . ولذا فمعظم الاودية فيها تبقى جافة طول السنة ، الاّ بُعيد عاصفة .

يسيل الاردن من الشمال الى الجنوب ، فيكوّن اولاً في طريقه بحيرتين : بحيرة ميروم ، وبحيرة جناشر . ثم يسيل دون انقطاع حتى البحر الميت ، فيصب فيه بعد مجرى طوله ١١٢ كيلومتراً .

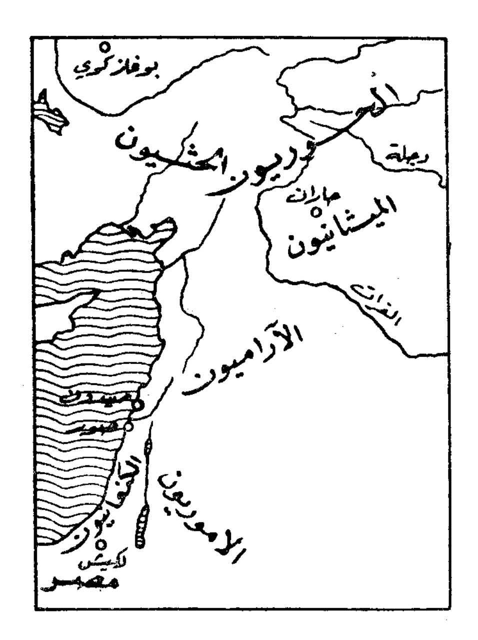
المدن الهامة . — بير سبع ، حبرون ، يابوس (اورشليم) ، اريحا ، شكيم ، بيت ايل .

الاطار التاريخي لهذه الحقبة :

كانت شعوب كنعان في انحاء القرن الحادي عشر قبل المسيح تتألف من :



جبل الكرمل
بحيرة جناشر
جبل طابور
اليرموك
البحر الأبيض المتوسط
جبال جلعاد
جبال السامرة
ايبال
شكيم
جبل جرزيم
سهل شارون
نهر الاردن
جبوك
يافا
بيت ايل
اريحا
اورشليم
سهل شيبيلاح
جبال يهوذا
حبرون
البحر الميت
أرنون



١ . الكنعانيين : شعب سامي ينحدر من هجرة طغت في الألف الثاني على شعب قديم .

٢ . الاموريين : كانوا يؤلفون يومئذ مملكتين بين بحيرة ميروم والبحر الميت .

٣ . العمونيين والموآبيين : انسباء للعبرانيين ، وكانوا يؤلفون هم ايضاً مملكتين على كل ضفة من الأرنون .

٤ . الادوميين : ينحدرون من صلب عيسو ، وقد استوطنوا جنوبي البحر الميت ، على كل من ضفتي الغور . وكان العبرانيون يكنّون لهؤلاء واولئك كل احتقار (التكوين ١٩ و٢٥) .

٥ . المديانيين : قبائل من البدو تغزو من وقت الى آخر حدود كنعان .

٦ . الفلسطينين : شعب جاء من جزيرة قريطش ، وكانوا يحتلون من كنعان ساحله في الوقت الذي اخذ فيه العبرانيون يحتلون منه داخله (بدء القرن الثاني عشر) . وقد تركوا للبلد اسمهم (فلسطين) . وكانت اهم مدنهم : غزّة ، عشقلون ، اسدود ، اكارون ، غيث .

١ — يشوع بن نون

اخطار الفتح الدينية :

اخطار من الارض . — لفهم اخطار الفتح هذه ما علينا الاّ ان ننظر الى معالم الارض . فهي تتألف من ثلاث سلاسل من الجبال تنحدر

من الشمال الى الجنوب ، تفرّق فيما بينها سهول ضيقة .

الفتح شاق ، لتفوّق الكنعانيين بالسلاح ، لا سيما بمراكبهم التي بها يسيطرون على السهول .

ومع ذلك فلقد استطاع العبرانيون منذ بدء زحفهم ان يفتحوا اريحا جاعلين منها رأس جسر هام . وقضى يشوع بعدئذ على محالفتين عقدهما الملوك ضد العبرانيين فأظهروا في موقعة جبعون في الجنوب وموقعة بحيرة ميروم في الشمال انهم من البأس والقوّة بحيث يجب على الكنعانيين ان يحسبوا لهم منذ ذاك حساباً .

الاّ ان الكنعانيين لم يلبثوا ان كروا عليهم فأجلوهم ، الاّ من المواقع الجبلية ، حيث أقاموا جزراً من المقاومة منعزلة عن بعضها ليس من سبيل الى الاتصال فيما بينها .

سوف يكون لهذه التفرقة والتشتت اثرهما في بعث الاميال الانفصالية القديمة التي ستطبع تاريخ الشعب العبراني فيما بعد بطابعها . وهي على ذلك مصدر ضعف متزايد للوحدة الدينية ، اذ لا سبيل للتجمع حول تابوت العهد رمز الوحدة ومبعثها .

اخطار من التطور الاجتماعي . — انتقل العبرانيون من حياة البدو الى حياة الحضر ، من رجال سلب ونهب الى رجال فلاحة وزراعة . فشعروا بالحاجة الى تحوير نهج عيشهم ، والى تدريبهم على الحياة الجديدة.

وقام الكنعانيون بهذا التدريب وقد نشأت بحكم الظروف صلات من الجوار قام عليها تبادل متزايد من العون والمساعدة .

وكانت النتيجة ان اخذ العبرانيون يتكلمون لغتهم ويتصاهرون معهم. وندرك بسهولة ما يجرّه عليهم مثل هذا التقرب الى شعب وثني من الاخطار .

ولم يكن يومئذ من سبيل الى التفريق بين الاقتصاد والدين ، اذ كان للزراعة اعيادها الدينية ومواسمها العديدة ، وكانت الحياة العائلية تستلزم ذلك التساهل الذي ليس الدين منه في منجاة .

سوف يجرّ التحضير على العبرانيين افتقاراً في الحياة الدينية .

اخطار ناشئة من الوسط الديني . — كانت اختبارات العبرانيين الاولى مؤلمة ، مع انهم كانوا لا يزالون على بداوتهم الاولية . فلقد كان اول التقاء لهم بالكنعانيين على حدود ارض الميعاد التقاء جرّ عليهم الوبال .

وها هم الآن مع ذلك على اتصال دائم مع الكنعانيين وهم مثلهم ساميّون يتصفون بصفات متقاربة واميال متشابهة ، مما يجعل الخطر على ديانة التوحيد اشد واقرب .

لم يكن الله بعد في نظرهم إله السماوات والارض ، بل إله سينا . فهل له يا ترى من الشأن في كنعان ما له في سينا ؟ وهل آلهة البعل التي يعبدها الكنعانيون اقل منه قدرة في بلادها ، ولا سيما على المزروعات؟

الخطر اذاً مداهم والخطب جليل ،ولا سيما ان العبرانيين حديثو العهد بالتوحيد ، ميّالون الى المادة ، منعزلون بايمانهم الجديد عن كل ما يحيط بهم من الشعوب . وتنبعث فيهم الغرائز القديمة ، ويسلكون مسلك الفطنة البشرية التي تحاول ان تراضي الطرفين ، فلا الله يتركون عبادته ، ولا الاوثان ينصرفون عنها .

ذلك لأن عبادة الاوثان الكنعانية مغرية . فهي تتصف بالسهولة والدعارة . وهي آلهة تمثلها اوثان وانصاب تقع تحت الحواس ، فيتركز عليها الفكر ، وتقدم اليها القرابين ، فهي قريبة المقصد سهلة المنال . وهي على ذلك آلهة الحب والحياة والخصب . وبذلك تبعث الشهوات الحسية وتثير الاهواء البشرية ، وقد قامت شريعة عهد سينا تحاربها لتكبح من جماحها .

وتابوت العهد ، انه كان اولاً في جلجالة ثم نقل الى شيلو . ما أبعده ، وما اقل شأنه !

لم يكن رجال ذلك العهد برجال قداسة وبر . أما وقد ذهب موسى عنهم فلسوف تتعرض عبادة الله لأخطار جسيمة .

يشوع القائد العسكري :

راس الجسر . — بعد ما عبر يشوع بالشعب نهر الاردن، وذلك بمعجزة بينة ، أقام في الجلجال ثم فتح اريحا ، وكانت حصناً حصيناً ومركزاً هاماً . فدار العبرانيون بتابوت العهد سبعة ايام حول اسوار المدينة وهم ينفخون بالابواق ويرسلون صرخات الحرب ، حتى استسلمت الحامية وسقطت الاسوار . وكان الذعر قد انتشر فيما بين السكان خوفاً من غضب إله العبرانيين . وبذلك تحقق وعد الله (يشوع ٥ : ١٣ الى ٦ : ٢٧) .

وتابع يشوع زحفه فاستولى على العيّ بالقرب من بيت ايل واحتل ناحية شطيم .

حلف الملوك . — قضى يشوع بموقعة جبعون على الحلف الذي عقده ملوك الجنوب لمحاربته . ثم انتهز الفرصة فأخضع ناحية حبرون .

وقضى بموقعة بحيرة ميروم على الحلف الآخر الذي عقده عليه ملوك الشمال .

واخذت اسباط اسرائيل تحتل البلاد المفتوحة . الاّ ان هذه الحملات السريعة لا تعدّ فتحاً حقيقياً .

يشوع الزعيم الديني والسياسي :

وعد الله يشوع بدخول ارض الميعاد (تثنية الاشتراع ١ : ٣٨) .

وكان موسى قبيل موته قد بسط يديه على يشوع علامة تقليده سلطانه واستمطاراً لحكمة الله عليه (تثنية ٣٤ : ٩) .

وقام يشوع بتوزيع الاراضي على القبائل فنالت قبيلة يوسف حصتين لابنيه افرائيم ومنسى . اما لاوي فلم ينل من حصة لأنه أقيم على خدمة الهيكل . ولم تكن الاراضي التي وزعت هذه المرة غير كنعان ذاته ، اذ كانت اراضي شرقي الاردن قد وزعت في المرة السابقة .

ثم نقل يشوع تابوت العهد من الجلجال الى شيلو. وسيظل التابوت في شيلو الى ان يستولي عليه الفلسطينيون. وقد اعاد يشوع عقد العهد مع الله مرتين اخريين (يشوع ٨ : ٣٠—٣٥ ؛ ٢٤ : ٢٥—٢٧) .

المعنى المسيحي لحياة يشوع وعمله :

كان يشوع مخلّص شعبه اذ دخل به ارض الميعاد .

وهو على ذلك يحمل اسم المخلّص الحقيقي ذاته ، يسوع ابن الله ، الذي انما جاء ليجمع شعبه من كل الاقطار ويدخل به ملكوت السماوات.

٢ — القضاة

حياة الشعب الروحية :

هوذا مثل ذو عبرة :

« وضع بنو اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب الى ايدي مدين سبع سنين . فذلّ اسرائيل جداً امام مدين وصرخ بنو اسرائيل الى الرب . وكان لمّا صرخ بنو اسرائيل الى الرب بسبب المدينيين ان الرب ارسل الى بني اسرائيل رجلاً نبياً » (القضاة ٦) .

كأن صاحب كتاب القضاة اراد بهذه الأسطر ان يرسم لنا صورة صادقة عن حياة اسرائيل الدينية ، بعد خمسين سنة من موت يشوع .

آ . **تخاذل الشعب** . — فيما كانت اقلية ممتازة من الشعب تحافظ على سنن موسى وشرائعه بكل دقة ، كانت اغلبيته تترك ديانة سينا تركاً تاماً او جزئياً . فكانوا يترددون الى اماكن عبادة الاوثان ، ويتمثلون الله في منحوتات حجرية ، ويحطونه الى منزلة الآلهة المحليين ، ويقدمون ضحايا بشرية ، ويمارسون السحر والعرافة ممارسة واسعة النطاق ، وقد حرمها موسى في شريعته تحريماً قاطعاً .

انه انهيار ديانة التوحيد . « فكان بنو اسرائيل يصنعون الشرّ في عيني الرب » .

ب. **قصاص الخطيئة** . — كان رابط العهد الذي عقد في سينا اساساً للرابط السياسي الذي يشدّ مختلف الناس المجتمعين في سينا بعضهم الى بعض ، فيؤلف منهم شعباً واحداً .

ولما اخذ الرابط الديني يتراخى وينحل ، لم يعد العبرانيون يشعرون بوحدة كيانهم ، وقام مقام الشعور الوطني شعور غيره غامض مبهم ضعيف لا يقدر على شدّ الاواصر فيما بينهم .

سوف يعود هذا الشعور يوماً الى قوته فيوحد ثانية فيما بينهم . الاّ انه الآن من الضعف والانحلال بحيث يجد العبرانيون انفسهم دون اعدائهم شأناً وقوة .

أضعف الاتصال بالكنعانيين روح الجهاد والنضال في العبرانيين ، فانكسرت شوكتهم وذهبت ريحهم .

ولذا كان الانكسار في اكثر المواقع حليف العبرانيين . ويسهل علينا بعد ذلك ان ندرك انه قصاص من الله ينزله بهم لجحودهم . قصاص هو ولا شك نتيجة محتمة للاحداث التاريخية . الاّ انه ايضاً ظاهرة للنهج الخاص الذي ينهجه الله مع شعبه .

ج . **توبة الشعب** . — لم يكن القصاص ، في خطة الله ، سوى وسيلة ينبه الله بها شعبه على اخطائه ويدعوه الى التوبة .

عندما يدهم الخطر ويعظم الخطب يدرك العبرانيون ان آلهة البعل لم تجدهم نفعاً ولم تدفع عنهم شرّاً . ويتراءى لهم الله عندئذ اشدّ منها بأساً واقدر صولة .

ويأخذون بالاعتقاد ، على ما جاء في سفر القضاة ، ان الله قد اسلمهم الى ايدي اعدائهم المدينيين ، او الكنعانيين ، او الفلسطينيين.

ويصرخون عندئذ الى الله مقرّين بذنوبهم ، معترفين بأنهم قد أخطأوا بعبادتهم الاوثان ونكثهم العهد الذي قطعوه مع الله . ثم يتبعون القول بالفعل فيزيلون من بيتهم كل آثار الاوثان ، وينصرفون الى عبادة الله .

د . **خلاص الشعب** . — وتنشأ على اثر هذه التوبة النصوح حركة اصلاح وتقويم . فيدركون حينئذ انه لا قوام للشعب الاّ بالرجوع الى الله . وينتظرون المخلص ، الذي لن يتأخر الله بارساله. فهو لن يهمل شعبه ولن يترك به الايدي .

يبيّن لنا صاحب كتاب القضاة، بكلام لا التباس فيه ، ان الخلاص يعقب التوبة ، كما ان القصاص يعقب الخيانة .

القاضي :

المخلص الذي كان الله يرسله ليخلّص اسرائيل يسميه الكتاب : « القاضي » .

فالقاضي هو ، بما يتصف به من صدق العاطفة الدينية والوطنية الملتهبة ، روح الأمة . وقد أتت اعماله كلها ثمرة لهاتين الصفتين . فبدأ اولاً يبعث الروح الدينية في قبيلته . أوَ ليست كل الوسائل أداة في يد الله ؟

الاّ انه ، قبل كل شيء ، خلاص الله ورجاء الشعب المختار .

انه يسلك ، لحين ، مسلك المسيطر المستبد ، ساعياً الى ضم ما استطاع من القبائل تحت لوائه . فيجمع الشتات ويلم الشمل من الشعب المختـــار .

القاضي ، بمعنى الكتاب ، هو اذاً الزعيم الموقت لقبيلة او عدد من القبائل ، وهو يسعى ، مستوحياً القوة والعزم من ايمانه ووطنيته ، الى انقاذ مواطنيه من خطب ملمّ جسيم .

ولنقرأ مثلاً اخبار ثورة نشبت في بنيامين قام على رأسها آحود ضد

الموآبيين (٣:١٢–٣٠) ؛ واخبار يفتاح يقود قبيلة جلعاد الى حرب الامونيين (١٠–١٢) ؛ او تاريخ دبوره تسوق قبائل الشمال الى محاربة الكنعانيين (٤–٥) .

حسبنا هنا ان ندرس بعض الشخصيات من القضاة لنستخلص منها بعض امثولاتها الروحية .

الايمان في خدمة الوطنية ، جدعون :

الايمان . — اتى جدعونَ ملاكٌ من عند الله بدعوة بيّنة : «انطلق بقوتك هذه وخلّص اسرائيل من قبضة مدين » .

وقام جدعون في الليلة التالية ومعه عشرة من خدامه بهدم مذبح البعل الذي كان منصوباً بالقرب من مدينته ، واخذ الصنم المصنوع من الخشب وكسره تكسيرًا . ثم شيّد في المكان ذاته مذبحاً لله وذبح عليه عجلاً سميناً قربان محرقة .

وجاء سكان المدينة في اليوم التالي الى ابي جدعون قائلين : سلّم لنا ابنك . الاّ ان ايمان الابن بعمله هذا لم يذهب سدى ، فأجاب الاب ساخرًا : « ان كان البعل إلهاً فلينتقم لنفسه ممن هدم مذبحه » .

الوطنية . — عبر المديانيون والعمالقة نهر الاردن وجاؤوا فضربوا خيامهم في سهل يزرعيل .

وهبَّ جدعون يؤلب حوله قبائل منسى واشار وزابلون ونفتالي . ثم اختار من بين كل هؤلاء المحاربين ثلاثمائة من النخبة المنتخبة وقسمهم الى ثلاث فرق واعطاهم ابواقاً ، وزوّدهم بجرار فارغة ضمنها مشاعل ، واقترب بهم ليلاً من معسكر العدو . فكسروا الجرار الفارغة ونفخوا بالأبواق ، ثم رفعوا المشاعل وشنوا هجومهم وهم يصرخون : الله وجدعون . فانتشر الذعر بين الاعداء واخذوا يعملون السيف بعضهم في بعض في ظلام الليل .

قوّى انتصار جدعون ورجاله ايمان القبائل التي سارت تحت امرته الى النهر ، وبيّن للاسرائيليين ان الله هو سيّد ارض كنعان كما هو سيّد جبل سينا . فتأكد لهم منذ ذاك ان الله سوف يأخذ بناصرهم اذا ما ثبتوا على العهد (قضاة٦–٨) .

بين الهوى والواجب ، شمشون :

تحيط المعجزة بمولد شمشون من كل جانب . فلقد رأت أمه رؤى كثيرة تدل كلها على ما سيكون لابنها من شأن . الاّ ان هناك فكرتان اساسيتان :

سيتكرس لله بنوع خاص . وستكون غاية هذا التكريس محـاربة الفلسطينيين .

تكريسه لله . — لا يعلو رأسه موسى لأن الصبي يكون مكرساً لله من بطن أمه (١٣ : ٥) . من مقارنة هذه الآية مع عادات الشعوب الاخرى يتبين لنا ان ترك الشعر هو علامة التكريس لله .

تدلنا هذه البادرة الطيبة على ان اسرائيل لا يخلو، حتى في الاوقات المضطربة ، من اناس يخطر لهم ، بداعي ايمانهم ، ان يكرسوا ابناً لهم الى الله ، مدى الحياة .

ونقابل بين تكريس فرد لله وبين العهد الذي عقده الشعب المختار . فهنا وهناك تنشأ من عمل التكريس والعهد ، « عزلة وافراز » وواجبات معيّنة . وتدل على العهد ، الذي هو داخلي بحت، علامة خارجية هي تنفيذ الناموس . وكذلك تدل على التكريس الذي هو تقدمة داخلية بحتة ، علامة خارجية هي الشعر الطويل والامتنـاع عن المسكرات (العدد ٦ : ٣) .

وقد اعطى الله شمشون بسبب هذا التكريس، على ما ذكر المؤلف، قوة خاصة ضاعفت من قوّته الشخصية .

والنتيجة هي هذه : خالف الشعب الناموس فانحلّ عقد العهد بذلك وترك الله في الظاهر شعبه . كما وخالف شمشون نذره فانحلّ عقد التكريس بينه وبين الله .

محاربة الفلسطينيين . — كان الفلسطينيون في عهد شمشون ارباب الساحل ، وقد امتدّت سلطتهم حتى حدود قبيلة يهوذا ، فهابهم العبرانيون.

لم تكن مآتي شمشون وبطولاته لتبدل من هذا الواقع . الاّ انها كانت عنواناً لمقاومة الشعب العبراني للوثنية السائدة . وليست هذه الحيل والفخاخ ينصبها فرد للاعداء بالحرب السافرة ، ولذلك لم تأت بجدوى . الاّ انها كانت للشعب الرازح تحت نير المحتل عربون امل عميق ، اذ لا يبعث الله برجل مثل شمشون عبثاً .

سقطات شمشون . — كان شمشون قوي العضلات لكن ضعيف القلب. ولذلك كان احياناً ينصرف عن القتال الى حب امرأة .

وانحدر يوماً الى تمنة فرأى امرأة فلسطينية فانقلب الى ابويه وقال لهما : « رأيت في تمنة امرأة من بنات الفلسطينيين فاتخذاها لي زوجة » . وانكر ابواه عليه ذلك : « أليس في بنات اخوتك وفي شعبي كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القلف» . فلم يعر شمشون حديث والديه شأناً وأعاد قوله : « بل اياها تأخذان لي لأنها حسنت في عينيّ » .

ولم يرضَ عنها بديلاً فتزوجها . الاّ انها لم تلبث ان خدعته اثناء اعياد الزفاف ذاتها . ولما كان يحبها انتقم لنفسه من قومها حتى ساءت احوالهم وانتهوا بأن احرقوها (قضاة ١٥ : ٦) .

ولم تغنه هذه الخبرة عن غيرها . فلقد نزل يوماً الى غزة فوقع على امرأة سيئة السلوك ، فلقي بسببها اخطاراً جديدة (١٦ : ١—٣) .

الاّ ان سبب هلاكه كان حبه لدليلة (١٦ : ٤—٢٢) . وكان قومها اغروها بالمال لتكشف لهم عن سر قوته . فكان لها ما ارادت من هذا الشاب الضعيف ، ولم يلبث الفلسطينيون ان قبضوا عليه .

وفقأ الفلسطينيون عينيه وسجنوه في غزة واخذوا يسخّرونه في تسيير طاحون السجن . وفي عيد ديني أحيوه على شرف راجون إلههم جاؤوا به الى هيكل الاله ليستمتعوا بمنظر هوانه وبمرأى بعض اعماله .

وعزم شمشون على الانتقام من اعدائه . الاّ انه انتقام مفعم برغبة التعويض عن زلته والإمل باسترجاع نعمة قوته . وها هي الصلاة التي تلاها ، وهي تطفح ثقة وتواضعاً : « اللهم يا رب اذكرني وشدّدني هذه المرة ايضاً يا إلهي لأنتقم لعينيَّ من الفلسطينيين نقمة واحدة » .

واننا لنرى ، خلال رغبته هذه في الانتقام ، تجديداً لنذره لله بمحاربة اعداء أمته ، وعودة الى حياة الكفاح الاولى . هو الواجب يدعوه وهي التلبية للدعوة اخذت تساوره .

واستجاب الله طلبته . وبيديه القويتين هزّ اعمدة الهيكل فسقط ودفن تحت انقاضه كل الفلسطينيين الذين كانوا يعيّدون فيه .

شمشون ومعاصروه . — كان شمشون وحيداً من نوعه ، حتى انه في كفاحه ضد الفلسطينيين لم يجد من مواطنيه من يسانده ، وقد أسلموه دون تردد الى أعدائه .

— الاّ ان ما خبروه من عجز الفرد ، مهما كان عليه من القوة الخارقة ، عن مقاومة الفلسطينيين ودرء خطرهم ، قد زادهم اعتقاداً بضرورة جمع القبائل الاسرائيلية في وحدة قوية شاملة .

— ومن جهة اخرى فقد ألهب مَثَلُ شمشون فيهم روح الجهاد والكفاح ؛ فهو قد انجز ، رغم سقطاته ، ما دعاه الله اليه .

— تمَّم شمشون مدلول كلمة القاضي ومعناها . فهو لم يقد يوماً قبيلة الى حرب . فعمل القاضي اذاً يتعدى الدور العسكري : انه للذود عن حياض الدين عندما يهاجمه مهاجم .

الامثولة في حياة شمشون .—كان نذر شمشون لله مصدر قوّته العجيبة وسبب دوامها. وبالتالي كان نقضه لنذره ، لا قصّ شعره، سبب زوالها. فالشعر الطويل انما هو علامة خارجية لقيام النذر ، كما ان قص الشعر انما هو علامة خارجية لتركه . فلم يكن قص الشعر الاّ ظرفاً مادياً صرفاً لم يعه شمشون لأنه كان نائماً . وانه لضرب من السحر ان نعزو القوة الى اطالة الشعر او قصه .

ونلاحظ ان ترك شمشون لنذره واخلاله به كان بالتدريج . فقامت في نفسه حرب بين الواجب والتجربة . وقد ردّ طلب المرأة ثلاث مرات. الاّ ان المرأة « لمّا كانت تضايقه بكلامها كل يوم وتضاجره ضاقت نفسه الى الموت ، فأطلعها على كل ما في قلبه » ، وباح لها بسرّه .

هو هذا الضعف في تلبية الدعوة السامية قد ادهش الشعب المختار ، الذي عرف نفسه في شمشون فهو يمثله ، كما ان دليلة تمثل عبادة الاوثان الكنعانية ، عبادة عشتروت التي طالما تغلّبت باغرائها وغواياتها على شدة الله وصرامته . فانصرف شعب العهد عن الله الى الآلهة الوثنية ، لان تلبية الدعوة شاق مضن . الاّ انه ، مثل شمشون ، ينتصب قائماً في ساعته لان في دعوته قوته وعزته .

الاخلاص للدعوة ، صموئيل :

عائلة صموئيل . — «كان رجل من الرامتائيم صوفيم من جبل افرائيم يقال له ألقانة . وكانت له امرأتان اسم احداهما حنة واسم الاخرى فننّة . فرزقت فننّة بنين وحنة لم يكن لها بنون » .

وكان الرجل يصعد كل سنة الى شيلو ليعبد الله ويذبح له الذبائح . وكان كلما ذبح ذبيحة يعطي حصصاً منها امرأته فننة وبنيها وبناتها . اما حنة فكان يعطيها حصتين لانه كان يحبها ، وإن عاقر . وكانت ضرّتها تثيرها وتدفعها الى التذمر على الله الذي حرمها ثمرة الاحشاء .

وفي احدى زياراته لتابوت العهد رأى ألقانة امرأته حنة تبكي وتأبى كل طعام، فقال لها: «يا حنة ما لك باكية وما لك لا تأكلين، ولماذا يكتئب قلبك؟ ألستُ انا خيرًا لك من عشرة بنين؟ (١صموئيل١ : ١—٨)

واننا لنرى هنا:

— الايمان العميق، الذي كان يحمل العائلة كل سنة على القيام بزيارتها للتابوت في شيلو.

— المحبة الزوجية الرقيقة التي لا تنفر من عقم الزوجة المحبوبة.

ونكتشف ايضاً، ونحن نتابع قراءة الفصل، تقوى راسخة عميقة لا عهد للجد بمثلها، على ما يبدو (١ : ١١—١٨). كما ونستمع الى صلاة حنة التي تطلب ولداً وتعد بتكريسه لله.

مولد صموئيل. — واستجاب الله طلب حنة فرزقها ولدًا. فما كادت تفطمه حتى انجزت وعدها فصعدت به الى شيلو وقدمته الى رئيس الكهنة عالي، ذلك الذي شهد فيما مضى صلاتها، وقالت له: «يا سيدي، حية نفسك. انا المرأة التي وقفت لديك ههنا تصلّي الى الرب. اني لأجل هذا الصبي صلَّيت فأعطاني الرب بغيتي التي سألتها من لدنه. ولأجل ذلك أعرته للرب كل ايام حياته» (١ : ٢٧—٢٨).

— وشكرت حنة الله، وجاء في صلاتها من الكلام ما هو قريب جدًا من كلام العذراء مريم في صلاة شكرها في بيت اليصابات.

دعوة صموئيل. — جاءت دعوة صموئيل، كما جاءت دعوة موسى من قبله، رهينة الظروف.

صموئيل في شيلو. — انخرط الصبي في خدمة الله في شيلو. فكان يلازم رئيس الكهنة عالي، يساعده في اقامة الطقوس ويعيش من تقدمات الشعب.

ان ما كان عليه الكهنوت في ذلك العهد من سيئ الحالة يساعدنا على ادراك دور القضاة وضآلة شأن الكاهن (٢ : ١٢–٢١) . فلقد جاء القضاة، وبعدهم الانبياء، ليقوموا مقام الكهنوت المتداعي. فهو صموئيل، احد رجال افرائيم ، بانشائه الملكية ، قد اخذ بيديه مقاليد الشعب المختار ووجّه مصيره ،وكان رئيس الكهنة واولاده أعجز من ان يوحوا الاحترام لمقامهم الديني ، وبالتالي اعجز من ان يقوموا في البلاد بدورهم الوطني .

دعوة الله (١ صموئيل ٣) . — لم يكن كلام الله قد طرق اذنيه الى الآن : « وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الايام ولم تكن الرؤى تتواتر » .

واذا به ذات ليلة يسمع من يناديه باسمه ثلاث مرات. فكان في كل مرة يهرع الى عالي . الى ان فهم عالي « انه الرب يدعو الفتى » ، فقال له : « اذهب فنم ، وان دعاك ايضاً فقل: تكلم يا رب فان عبدك يسمع ».

وبلّغ الله صموئيل كلامه : ان قصاصاً شديداً سيحل بعالي لتراخيه في تربية اولاده ، وان عائلته ستنقرض عن بكرة ابيها . ولمّا عرف عالي ما قرّر الله في شأنه أظهر من الايمان العميق ومن القبول لما ينتظره من الآلام ما كان له خير تكفير عن خطاياه : « هو الرب ، فما حسن في عينيه فليفعل » .

لم تقتصر دعوة صموئيل على هذه الرسالة يبلّغها عالي . لا بل هي لا تمتّ الى الرسالة بصلة . فلقد دعي ، كما دعي القضاة الآخرون ، ليخلّص الشعب المختار . وقد اعدّه الله لدعوته هذه في جوار تابوت العهد: « وعاد الرب يتراءى في شيلو ، لأن الرب تجلّى لصموئيل في شيلو بكلمة الرب » . فلم تكن الرسالة الى عالي سوى علامة عابرة تنبئ بالدعوة. اما الدعوة ذاتها فستقوم فيما بعد على الوجه التالي .

عمل صموئيل . — برز في الميدان العسكري، والديني ، والسياسي .

— دوره العسكري كان ضئيلاً . ففي عهده شدّ الفلسطينيون على

العبرانيين ، بعد ان كانوا قبلاً يزحفون الى داخل البلاد ببطء وتراخ .

وكان اهم ما حدث آنذاك ان انكسر العبرانيون في افيق واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد (١ صموئيل ٤) . الاّ ان الفلسطينيين ذعروا لتفشّي الامراض في صفوفهم فوضعوا التابوت في محل محايد تحت اشرافهم فكان اولاً في بيت شمس ، ثم انتقلوا به الى قرية يعاريم . وظلّ نــير الفلسطينيين يشتد عليهم طوال عشرين عاماً (١صموئيل ٧-٥) .

ويحرز العبرانيون اثناء ذلك انتصاراً عابراً في المصفاة في الشمال الغربي من اورشليم . الاّ ان قيادة المعركة لم تكن في يد صموئيل . فلقد ظهر منذ ذلك الحين زعيماً دينياً لا قائداً عسكرياً .

وعلى كل فالكتاب يتوقف بنوع خاص على وصف دوره الديني . فكان يمارس نوعاً من القضاء المتنقل ، « فيذهب في كل سنة ويطوف في بيت ايل والجلجال والمصفاة ويقضي لاسرائيل في جميع تلك الاماكن » (٧ : ١٦-١٧) .

وكان الناس يعتبرونه على انه « رجل الله» ، و « صاحب رؤى » . فيحكم بين الناس كما ويساعد على ايجاد الاشياء المفقودة. انه حقاً رجل الساعة ، الى بضع سنين اخرى .

وكان لدوره الديني ملابساته السياسية . فلم يعد في شيخوخته بالرجل الذي تقتضي الظروف : فالخطر الفلسطيني لم يتضاءل ، والقتال على وشك ان ينشب ، واتحاد القبائل الاسرائيلية لم يتمّ ، والحاجة ماسّة ، للقضاء على الفلسطينيين القضاء المبرم ، الى زعيم يؤلب حوله في منظمة دائمة قوى الأمة كلها . لقد حاول ذلك جدعون ودبوره ، لكن قبل الاوان. وها هي الساعة لذلك قد ازفت .

بلغ صموئيل الآن من العمر عتياً ، فلم يعد بأهل لمثل هذه المهمة الخطيرة : فخمود همته وحدة طبعه يقصيانه عنها . واولاده الذين اقامهم في بير سبع على امل ان يخلفوه في عمله يعيشون الآن عيشة سيئة ، فيسعون بطرق الظلم الى المال والغنى . ولذلك جاءه شيوخ اسرائيل يوماً

قائلين : « انك انت قد شخت وبنوك لا يسلكون في سبلك . فالآن أقم علينا ملكاً يقضي بيننا كجميع الامم » (١صموئيل ٨) .

وقام صموئيل بتنفيذ ما اعتبره ارادة الله ، رغم ما نشأ من معارضة بعضهم ، وما شعر في نفسه من خيبة امل . فمسح شاول بدهن الملك . وشاول هذا هو ابن قيس من سبط بنيامين .

وبذلك صار رجل الماضي ، بسبب اخلاصه الخدمة لله ، رجل المستقبل .

ميزة هذا الزمان انه زمان ازمة :

١ — **العهد في خطر** . —عمل موسى مهدد بالانهيار لأن الوثنية أخذت تتسرب الى ديانة سينا .

لم يعد العبرانيون يذكرون الله الا في الاوقات العصيبة . فما اقل العائلات التي يذكرها الكتاب بتقواها وفضائلها ، كعائلة صموئيل .

٢ — **الزمان مضطرب** . — لا يزال حكم الله المباشر المطلق قائماً . الا ان الحكم الذي تقبل عليه البلاد هو الحكم الملكي ، مع مبدإ الوراثة . وليس من ريب ان العهد سوف يشغل منذ ذاك المكانة الثانية . وفي ذلك من الخطر ما فيه .

قامت حياة الحضارة نهائياً مقام حياة البداوة . ولم يحدث هذا التطور الاجتماعي دون مساس بالعقيدة الدينية .

٣ — **اسرائيل يتمرس في الحرية** . —كان في زمان موسى مثل ما كان في زمان القضاة من الثورات والاضطرابات . فالعهد ما كادوا يعقدونه حتى نقضوه . وتذمر الشعب لم يكن في زمان موسى باقل منه في زمان القضاة .

الا ان موسى كان هناك . موسى الرجل الذي كان يتحدث مع الله كما يتحدث الصديق مع صديقه ، الرجل الذي كان وجهه يشع ضياء

من مخاطبة الله ، الرجل الذي يعرف ان يقسو ويعاقب ، كما ويعرف ان يضرع ويشفع .

ذلك الرجل الزعيم قد ذهب وترك اسرائيل بعده دون زعيم يقوده ويهديه السبيل ويذكره بدعوته الخاصة الفريدة .

لقد كان لموسى من الشخصية الفذة ما يفصله عن سواه من الشعب ، بينما كان القاضي يؤخذ من الشعب ويعيش بين الشعب ، فيكتسب من الشعب حسناته وسيئاته . انه جوّ آخر أخذوا يعيشون فيه .

بذلك بدأ اسرائيل يشعر بطعم الحرية ويدرك فحواها . عليه اذاً ان يختار بين دعوته الروحية وبين اهوائه المادية . أما أن يقف بينهما موقف المتردد فهذه هي الحيرة التي طبعت هذه الحقبة من الزمان بطابعها .

المعنى المسيحي لتلك الحقبة:

١ — **التمسك بالله وبمواعيده .**— لقد نشر الله على شعب العهد ، مدى تلك الحقبة ، ذيل حمايته ، فبعث له من خلصه ، امثال يشوع والقضاة ، بانتظار ذلك المخلص « الذي سيأتي » .

وليس مثل مواعيد الله ثباتاً . وقد وعد : « سأكون معكم حتى منتهى الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) .

٢ — **خلاص الانسان .** — يرمز خلاص الامة الى خلاص النفس ، خلاصها من الخطيئة . ويهيئ هؤلاء المخلصون المخلصَ يسوع المسيح . ويذكرنا فتح ارض الميعاد بفتح ملكوت السماوات ، غاية كل مسيحي ، كما انه يرينا ما يعترضنا في سبيله من الصعوبات .

٣— **ثقة وطيدة بمستقبل الشعب المختار .**— اشرف شعب الله على الفناء والدمار . فلقد اراد الكنعانيون والفلسطينيون القضاء عليه . لكن الله « بسط عليه ذراعه »، فأرسل له القضاة الذين خلصوه . وليس كتاب

القضاة وكتاب صموئيل ، سوى نشيد الامل والرجاء ينشده اولاد ابراهيم رغماً عن المحن والعذابات .

وشعب الله هو اليوم جماعة المسيحيين ، والله يسهر عليها ويسعى الى خلاصها . واذا ما لذنا به وعولنا عليه وتمسكنا بوصاياه فانه يدخلنا ارض الميعاد الحقيقية ، رغم كل صعوباتنا . ففضيلة الرجاء هي فضيلة مسيحية كبرى من قدر فضيلتي الايمان والمحبة .

٤ — **صعوبات حياة الايمان .** — رأينا ، اذ درسنا حياة ابراهيم ، كيف ينشأ الايمان وينمو في رجل ذي شأن ، بواسطة بعض احداث خطيرة معدودة . الا ان جونا ، ولا نزال في مجال الايمان ، ليس جوه . والكلام هنا عن جماعة ، وبالتالي عن حياة الايمان في جماعة ، والصعوبات التي تعترض هذا الايمان يومية جمة . فما اكثر اسباب التراخي والفتور والتساهل والمجاراة والانزلاق والانجراف ! وما اصعب التمسك بشريعة ليس من سلطة بشرية تدعمها بالمكافآت والعقوبات المادية القريبة !

قد يلهينا مشروع ما ، او غاية قريبة مادية ، او فتح — وهنا فتح ارض — عن الفتح الروحي الذي دعانا الله اليه . ولقد ظل الانبياء ، حتى زمن المسيح ، يذكرون الشعب بان الفتح لم ينته . وكم كافح المسيح في الرسل تلك العقلية التي تتجلى في سؤالهم التالي : « يا رب أفي هذا الزمان ترد الملك الى اسرائيل ؟» .

قصارى القول : ان ما نجده في التمسك بالايمان والسعي الى تحقيق الدعوة ، انما يكمن في الاعمال اليومية الرتيبة المادية التي يقتضيها منا واجب المهنة وداعي الوظيفة .

٥ — **طريقة الله .** — لا يفتقر الله الى احد . لقد بعث في البدء موسى الى اسرائيل لكي يريه الطريق ويهديه الى معالمه . اما الآن فعلى الشعب المختار ان يتابع عمل موسى لوحده ، ويؤدب نفسه بنفسه . فلديه

الناموس الذي هو مؤدبه الحقيقي .

واليوم قد يجد المسيحي نفسه وحيداً ، وقد ينقصه كل عون . الا انه ليس بوحيد ، لان المعلم معه ، الروح القدس ، الذي يأخذ بناصرنا « اذ يشهد لارواحنا بأننا ابناء الله ... وكذلك الروح ايضاً يعضد ضعفنا ، فاننا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا توصف » (روم ٨ : ١٦–٢٦) .

للمطالعة

صموئيل المحبوب عند الرب .
نبي الرب سن الملك ،
ومسح رؤساء شعبه .
وقضى للجماعة بحسب شريعة الرب ،
وافتقد الرب يعقوب .
بايمانه اختُبر انه نبي ،
وبايمانه علم انه صادق الرؤيا.
دعا الرب القدير ،
عندما كان اعداؤه يضيقون من كل جهة ،
واصعد حملاً رضيعاً .
فأرعد الرب من السماء ،
وبقصيف عظيم اسمع صوته .
وحطم رؤساء الصوريين ،
وجميع اقطاب فلسطين.
وقبل رقاده عن الدهر ،
شهد امام الرب ومسيحه :
اني لم آخذ من احد من البشر
مالاً بل ولا حذاء .

ولم يشكُه انسان .
ومن بعد رقاده تنبأ ،
واخبر الملك بوفاته ،
ورفع من الارض صوته بالنبوءة
لمحو اثم الشعب .

(يشوع بن سيراخ ٤٦ : ١٣—٢٠)

الفصل الثاني

توطد أركان العهد

شاول - داود - سليمان

الزمان :

يمتد الزمان بالملوك الثلاثة الأوائل: مدى قرن كامل : ١٠٣٥ — ٩٣٥ . انهم يبدأون ببداية صموئيل آخر القضاة .

وفي نهاية ملك سليمان يكون الانشقاق على وشك ان يحدث .

شاول : ١٠٣٥—١٠١٥

داود : ١٠١٥—٩٧٥

سليمان: ٩٧٥—٩٣٥

المصادر :

دونت احداث هذه الحقبة من الزمن الكتب التالية : الكتاب الاول من صموئيل من ٨ الى ٣١، والكتاب الثاني بكامله. الكتاب الاول من الملوك من ١الى١١، والكتاب الاول من الاخبار بكامله ، والثاني من ١ الى ٩ .

نوعها الادبي. — ينتمي كتابا صموئيل اللذان كانا يؤلفان في البدء كتاباً واحداً الى النوع التاريخي.واننا لنبدي على تاريخ صموئيل من الملاحظات ما ابديناه على تاريخ القضاة . وقد استخدم المؤلف لتاريخ داود وثائق معاصرة هي من القيمة والاهمية بمكان . وقد ضم بعضها الى بعض دون دمج .

قدمها . — استخدم مؤلف كتابي صموئيل وثائق بعضهـــا معاصر

للحوادث ، فصنع منها رواية متصلة . وقد عاش ولا شك بعد عام ٦٢١ .

اما مؤلف كتابي الملوك فقد استقى معلوماته من مصادر معاصرة للحوادث المذكورة او قريبة منها . فهي مأخوذة من الدواوين الملكية ، ومن خزائن الهيكل ، ومن الاوساط النبوية . وهناك نبذة تسترعي النظر عن عائلة داود ، وسيرة لايليا ، وسيرة لاليشع . وقد وضعت لكتابي الملوك صيغة اولى في اواخر القرن السابع . امـــا صيغتهما الحاضرة فهي ترتقي الى زمن السبي . وقد دخلت بعض مقاطع لهما فيما بعد في مجموعة اشعيا ، ومقاطع غيرها في مجموعة ارميا .

اما كتابا «الاخبار» فسيرد الكلام عنهما فيما بعد .

١ — الملكية في اسرائيل

اسباب هذا الانقلاب :

ظهرت الحركة الملكية بظهور الحركة الاصلاحية في سبيل وحدة الامة. وقد اخذت الجماعات من كل جبل تنضم بعضها الى بعض لمكافحة غارات البدو والكنعانيين . الا ان الوحدة الشاملة التي تعبئ كل قوى الامة لاسابيع او لأشهر لا بل بصورة ثابتة دائمة ، اصبحت ضرورة حيوية ، لأن الخطر لا يزال على اشده .

الا انه لا وحدة بدون رئيس واحد يقود جيش الامة في معارك الأمة.

هذا الرئيس الزعيم ، يستطيع الله ان يبعث به عند الحاجة كما بعث بموسى . الا ان الله لا يعمل فقط بايحاءات منه في داخل النفس كتلك التي كانت لموسى مصدر دعوته ومبدأ نشاطه، بل ايضاً بالقوانين والاحداث التاريخية يتركها تجري مجراها الطبيعي ، على علاتها .

مذ أخذ العبرانيون ينتقلون من البداوة الى الحضارة بدأت فكرة الملكية تراودهم لأنها من دواعي الحياة الجديدة ومن مقتضياتها . وقد جرت قبلاً محاولات في هذا الصدد . وعلى كل فهو الحكم الذي تعيش في ظلاله

كل الشعوب المجاورة . كان العبرانيون اذاً ، بطلبهم قيام الحكم الملكي ، واقعيين . وليس في ذلك على الدين من ضير .

حيرة صموئيل :

من جهة الله .— هي ، في ظاهرها ، حركة عصيان على الله . فلقد انشأ موسى في سينا حكم الله . فهو تعالى الحاكم بأمره ، يختار من البشر وسطاء يكلفهم بتدبير شعبه وتذكيره بدعوته الدينية والوطنية .

حتى في أحلك الساعات من حقبة القضاة لم تذهب ثقة العبرانيين بالله دون جدوى . فلقد كان الخلاص يأتيهم دائماً من إله العهد ، الذي لم يكن ليريد منهم سوى التمسك بأيمانهم والعمل بموجبه .

فلماذا اذاً لا ننتظر العون من الله ؟ هل آلهة الفلسطينيين اكبر منه قوة واعظم شأناً ؟ وهل غيّر الله ارادته ؟ أو لا يسير الشعب الآن ، بطلبه الحكم الملكي ، الى خيانة جديدة وجحود جديد ؟ انه لا يزال هو هو ، الشعب « ذو الرقاب الغليظة » ، الذي عانى منه موسى ما عانى !

من جهة الملك .—ستقوم بالملكية عائلة واحدة مقام نخبة من الافراد. وقد تنجب الوراثة العاجز والضعيف والعاتي والطماع والجشع .

السلطة السياسية ستكون الآن في يد الملك أداة لدفع الاعتداء الفلسطيني. ولكن ألا يخشى ان يغر الغرور الملك يوماً فيستهين بدين اسرائيل ، ويخوض في السياسة ، سياسة المحالفات والفتوحات ؟ فمن عندئذ للشعب المختار ؟

واذا ما نهج الملك يوماً هذا المنهج الغاشم فأنه يجر وراءه معظم الناس فيفقد الشعب معنى دعوته ووجوده ، ويدخل في خلده انه كسائر الشعوب ليس له ما يميزه عنهم ، فيطمح مثلهم الى المستقبل السياسي الباهر ، وينسى أنه صاحب دعوة وحامل رسالة ، رسالة التوحيد ، بانتظار مجيء المسيح .

دور الملك على الشعب المختار :

لا تنظرن الى ملك الشعب المختار على أنه ملك كسائر ملوك التاريخ الحديث . فليس مفهومه كمفهومهم ، ولا دوره كدورهم .

آ . انه ، في جوهر معناه ، يمثل الله لدى رعاياه ، وبالتالي يتمتع بسلطة مطلقة عليهم وعلى اموالهم .

ب . وهو ، علاوة على ذلك ، كاهن شعبه ، كما هو الحال لدى الشعوب الشرقية القديمة ، لأنه الوسيط الطبيعي بين الله والناس . ولذا فهو يقوم في الظروف الكبرى بذبح الذبائح وتقدمة القرابين .

ج . وهذا الوسيط هو ابن الله ، بالمعنى الأوسع . فيقول الله لداود وهو يعده بتوطيد ملك سليمان : « سأكون له أباً وسيكون لي ابناً » (٢ صوئيل ٧ : ١٤)

د . انه يقود شعب الله ، بعد ما يمسحه الله ملكاً عليه ، في طريق دعوته الخاصة . فهمته ليست اذاً بان يحقق في الميدان السياسي مطامع شخصية ، او ان يجر رعاياه وراءه في مغامرات جريئة ، بل ان يكون عوناً لشعبه ، وهو نائب الله لديهم ، في المحافظة على وديعة الايمان والذود عن حماه ، ومحاربة الوثنية الطاغية .

دور الملك في خطة الله :

جاءت الملكية حدثاً تاريخياً طبيعياً سمح به الله لأجل تحرير الارض تحريراً تاماً ، وتوطيد استقلال الشعب المختار . فهي ثمرة تطور سياسي عادي جرى في قلب الشعب تحت ضغط الخطر الخارجي .

والملكية كغيرها من انظمة الحكم في العالم ، تحوي الصالح والطالح والحسن والسيء . ويحترم الله مرة اخرى مجهود الحرية البشرية ونشاطها .

الا ان الملكية قد اخفقت في القيام بتعهدات العهد ، كما اخفقت في تحقيق دعوة الشعب المختار. فالملوك، باستثناء قلة ضئيلة منهم مثل داود

ويوشيا، لم يفهموا دورهم حق الفهم، فكانت الملكية وبالاً على الشعب، وآلت بالأمة الى الخراب والدمار.

هذا هو حكم البشر على الملكية. اما حكم الله فهو غير حكم البشر. فالملكية قد نفذت خطة الله وحققت مآربه. وقد اخذت صورة المسيح تظهر، منذ السبي، بمظهر الملك المثالي: فهو مرسل الله، وسليل داود. وسيحكم الشعب المختار والشعوب الوثنية ايضاً؛ والمسيح عندما يأتي سيأخذ بالتكلم عن ملكوت هو ملكوت السماوات، وسيعلن قائلاً: « اني ملك »، الى ان يأتي بعده بولس الرسول فيعلن في سياق كلامه عن آخر العالم، انه « لا بد ان يملك »، حتى بعد ذلك «يسلم الملك لله الآب» (١ كور ١٥ : ٢٤—٢٥).

هذا المثال الاسمى للملك لا ينطبق لا على الحاضر ولا على الماضي. ومع ذلك فقد أدّت الملكية وظيفتها، ، فصوّرت ملكية المسيح المُثلى، وحدت على التبصر في شخصية المسيح وتفهم دوره وسلطانه.

الملكية في تاريخ اسرائيل:

يشتمل تاريخها على قسمين متفاوتين طولاً:

آ. **المملكة الموحدة: شاول، وداود، وسليمان (١٠٣٥—٩٣٥).**

هؤلاء أتموا فتح ارض الميعاد، واظهروا خصائص الملكية:

— فشاول اظهر الاستقلال عن السلطة الدينية.

— وداود حقق المثل الاعلى للملكية الالهية.

— وسليمان اقحم السياسة في الدين.

ب. **المملكة المنقسمة الى يهوذا واسرائيل (٩٣٥ — ٥٨٦).**

مملكة اسرائيل او مملكة الشمال: ثورات وانقلابات، ازدهار السامرة العابر، انتشار الوثنية في عهد ايزابل، سقوط العاصمة في يد سرجون الاشوري، انقراض الدولة المنشقة عام ٧٢١.

مملكة يهوذا او مملكة الجنوب : هي اكثر استقرارًا تحت سلالة داود . الاّ انها انفتحت هي ايضاً لغزو الاصنام ، ولم يجدها نفعاً الاصلاح الديني الذي قام به يوشيا عام ٦٢١ ؛ فآلت بها الدسائس السياسية اخيرًا الى سقوط اورشليم عاصمتها بيد نبوكدنصر ملك بابل عام ٥٨٦ ، الذي سبى معظم الشعب وساقه اسيرًا الى بابل ، وقضى على مملكة يهوذا التي دامت اربعة قرون ونصف القرن .

٢ — شاول

بداية ملكه:

كان شاول من سبط بنيامين . وقد مسحه صموئيل ملكاً في السرّ اذ كان في طريقه اثر اتان أضاعه ابوه (١ صموئيل ٩) . ثم قدّمه بعد ذلك الى الشعب في المصفاة ، عقب انتخاب جرى بالقرعة ، فصرخ الشعب بصوت واحد: « عاش الملك » (١ صموئيل ١٠) .

بهذا انتهى دور صموئيل السياسي فاعتزل الحكم في مشهد مؤثر رائع (١ صموئيل ١٢) .

دور شاول العسكري والسياسي . — كانت الحرب سجالاً بينه وبين العمونيين والعمالقة والفلسطينيين .

آ . مع العمونيين . — اراد شاول ان يدشّن ملكه بانتصار عسكري. وانتهز فرصة حصار العمونيين ليابيش احدى مدن جلعاد ففرض على كل اسرائيلي حمل السلاح والخروج معه الى الحرب ، متوعدًا الذين يتخلفون بنهب اموالهم .

ودارت على العمونيين الدوائر فانهزموا شرّ هزيمة وكان لشاول ما اراد من توطيد مملكته الجديدة .

ب. مع الفلسطينيين . — معهم كان الخطر اشد . الاّ انه دحرهم

في الجلجال بفضل شجاعة ابنه يوناتان . ولسوف يكرّ الفلسطينيون عليه ، فينتهي ملكه بكارثة جلبوع حيث قضى الملك وأُخذ التابوت .

استقلال شاول عن السلطة الدينية . — جمع شاول جنوده في الجلجال لمحاربة الفلسطينيين وانتظروا صموئيل ليقدم الذبيحة لله حسب العادة. ولما طال الانتظار واخذت الجنود تتفرق عزم شاول على تقدمة الذبيحة بنفسه ناظرًا الى عمله من الوجهة العسكرية دون سواها .

وكان على هذه الصورة يتحرر من سلطة النبي الشيخ تحررًا يزداد يوماً بعد يوم .

وفي الغارة التي شنّها في جنوبي يهوذا على العمالقة اعلن الحرم ، اي حرّم على الجنود ان يمدوا يدهم الى الاسلاب ، فقضى بالموت على كل ما يقع بالايدي للعدو من بشر وحيوانات .

ولكن عندما أحرز النصر استبقى لذاته الملك وافضل حيوانات العمالقة . عصيان جديد لم يطق صموئيل السكوت عنه .

العقوبات . — كان على صموئيل الشيخ ان يقسو على اول ملك لاسرائيل حتى يوجّه الحكم الجديد توجيهاً سديدًا قوياً .

وقد توعّد صموئيل فيما قبل شاول بقوله : « لا يدوم ملكك » (١٣ : ١٤) ، الاّ انه هذه المرة اتبع القول بالعمل :

بما انك رذلت كلام الرب
فقد رذلك الرب من الملك (١صموئيل١٥ : ٢٣) .

وكان سبب هذا الحكم الشديد سبباً روحياً يتصل بالعهد اتصالاً وثيقاً : « أتُرى الرب يسرّ بالمحرقات والذبائح كما يسرّ بالطاعة لكلام الرب ؟ ان الطاعة خير من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش » (١ صموئيل ١٥ : ٢٢) .

العظمة والهوان . — حقق شاول بعض الوحدة :

— كانت اكثر حروبه في نواحي الجلجال وجبع . الاّ انه اغار ايضاً غارات موفقة في الشمال والجنوب ، حتى وفي شرقي الاردن . فتنفس الاسرائيليون الصعداء ، ولو الى حين .

— كان لتمركز السلطة اثره في بعث الوعي القومي والشعور بالوحدة والعصبية . الاّ انه زرع بالحياة التي عاشها بذور التفرقة والشقاق :

١ً . لم يكن شاول بالزعيم النزيه المجرد، والوسيط المتواضع بين الله وشعبه ، على ما أمّل صموئيل . فلقد كان شغله الشاغل نفسه لا الله ، وصالح عائلته لا صالح العهد .

٢ً . وكان مختل التوازن العقلي تنتابه نوبات من السويداء . وقد أسبغ مرضه هذا على القسم الثاني من ملكه لوناً قاتماً كئيباً زاد من اشراق صورة خلفه وبهائها .

القسم الثاني من الملك:

نوبات من السويداء . — ساد مرض الملك هذا القسم الثاني كله . ولقد حدّث الكتاب عن ذلك بقوله : « واعترى شاولَ الروحُ الشرير من لدن الله » . ولم يكن هناك من شيطان ، انما الاقدمون كانوا يعزون الى « روح شريرة » مظاهر الاختلال العقلي والجنون والصرع .

قد يكون مرض شاول ناشئاً عن قلق سببه كلام صموئيل : فهو اعتقاده بانه سيفقد العرش ، وهو خوفه من قيام منافس له وخلف على العرش .

وسوف ينقلب شاول ، عندما يركز خوفه على داود ، الى قاتل .

تخلي الناس عنه . — كان داود، اصغر اولاد يسّى من قبيلة يهوذا ، شاباً بهي الطلعة ، زكي الفؤاد ، قوي البنية ، بارع العزف على الكنارة . وكان يرعى قطعان ابيه .

وقد ذُكرَت لشاول براعته في الغناء فاستدعاه الى بلاطه . فكان

لغنائه على الملك من التأثير المهدّئ ما دعاه الى ضمّه الى حاشيته والحاقه بخدمتـــه .

الاّ ان ما وقع له مع جليات قد محا ما كان له في قلب الملك من عطف . ففي جولة مبارزة علنية اهوى داود على خصمه الجبار الفلسطيني بضربة من مقلاعه فأرداه ثم قتله . فارتفعت من كل جانب صرخات النصر تشيد بالبطل الشاب ، وهزجت النساء بالاهازيج ينشدن على صوت الدف والصنوج قائلات :

قتل شاول ألوفه

وداود ربواته

ودبّ الحسد الى قلب شاول فصرخ : « وبعدُ فلم يبقَ له الاّ المملكة فقط ! » .

رأى شاول ان داود حقيق بان يصبح له منافساً خطيرًا ، ولا سيما انه يتمتع بمحبة الجميع : بمحبة الشعب ، ومحبة الجيش ، حتى ومحبة عائلته ذاتها. فلقد كان ابنه يوناتان يكنّ للبطل الشاب صداقة حميمة، « وقد تعلقت نفس يوناتان بنفس داود وأحبه كنفسه» . وكانت ميكال ابنة شاول مغرمة بداود سعيدة بان تقترن به . حتى خيّل الى شاول ، الذي كان يعاني من تحوّل صموئيل عنه ما يعاني، ان الجميع قد ارفضّوا عنه فأصبح في عزلة تامة عن الناس .

حقد الملك على داود . — لم يلبث حسد شاول ان انقلب الى حقد مميت .

— رمى شاولُ داودَ مرتين بحربة في يده بينما كان داود يعزف له على الكنارة .

— وعد شاولُ داودَ باعطائه ابنته ميكال زوجةً له على ان يبدي في محاربة الفلسطينيين من البسالة والاقدام ما كان يأمل ان يقوده الى حتفه . وقد كسب داود الرهان واصبح صهر الملك (١ صموئيل ١٨) .

— تحرّج موقف داود من شاول الى درجة انه لم يعد يجد لنفسه السلامة الاّ في الهرب . فلقد قال شاول يوماً لرجاله : « اصعدوه اليّ في السرير لأقتله » . وقال ليوناتان ابنه : « ما دام ابن يسّى حياً على الارض فلا تثبت انت ولا مملكتك » .

ومنذ ذاك فقد شاول كل سيطرة على نفسه :

— قتل كهنة مدينة نوب لأنهم أضافوا داود . ولما أبى رجاله ان يرفعوا يداً على كهنة الرب سخّر رجلاً ادومياً بتنفيذ امره (١ صموئيل ٢٢).

— انتزع من داود زوجته ميكال وزفّها الى آخر ، واخذ يطارد دون هوادة هذا الصهر المغضوب عليه حتى تاه على وجهه هرباً منه، الى ان مات الملك . وقد احتمى بكهوف تقع قرب حبرون غربي البحر الميت (١ صمو ٢٣، ٢٤، ٢٥) .

كانت لشاول مع ذلك ساعات صحو. فلقد دخل يوماً كهفاً واسعاً بالقرب من عين جدي فلم ينتبه الى داود وكان مختبئاً هناك مع بعض رجاله. ولمّا همّ بعضهم بقتله منعهم داود ، الاّ انه اخذ قصاصةً من ذيل ردائه ومضى . وبعد قليل التقى الاثنان خارج الكهف ، فصرخ داود : « لماذا تسمع كلام الناس القائلين ان داود يطلب أذاك ؟ ... انظر يا ابي انظر طرف ردائك في يدي . فمن كوني قطعتُ طرف ردائك ولم اقتلك اعلم وانظر ان ليس في يدي شرّ ولا معصية...وانت تتصيد نفسي لتأخذها » .

فأجاب شاول : « أهذا صوتك يا ابني داود ؟ » واضاف وهو يشرق بدموعه : « انت أبرّ مني لأنك جزيتني خيراً وانا جزيتك شراً... فجزاك الرب خيراً لما صنعت معي اليوم . ولقد علمتُ الآن انك ستصير ملكاً ويثبت في يدك ملك اسرائيل . فاحلف لي الآن بالرب انك لا تقرض ذرّيتي من بعدي ولا تبيد اسمي من بيت ابي » (١ صموئيل ٢٤). وحلف له داود بذلك .

موت شاول . — كان موته على يد الفلسطينيين . فلقد ارادوا ، لكي

يقضوا على كل مقاومة ، ان يحتلوا سهول يزرعيل ، التي تمتد من الكرمل الى بيت شان .

وفقد شاول كل امل : فالله صامت لا يجيبه (١ صموئيل ٢٨ : ٦) . والمرأة التي قصدها في عين دور لتستحضر له ارواح الموتى قبلَت بان تستحضر صموئيل : واستخلص شاول من الحديث انه هالك لا محالة .

وكانت معركة الجلبوع كارثة . فولى الاسرائيليون الادبار ، وقتل لشاول ثلاثة من اولاده من بينهم يوناتان ، ولاذ الملك بالفرار . ولما أوشك ان يقع في ايدي الفلسطينيين اسيرًا عمد الى سيفه وألقى بنفسه عليه فمات . واخذ الاعداء جثث شاول واولاده وعلّقوها على اسوار بيت شان . ثم جاء اهل يابيش فانزلوا الجثث واحرقوها ودفنوها باحترام (١ صمو ٣١) .

الخلاصة :

١ . مهّد شاول الطريق لخلفه .
٢ . شعر رعاياه نحوه ، رغم مساوئه ، بالعطف والأسى .
٣ . رثى داودُ شاولَ ويوناتان اجمل رثاء وأرقه :

الظبي يا اسرائيل مجدّل على روابيك
كيف تصرّعت الجبابرة ؟
لا تخبروا في جتّ
ولا تبشروا في اسواق اشقلون ،
لئلا تفرح بنات الفلسطينيين
وتطرب بنات القلف !
يا جبال الجلبوع ،
لا يكن فيكنّ ندىً ولا مطر
ولا حقول تقادم !
لانه هناك طرح مجنّ الجبابرة .
مجنّ شاول لم يمسح بدهن

بل بدم القتلى وشحم الجبابرة .
قوس يوناتان لم تنكص الى الوراء
وسيف شاول لم يرتدّ خائباً .
شاول ويوناتان محبوبان شهيّان
في حياتهما وفي مماتهما لم يفترقا ،
اسرع من النسور
واشد من الاسود .
يا بنات اسرائيل ابكين على شاول ،
الذي كان يكسوكنّ القرمز ترفاً ،
ويرصع لباسكنّ بحلي الذهب .
كيف تصرّعت الجبابرة في وسط الحرب ؟
يوناتان مجدّل على روابيك .
قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناتان
لقد كنت شهياً لي جداً
وكان حبك عندي اولى من حب النساء .
كيف تصرّعت الجبابرة
وبادت آلات الحرب ؟ (١ صموئيل ١ : ١٩—٢٧)

٣ — داود

وطّد داود اركان العهد :

١ . بالواسطة ، بما قام به من عمل سياسي في سبيل الوحدة .

٢ . مباشرة ، بما قام به من عمل ديني .

٣ . ولذلك فهو ، رغم ما مرّ به حكمه من أزمات ، صورة المسيح الآتي .

سياسة التوحيد :

سلطة الملك . — كان شاول سبب انفصال قبيلة يهوذا عن القبائل الاخرى . فلما قام اتباع داود فنصبوه ملكاً في حبرون بعد هزيمة الجلبوع كانت القبائل التي ظلّت موالية لشاول قد اعترفت بابنه اشبوشت خلفاً لأبيـــه .

هذا الانشقاق سيصرف داودُ سبع سنين في رتقه لاعادة الوحدة الى نصابها .

كان ابنير قائد جيش الشمال اكبر مساعد له في مهمته هذه . فلقد التحق بداود على اثر خلاف نشب بينه وبين اشبوشت . وقبل داود اذ ذاك ان يدخل في مفاوضات .

— اشترط اولاً ان تعاد زوجته ميكال اليه . ثم قامت اتصالات بينه وبين شيوخ قبائل الشمال أدّت الى عقد اتفاق أعلن بموجبه داود في حبرون للمرة الثانية ملكاً على اسرائيل .

بذلك استتبّ الامر لداود فاصبح الملك على اسباط اسرائيل كلها .

العاصمة : اورشليم . — اراد داود ، ليدعم هذه الوحدة ويسهل اندماج القبائل ، ان يختار مكاناً على الحياد لا يجد احد من حرج في الاجتماع فيه ، ليخلف مدينة شيلو التي كانت مقر العرش وملتقى القبائل.

وقع اختيار داود على مدينة تقع على الحدود بين قبيلتي بنيامين ويهوذا ، كانت فيما مضى عاصمة اليبوسيين ، وقد قامت على ظهر مرتفع يسهل الدفاع عنه . هذه المدينة ، التي اصبحت فيما بعد حصن يهوذا ومدينة داود ، قد احتلها قائد الملك بحيلة (٢ صموئيل ٥ : ٦—٩) ، فصارت اورشليم عاصمة المملكة ، يقصدها الرائح والغادي من الشمال والجنوب ، ولا يشعر احد فيها بأنه غريب .

وزاد داود على ذلك بان بنى فيها قصره ونقل اليها التابوت باحتفال رائـــع .

ضمن التابوت لاورشليم مكانتها ، فكان الايمان بالله رباط الوحدة الحقيقي واساسها الراسخ .

السلطة والجيش والعائلة المالكة . — اسباب اخرى خارجية رسخت في الاذهان هذه الوحدة وكانت لرعايا داود موضع فخر واعتزاز .

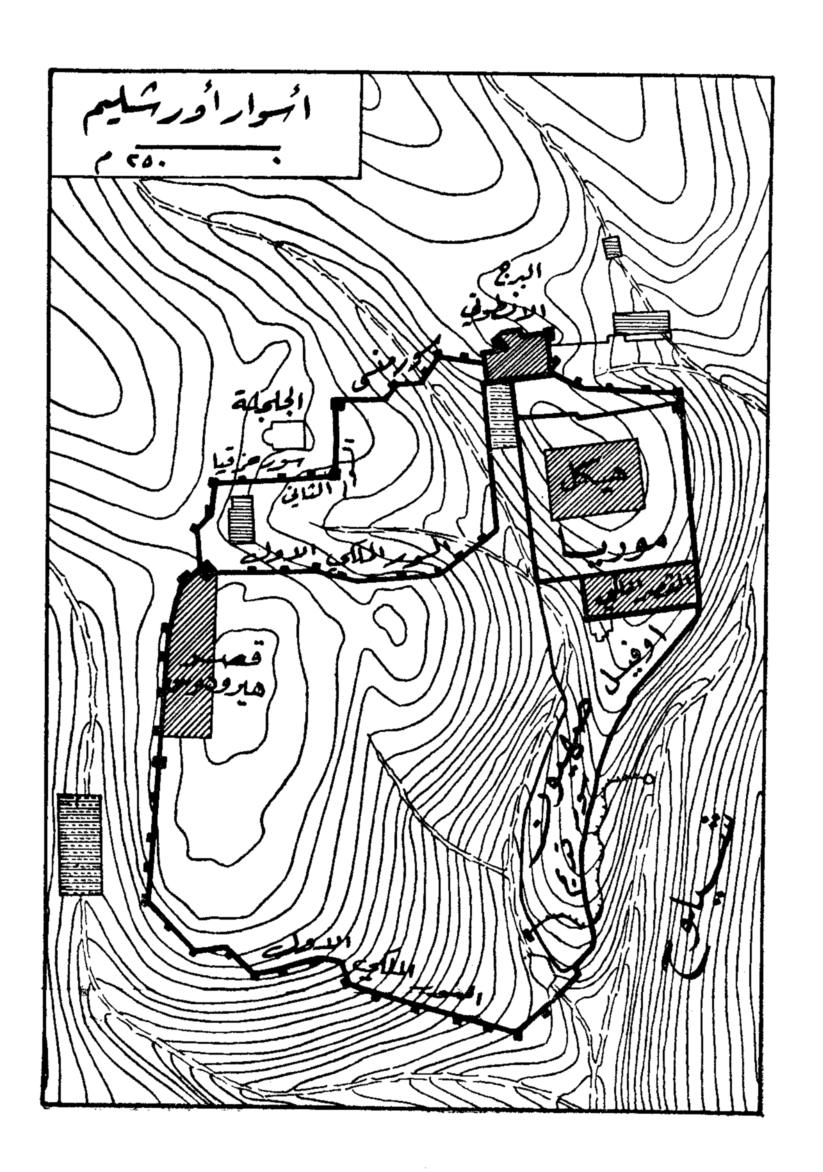
انتصر داود في مواقع عديدة على الفلسطينيين فأجلاهم عن اراضيه وحصرهم في سهول الساحل واضطرهم الى عقد محالفة معه . وبذلك أمن جانبهم ووطّد استقلال مملكته .

وامتدت مهابته وسطوة حكمه الى الموآبيين والادوميين وسوريي دمشق ، وبذلك دعم استقلاله .

وانشأ جيشاً قوياً وضعه تحت قيادة ابنير كانت نواته ثلاثين من اشدّائه الذين ابلوا في حروبه البلاء الحسن فسار اسمهم في طول البلاد وعرضها . الى هؤلاء الاشدّاء ضمّ ستمائة من نخبة اتباعه من الذين رافقوه اذ كان هارباً من شاول ليهيم على وجهه في صحراء يهوذا . والى هذه النواة كان رجال القبائل ينضمون في الملمّات .

وأقام داود سلالته على اركان راسخة فلم تزعزع الملكيةَ لا مساوئ شاول وجنونه ، ولا كارثة الجلبوع . وكانت اقوى دعامة لملكه انه غزا قلوب رعاياه بما اتصف به من سياسة مرنة وسلاسة طباع : وبذلك اجمع الناس على حبه، وفقدت ذرية شاول كل عطف . وكان للظروف التالية اثرها في استتباب الامور.

كان داود صهر شاول ، وكانت صداقته ليوناتان مضرب الامثال . وكان اشبوشت وريث شاول شاباً ضئيل الشأن لا حول له ولا طول ، فقتله اثنان من قواده وهما يعتقدان بانهما يؤديان لداود بقتله يداً بيضاء . ثم جاء ابنير صاحب السلطة الفعلية في الشمال فالتحق بداود جاراً وراءه معظم شيوخ القبائل . ولم يبقَ غير مغيبوشت ابن يوناتان ، وهو شاب مشلول الرجلين . فاستدعاه داود الى بلاطه وألحقه بحاشيته حفظاً للصداقة



أسوار أورشليم
٢٥٠ م
البرج الانطوني
الجلجلة
هيكل
موريا
قصر هيرودوس
أوفيل
السور الثاني
سور حزقيا
السور الكامل الاول
السور الأول الملكي

التي كانت تربطه بأبيه وضناً بيمينه لشاول ، وربما ايضاً رغبةً منه في مراقبة حركاته وسكناته. وعلى كل فقد عامله معاملة الاب لابنه، وبذلك أمن جانب عائلة شاول على سلالته .

العمل الديني :

دخول التابوت الى اورشليم . — يصف لنا المزمور ١٣٢ (او ١٣١)، وان كُتب بعد ذلك، وصفاً جميلاً للمهرجان الذي أقيم بهذه المناسبة. فها هو الموكب يصل الى المكان الذي فيه التابوت منذ موت شاول ، في ضاحية من بيت لحم ، (١صموئيل . ٧) ، فيبرز داود الايمان التالية :

لن ادخل خباء بيتي
ولن اعلو سرير مضجعي
ولن أعطي عينيّ وسناً
ولا اجفاني نوماً
إلاّ ان أجد مقاماً للرب
مساكن لعزيز يعقوب (مز ١٣٢ او ١٣١ : ٣—٥).

ومقابل ذلك يعد الله بان يبارك داود وذريته وعاصمته :

إن حفظَ بنوك عهدي
وشهاداتي التي اعلمهم اياها ،
فبنوهم ايضاً
يجلسون على عرشك الى الابد .
ان الله اختار صهيون ،
أحبها مسكناً له .
هذه هي راحتي الى الأبد ،
ههنا اسكن لأني احببتها (مز ١٣٢ او ١٣١ : ١٢—١٤) .

ويصل الموكب الى حيث التابوت:

إنّا قد سمعنا انه في افرائيم،

قد وجدناه في بقعة الغاب .
لنذخل الى مساكن الرب ،
لنسجد لموطئ قدميه (مز ١٣٢ او ١٣١ : ٦—٧) .

ثم يشدّون للرحيل الى اورشليم :

قم ايها الرب الى راحتك
انت وتابوت عزتك .

ويصف المزمور ٦٨ (او ٦٧) صعود موكب الطواف الى جبل صهيون :

تقدّم المغنّون وخلفهم ناقرو الاوتار
في وسط عذارى ينقرن الدفوف
في الجماعات باركوا الله السيد
يا من هم من ينبوع اسرائيل .
هناك بنيامين الصغير في اختطاف الروح ،
ورؤساء يهوذا جلّهم ،
رؤساء زبولون ورؤساء نفتالي (٦٨ او ٦٧ : ٢٦—٢٨) .

وقد يكون المزمور ٢٤ (أو ٢٣) قد كُتب لذكرى ما جرى ، او على الاقل من وحي ما جرى :

ارفعن رؤوسكن ايتها الابواب ،
وارتفعن ايتها المداخل الابدية ،
فيدخل ملك المجد .
— من هذا ملك المجد ؟
— هو الرب العزيز الجبّار ،
الرب الجبّار في القتال .
ارفعن رؤوسكن ايتها الابواب ،
وارتفعن ايتها المداخل الأبدية
فيدخل ملك المجد .

— من هذا ملك المجد ؟
— ربّ الجنود
هو ملك المجد (مز ٢٤ او ٢٣ : ٧—١٠) .

اما داود فيصفه لنا كتاب صموئيل الثاني في ذلك اليوم المشهود وهو يدير الطقوس الدينية ويظهر فرحه وايمانه دون اقل حياء بشري (٢ صموئيل ٦).

تنظيم الطقوس . — كان داود يودّ ان يبني لله هيكلاً فأبى عليه ناتان النبي ذلك (٢ صموئيل ٧) .

لم يطق النبي ان يتصور الله في بيت غير خباء البدو الذي كان يسكنه الى الآن . وقد يكون النبي خشي ان تمتد سلطة داود على الهيكل معتبراً اياه جزءاً من قصره او تابعاً له .

أوَ لم يستسلم سليمان فيما بعد الى مثل ما خشي النبي من نشوة القوّة والجمال ؟

ولربما خطرت ببال ناتان تلك الحرب الاهلية التي خاض داود غمارها فيما مضى .

وعلى كل فنيةُ داود كانت صافية ومقصده جليل. ولذا فقد كافأه الله بان بارك ذريته :

« واذا تمّت ايامك واضطجعت مع آبائك وأقمت من يليك من نسلك الذي يخرج من صلبك وأقررتُ ملكه...، فانا اكون له أباً وهو يكون لي ابناً . واذا أثم أؤدّبه ... واما رحمتي فلا تُنزع عنه كما نزعتها عن شاول ... بل يكون بيتك وملكك ثابتين الى الدهر امام وجهك ، وعرشك يكون راسخاً الى الابد » (٢ صموئيل ٧ : ١٢—١٦) .

ونطلع بهذه المناسبة عن كثب على تقوى الملك ، فهو يشكر الله على ما وعده به :

« من انا ايها الرب الاله وما بيتي حتى بلغت بي الى ههنا ؟ وقلّ هذا في عينيك ايها الرب الاله فتكلمت ايضاً من جهة بيت عبدك الى

زمان طويل . تلك سنّة الانسان ايها الرب الاله . فماذا يعود داود يكلمك وانت قد عرفت عبدك ايها الرب الاله . فمن اجل كلمتك وبحسب قلبك فعلت هذه العظائم كلها لتنبئ عبدك.لذلك قد عظمت ايها الرب الاله...

« والآن ايها الرب الاله أقم الى الأبد الكلام الذي تكلمتَ به عن عبدك وعن بيته وافعل كما قلت . ليعظم اسمك الى الابد ، ويقال رب الجنود إلهٌ على اسرائيل . وليكن بيت عبدك داود ثابتاً امامك . لأنك انت يا رب الجنود إله اسرائيل قد اعلنتَ على مسمع عبدك قائلاً : اني أبني لك بيتاً. لذلك حرّك عبدك قلبه ان يصلي اليك هذه الصلاة. والآن ايها الرب الاله انت هو الله وكلامك حق ، وقد كلمت عبدك بهذا الخير . فالآن تعطّف وبارك بيت عبدك ليكون امامك الى الابد . لأنك انت ايها الرب الاله تكلمت ، ومن بركتك يبارك بيت عبدك الى الابد » (٢ صموئيل ٧ : ١٨–٢٩) .

هو داود الذي نظم ، بعد موسى ، طقوس العبادة :

١ . الكهنوت . — كان ابياتار صديق داود يقوم بادارة الخدمة الطقسية .

بينما كان صادوق الذي ينتسب الى سلالة ابن هارون الاكبر ، يتابع الخدمة في هيكل جبعون القديم .

ولمّا بنى سليمان هيكله أقال ابياتار ، ووسع نطاق الخدمة فيه ، معتبراً اياه بمثابة معبد للقصر ، فازداد فيه بالتدريج عدد الكهنة واللاويين.

٢ . الصلاة . — ينسب الكتاب المقدس الى داود « المزامير » ١٢ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ (او حسب طبعة اليسوعيين المزامير ١١ ، ١٥ ، ٣١ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩) .

لا شك ان داود كان اول من وضع المزامير . الاّ اننا لن نستطيع ان نحصي بالضبط عدد المزامير التي ألفها .

ازمات الحكم:

سقطات الملك. — بدأ داود في اول امره رجلاً حسن الاخلاق. ثم توضحت طباعه فكان اهمها الضعف. ولسوف يكون لضعفه الشأن الكبير في ازمات حكمه.

اشهر مثل على ضعفه ما كان بينه وبين بتشابع امرأة اوريا. فلقد بدا له ان السلطة التي بين يديه تسمح له بان يتصرف بشرف رعاياه وحياتهم على هواه. ولذلك فقد سلب اوريا زوجته ثم اوقع بالزوج خوفاً من الفضيحة (٢ صموئيل ١١—١٢).

وهبَّ ناتان النبي يقرّع داود على ذنبه المزدوج فاعترف داود بما اقترف من اثم وطلب عنه الصفح من الله.

وقد نُسب المزمور ٥١ الى ذلك الحادث لانه يعبّر اصدق تعبير عمّا شعر به اثر توبيخ النبي ناتان من توبة وندامة:

ارحمني يا الله بحسب رحمتك
وبحسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ
زدني غسلاً من أثمي
وطهرني من خطيئتي
فاني عارف بمعاصي
وخطيئتي امامي في كل حين (مزمور ٥١ او ٥٠: ٣—٦)

وهذا الذي كان البطل المغوار، فطاف الصحراء باتباعه وكسب العرش بحد سيفه، لقد أعيته عائلته وعجز عن ضبطها وادارتها.

كان يزيد من عدد نسائه كلما زاد من قوة سلطانه، سائراً بذلك سيرة ملوك الشرق. ولم يرزق من ميكال ولداً. الاّ انه رزق فيما بعد من نسائه العديدات اولاداً عديدين. فكان ان اخذ الاولاد يتحاسدون ويتطاحنون. وكانت النساء، وخاصة عندما ازفت ساعة وراثة العهد، تشدّ كلّ منهن إزر ولدها وتسعى في سبيله.

كان لا بدّ له من يـــد من حديد ليكبح جماح الاهواء لدى هؤلاء واولئك . الاّ انه أمّل ان يسعفه الحظ هذه المرة ايضاً ، كما اسعفه في الماضي ، فلم يجد في منتهى طريقه سوى عواقب اعماله .

العواقب . — بدأت هذه العواقب بالعلاقات الاثيمة بين أمنون ابن داود وتامار اخته من ابيه . فلم يأبه لما حدث ، ولم ينزل العقاب بالاثيم. الاّ ان ابشالوم أخا تامار اضمر الشر لأمنون فظل سنتين يتربص به الدوائر حتى قتله في وليمة عشاء ثم هرب . وغاب عن الانظار ثلاث سنين فبكاه داود بكاءه على ميت ، ثم رضي اخيراً عنه .

انه الضعف في ثوب الحلم . ولذا فما كاد ابشالوم يعود الى البيت ويأمن جانب والده حتى اخذ يشاغب عليه ، مع انه ولي العهد . الاّ انه لم يطق صبراً فأخذ يستميل اليه الشعب ، ويحيك على ابيه المؤامرات. ولما اعلن العصيان اضطرّ ابوه الى الفرار . ولم يلبث ابشالوم ان وجد حتفه في القتال .

خلا الجو لأدونيا فصار وليّ العهد يسنده يوآب وابياتار احد رؤساء الكهنة وصديق داود منذ زمن شدته (١ صموئيل ١٢ : ٢٠). واذ ببتشابع الزوجة المفضّلة تدخل على داود فتطلب لابنها سليمان العرش ، يسندها ، ويا للعجب، يوناتان النبي ذاته ، وصادوق، وصفوة الجيش . وذكّرت داودَ بالوعد الذي قطعه لها ليعزّيها بموت ولدها البكر . فكان لها ما ارادت ونشأت مؤامرات ، كالتي نشأت بعدئذ في اول عهد سليمان ، هلك فيها أدونيا وموآب، ونفي ابياتار .

هي عواقب محتمة دارت رحاها دون رحمة اثر ذنب عجز الاب لضعفه عن الاقتصاص منه . آخرة كئيبة لشيخ طغت عليه الايام والحوادث بعدما خدمته طويلاً .

هو رجل زمانه . — جارى الملك داود عصره رغم تقواه الصميمة ، ورغم ذوده عن الايمان ونشره عبادة الله . فلقد ظل وليد نشأته ورهين

بيئته . فهو ، مثل الله ، يوزع الخيرات والمكاره والثواب والعقاب ، على الناس ، حسب ما يستحق كلّ منهم . ولم يحنث بيمين . الاّ انه ايضاً لم ينكر حقداً دفيناً في نفسه حافظ عليه طوال اعوام عديدة . ذلك لا يتنافى وضرباً من محبة الله . ولا غرو ، فالمسيح لم يكن قد اتى .

هذا المزيج من العظمة والهوان يظهر لنا بجلاء في آخر ما اتى داود من عمل سياسي ديني ، مما نستطيع ان نسميه بوصيته الاخيرة .

لما شعر داود ان ساعته قد دنت استدعى سليمان ابنه ليزوّده بارشاداته الاخيرة :

الامور الدينية اولاً : « احفظ محفوظات الرب إلهك واسلك في طريقه واحفظ رسومه ووصاياه واحكامه وشهاداته على ما هو مكتوب ، لكي يحقق كلامه الذي تكلم به عني » .

ثم العدل بين الناس : فهذا يوآب قد اهرق الدم وقت السلم فوجب الاقتصاص منه . وهو لم يقتص منه لانه كان بحاجة اليه . « فاصنع به انت بمقتضى حكمتك ولا تدع شيبته تنزل الى الجحيم بسلام » .

وهؤلاء بنو برزلاي « اصنع اليهم رحمة ، وليكونوا من الآكلين على مائدتك ، لأنهم هكذا اقبلوا عليّ عند هربي من وجه ابشالوم اخيك » .

وهذا شمعي ، انه اطلق على داود اللعنات والشتائم يوم كان هارباً من ابشالوم . ولم يرَ داود وقتئذ بداً من الحلم فعفا عنه وأمّنه . الاّ ان سليمان ليس مقيداً بأمانه : « لا تبرّئه ، فانك رجل حكيم . فاعلم كيف تصنع به وانزل شيبته بالدم الى الجحيم » (١ ملوك ٢ : ١–٩) .

داود والمسيح :

كان لداود وعهده اثر كبير في تقدّم الفكرة « المسيحية » . ولقد ألمعنا آنفاً الى ذلك ، فلنعد اليه مرة اخرى .

نعتقد نحن المسيحيين ان المسيح هو ابن الله . الاّ ان تدبير الله

ان يأتي من نسل ابراهيم ، وبنوع اخص من نسل داود . ولما جاء الملاك العذراء بالبشرى اعلن لها عن اصله بانه سيكون ابناً لله وابناً لداود : « وابن العلي يدعى ، والرب الاله يعطيه عرش داود ابيه » (لوقا ١ : ٣٢) .

هي فكرة السلالة نشأت على ما يبدو آنذاك ، السلالة الداودية بعناصرها الثلاثة : الملك والمملكة والعاصمة . ولسوف يتوسع الانبياء بهذه الفكرة « المسيحية » فيما بعد ، يتداولونها في مفهوماتها الثلاثة المذكورة.

الخلاصة :

ـــ قام داود في تاريخ العهد القديم ، رغم سقطاته ، بدور هام .

وضع موسى دستور حكم الله ، فجاء داود بالدليل على ان الشعب المختار يستطيع ان يعيش في ظل هذا الحكم . فهو العهد قد رضي به الشعب وعاشه عيشاً في حياته السياسية ، وفي حياته الاجتماعية . ذلك كان عمل داود .

وثبت داود دعائم الحكم الملكي في اسرائيل، فكان في نظر الشعب المختار ، مدى قرون خمسة ، الملك المحبوب الذي يراعي حرمة رعاياه وحريتهم ، كما والملك الفاضل الذي يتمسك بناموس عهد موسى .

ولسوف يستوحي انبياء القرن السادس صورة داود هذه ليرسموا « الصورة الملكية » للمسيح الآتي ، الذي سيكون حقاً الملك الكامل .

ـــ اما الوحدة التي عمل داود على انشائها فلقد كانت ضعيفة الاركان. ولا عجب ، فان الشعب العبراني كان منذ قرنين شعباً بدوياً جُبل على روح الاستقلال وكان اظهر مظهر لهذه الروح عهد القضاة المضطرب. وما كانوا ، لولا الخطر المداهم ، ليقبلوا بحكم شاول .

ولا داعي لأن نعود بالذكر مرة اخرى الى ما كان من امر الخصومات الحزبية بين قبائل الشمال والجنوب في عهد شاول . فهي الدليل على تأصل الاميال الحزبية والانفصالية في اسرائيل . وقد استغلها ابشالوم

في ثورته ، ثم من بعده شابع ، احد سفهاء بنيامين ، في فتنته . لقد أخمدت الحركة سريعاً . الآ ان اهازيج الثائرين دلّت على روح سيئة وميل متأصل :

اي نصيب لنا مع داود ،
واي ميراث مع ابن يسّى ؟
الى خيامكم يا اسرائيل !
والآن فانظر لبيتك يا داود ! (١ ملوك ١٢ : ١٦)

ولا يغربنّ عن الذهن ان داود انما توصل الى بسط سلطانه على قبائل اسرائيل كلها على اثر مفاوضات قام بها مع شيوخها واتفاقية وضعت فيها شروط السلطة الملكية وحدودها. فذكريات التيه في الصحراء ليست ببعيدة . وان ما كان لبراعة داود وشعبيته في توطيد السلطة الملكية من اثر قد يمحوه ضعف تظهره السلطة او اخلاف في تطبيق شروط الاتفاقية . وقصارى القول : لا بد لداود من خلف يكون من وزنه وعلى مستواه .

سيكون للمركزية التي وضعها داود في السياسة والدين اثرها الحاسم . فاذا ما ثبتت راسخة الاركان راهنة المعالم فانها ستسير بالمملكة الى أوجها ، فتجعل من المملكة مملكة مثالية كتلك التي سيحلم بها انبياء الغد . اما اذا تفككت الوحدة السياسية فستنشب بين الاخوة العداوات والمخاصمات ، وسيتعرض التوحيد ذاته لأخطار جسيمة ، بعد ان اتخذ داود له مركزًا « في مدينة داود » ، فجعل اورشليم وحدها مقرًا دائماً له .

نفهم هنا ما لخلف داود من الأهمية . فالطريق امامه ممهدة مفتوحة . الآ ان السير عليها يقتضي منه كثيرًا من السلاسة والتضحية . سوف يكون لسليمان ان يتم وحدة العبرانيين وان يتابع فتح البلاد وان يشيد الهيكل الذي اعدّ له ابوه العدة . الآ ان المزالق في طريقه كثيرة . هل سيتحاماها ؟ فيتجنب الغنى باستغلال رعاياه ، وتشييد القصور الفخمة بعرق جبين شعبه ، وعقد المحالفات مع الجيران الأقوياء على حساب ديانة الناموس والتوحيد ؟ وقصارى القول : هل سيساير التطور الذي بدأ في عهد شاول ،

فيخرج بالشعب في لطف ومرونة من حياة البداوة الى حياة الحضارة ؟ ام سينهب الطريق نهباً الى غايته ، بجبروت العاهل المستبد العاتي الذي يخلق بينه وبين رعاياه هوّة سحيقة لا سبيل الى اجتيازها؟ سيكون ذلك، ويا للاسف ، نهج سليمان في ملكه .

وكما جاءت حقبة القضاة المضطربة في عقب حقبة موسى فزعزعت من اركانها ، كذلك جاء ملك سليمان في عقب ملك داود فزعزع من اركانه ، اذ وضع في عمل ابيه جرثومة الدمار التي ستنخر قلبه .

٤ ــ سليمان

ــ أتمّ سليمان عمل ابيه :

١ . في السياسة : واصل فتح البلاد ونظّم المملكة تنظيماً حديثاً .

٢ . في الدين : شيّد الهيكل وأوتي « الحكمة » .

ــ الاّ انه زرع في عمل ابيه جرثومة الخراب :

١ . غزا عقلية الشعب المختار بعناصر اجنبية .

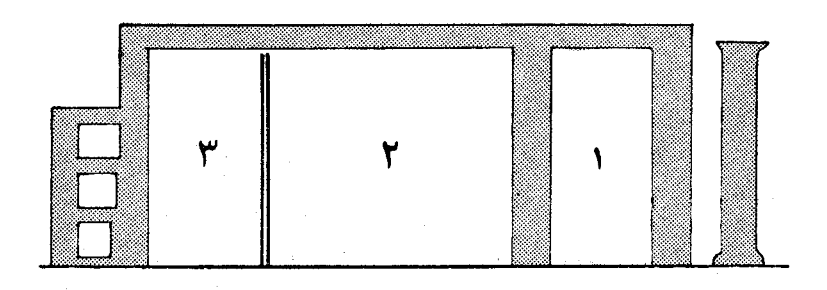
٢ . قاد الشعب الى غايات بشرية أقامها مقام غايته الاساسية القصوى .

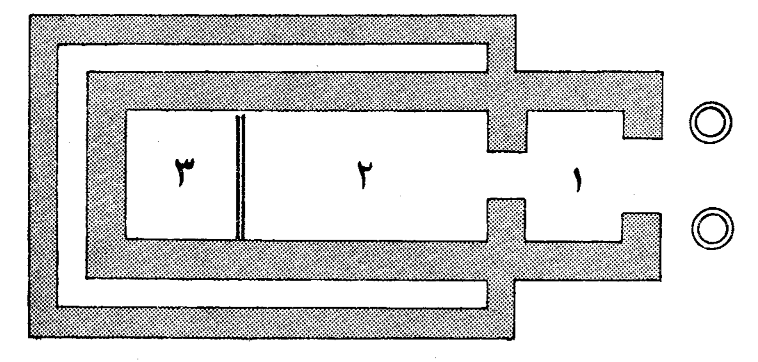
مواصلة عمل داود :

في الحقل السياسي . ــ اخرج الكنعانيين من الجيش والبلاط ، وسخرهم في الاشغال الشاقة ، ففقدوا كل حرية واصبحوا بمثابـــة العبيد للعبرانيين .

تلك كانت المرحلة الاخيرة من فتح ارض الميعاد .

ــ نظّم دوائر المملكة فقسمها الى ١٢ دائرة ، وفرض على كل دائرة ان تقوم شهراً واحداً بنفقات القصر الملكي .





الرسم الاول : مقطع عمودي لهيكل سليمان
الرسم الثاني : تصميم الهيكل
١ – الباحة يتقدمها عمودان ؛ ٢ – الأقداس ؛ ٣ قدس الأقداس .

– شهدت البلاد ازدهاراً اقتصادياً شاملاً ، فكثرت العلاقات مع صور ومصر ودمشق .

في الحقل الديني . – بنى سليمان الهيكل . وقد أقامه على سطح من الارض بسطه فوق رابية موريا بواسطة سور دار حولها . فكان له اربعمائة متر طولاً وثلاثمائة عرضاً .

وكانت وجهة الهيكل نحو الشرق. وقد ضمّ الاقداس وقدس الاقداس . وكان للاقداس باحة قام على جانبيها عمودان من النحاس ، وكان

طوله ٢٠ مترًا وعرضه ١٠ امتار، تضيئه كوتان عميقتان ، ويتسع لمذبح البخور المصنوع من خشب الارز المذهب ، ولمنارات عشر موضوعة كل منها على مائدة ، وهي تضيء في حضرة الله ، ثم لمائدة خبز التقدمة (وهو الخبز الموضوع بين يدي الله) .

ويفصل الاقداس عن قدس الاقداس ستار من قماش فاخر . وهو يحوي تابوت العهد تظلله اجنحة ملاكين ، وقد قام في مكان حالك الظلمة لا ينفذ اليه نور ، مساحته عشرة امتار مربعة .

وكان الملك يدخل الاقداس ثلاث مرات في السنة ليقدّم الذبيحة على مذبح البخور (١ ملوك ٩ : ٢٥) . اما الكهنة فيدخلونه عند الضرورة لتجديد التقادم والمصابيح .

اما قدس الاقداس فلا ندري من كان يدخله لا في عهد سليمان ولا في اي عهد آخر .

وقام المذبح النحاسي امام الهيكل في العراء ، وهو لذبائح الحيوانات. وقد سمي فيما بعد مذبح المحرقات .

وقام بالقرب منه خزان كبير من النحاس لماء تطهير الكهنة تحمله اجواق اربعة من الثيران يتألف كل منها من ثلاثة . وهو المعروف ببحر النحاس .

وقد امتدّ الزمان بهيكل سليمان ما امتدّ بمملكة يهوذا ، حتى اذا زالت من الوجود عام ٥١٥ زال معها تابوت العهد .

اما الهيكل الذي سيشيده جماعة سبي بابل في اعوام ٥٢٠ ـ ٥١٥ بعد عودتها من الاسر ، والذي سيدشن في عام ٥١٥ ، فانه يستوحي تصميمه من رسالة حزقيال فيكون له سلسلة من الباحات الواسعة . اما سائره فكما وصفنا .

بهيكل سليمان هذا تنتهي مرحلة الخروج : فلقد تحضّر الله كما تحضّر شعبه .

وكان لسليمان حظٌّ كبير من الحكمة .

وينسب اليه التقليد فضلاً عن الامثال (١ ملوك ٥ : ٢١)، حلماً وحكماً طارا بشهرته في بدء ملكه بعيداً .

فالحلم ظهر الله له فيه في جبع وخيّره في الطلب . فاكتفى بطلب معرفة الخير والشر .

والحكم اصدره في دعوى معضلة، فكان من بنات الحكمة التي أوتيها ، اذ استطاع ان يعرف ام الطفل الحقيقية .

ولا عجب ان تجتاز اخبار حكمته حدود اسرائيل ، وان تعود ملكة سبا من زيارتها لاورشليم مفتونة بما رأت وسمعت .

جراثيم الموت :

هذه الحكمة لم تدم لسليمان طويلاً ، فلقد بدأ بها عهده ثم لم يلبث ان حاد عنها ليسلك سبلاً اخرى .

آ . اراد سليمان ان ينهب مراحل التطور نهباً فلم يتريث ، بل سار سير الملوك العتاة مع شعب لا يزال ينزع الى حرية البداوة .

وكانت الاشغال الشاقة ، التي فرضها سليمان على العبرانيين ايضاً بعد الكنعانيين ممّا تنفر منه عقليتهم وتأباه .

ب. انحرف بمفهوم العهد ومعناه وجرى به في غير مجراه . فاذا بالغنى ، والنساء ، والاقتصاد ، تحتل من حياة سليمان المحل الاول ، وقد ترك وراءها غاية العهد الاساسية التي كانت شغل داود الشاغل .

ج . زواجه بالغريبات (١ الملوك ٩ : ١—٨) . هي سياسة المحالفات اوقعته في هذه الزواجات ، ففتح بذلك الطريق الى العناصر الوثنية من اصنام وكهنة ومعابد. لم يستسلم سليمان نفسه الى الوثنية، الاّ انه كان قدوة سيئة لشعبه . فلم يكن ابن داود ليعتبر العهد مع الله فوق كل عهد ، وإله العهد فوق كل إله ، لا محل لاله غير الله ولا محل لعهد غير عهده .

العواقب : مقاومة الانبياء .

قام ناتان النبي بتوبيخ داود على خطيئته بجرأة . اما أحيَّا الشيلوني فلم يكن له مثل جرأته ليقف في وجه سليمان ، فحمل عليه حملة خفيّة كان من جرائها ان ثار رحبعام على سليمان في حياته ، وانشقت القبائل العشر عن مملكته بعد موته .

للمطالعة

١ — داود وناتان

«فأرسل الرب ناتان الى داود وقال له : كان رجلان في احدى المدن احدهما غني والآخر فقير . وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً . والفقير لم يكن له غير رخلة واحدة صغيرة قد اشتراها ورباها وكبرت معه ومع بنيه تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وترقد في حضنه ، وكانت عنده كابنته . فنزل بالرجل الغني ضيف ، فشحّ ان يأخذ من غنمه وبقره ليهيئ للضيف الوافد عليه ، فأخذ رخلة الرجل الفقير وهيأها للرجل الوافد عليه.

فغضب داود على الرجل جداً وقال لناتان : حي الرب . ان الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت : يرد عوض الرخلة أربعاً جزاء انه فعل هذا الامر ولم يشفق .

فقال ناتان لداود : انت هو الرجل . هكذا قال الرب إله اسرائيل : اني مسحتك ملكاً على اسرائيل وانقذتك من يد شاول ، واعطيتك بيت سيدك ، وازواج سيدك دفعتهن الى حجرك ، واعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا . وان كان ذلك قليلاً فاني ازيدك كذا وكذا . فلماذا ازدريت كلام الرب وارتكبت القبيح في عينيه .

فقال داود لناتان : قد خطئت الى الرب. فقال ناتان لداود : ان الرب ايضاً قد نقل خطيئتك عنك فلا تموت انت.

غير انه من اجل انك بهذا الامر قد جعلت اعداء الرب يجدّفون فالابن الذي يولد لك يموت . وانصرف ناتان الى بيته » (٢ صمو ١٢ : ١-٩ ؛ ١٣-١٥) .

٢ — مزمور ٥١ أو ٥٠ — مقتطفات

يمت هذا المزمور بصلة الى ادب النبوة . وهو يعبر عن عواطف شبيهة بتلك التي شعر بها داود بعد زلته .

ارحمني يا الله بحسب رحمتك ،
وبحسب كثرة رأفتك أمح معاصيّ
زدني غسلاً من اثمي ،
وطهرني من خطيئتي .
فاني عارف بمعاصيّ ،
وخطيئتي امامي في كل حين .
اليك وحدك خطئت ،
وامام عينيك صنعت الشر...
تنضحني بالزوفا فأطهر ،
تغسلني فأبيض اكثر من الثلج...
قلباً طاهراً اخلق فيّ يا الله ،
وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي .
لا تطرحني من امام وجهك
ولا تنزع مني روحك القدوس .
فانك لا تبتغي ذبيحة فأبذل ،
ولا ترتضي بمحرقة .
انما ذبائح الله روح منكسر ،
القلب المنكسر المنسحق لا ترذله يا الله .

(مقتطفات من مز ٥١ او ٥٠)

٣ — حكمة سليمان

« واتى الله سليمان حكمة وفهماً ذكياً جداً وسعة صدر كالرمل الذي على شاطئ البحر. ففاقت حكمة سليمان حكمة جميع اهل المشرق وكل حكمة مصر. وكان أحكم من جميع الناس من أيتان الأزراحي وهيمان وكلكول ودرداع بني ماحول. وشاع اسمه بين جميع الأمم في كل وجه. وقال ثلاثة آلاف مثل. وكانت اناشيده ألفاً وخمسة اناشيد... وكان يُرحل الى سليمان من جميع الشعوب لسماع حكمته ومن جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته » (١ ملوك ٤: ٢٩—٣٤).

٤ — مقاومة أحيَّا الشيلوني

اقام سليمانُ ياربعامَ، الرجل القوي النشيط، على كل العمال من بني افرائيم ومنسى، الذين يشتغلون في اشغال الحكومة ومشاريعها.

« وفي تلك الاثناء خرج ياربعام من اورشليم فصادفه أحيَّا الشيلوني النبي في الطريق. وكان مرتدياً رداءً جديداً وكانا وحدهما في الصحراء. فقبض أحيَّا على الرداء الجديد الذي عليه فشقَّه اثنتي عشرة قطعة. وقال لياربعام: خذ لك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله اسرائيل. هاءنذا اشق الملك من يد سليمان واعطيك عشرة اسباط. وله يكون سبط واحد من أجل داود عبدي، ومن اجل اورشليم المدينة التي اخترتها من جميع اسباط اسرائيل. وانت آخذك فتكون ملكاً على اسرائيل... وأعَنّي ذرية داود من اجل ذلك ولكن لا كل الايام...

والتمس سليمان قتل ياربعام، فقام ياربعام وهرب الى مصر، ومكث في مصر الى وفاة سليمان » (١ ملوك ١١ ٢٩—٣٢، ٣٧—٤٠).

العهد في ازدهار

توطئة

الأنبياء وزمانهم

١ . — الوسط السياسي الدولي

قامت في اشور حركة توسعية تواصلت من القرن العاشر حتى نهاية القرن السابع . الاّ ان الانهيار جاء سريعاً كالبرق الخاطف ، فسقطت عاصمتها نينوى في عام ٦١٢ وبذلك امحّت اشور فجأة من خارطة العالم .

وحلّت بابل محلّها ، وامتدّ الزمان ببابل حتى عام **٥٣٩** اذ سقطت بدورها تحت ضربات قورش ملك الفرس .

وكانت مصر تسير في تلك الحقبة كلها على سياسة متذبذبة ، محاولة ان تجمع تحت لوائها البلاد السورية الفلسطينية .

ويحاول الشعب المختار ، وقد انهكه انشقاق **٩٣٥** ، ووقع بين عملاقين ، مصر والامبراطورية الاشورية البابلية ، ان يتبع سياسة انتهازية. لكن هذه السياسة ستقوده الى حتفه في كارثة ٥٨٦ .

التوسع الاشوري (٩١١ — ٦١٢) :

امتدت الدولة الاشورية في عهد ملكها شلمَنصَّر الثالث (٨٥٠) :

— في الشرق حتى الخليج الفارسي وايلام .

— في الجنوب الغربي حتى مصر .

مارس الملك ثغْلا تفلاسّار الثالث في فتوحاته طريقة النفي والترحيل، كي يخمد في الشعوب المغلوبة الروح الوطنية. فأخذ دمشق عام ٧٣٢ وقلب سوريا الى مقاطعة اشورية.

وفي عام ٧٢١ استولى سرجون الثاني على السامرة وقوّض دولة اسرائيل. الاّ ان انهيار اشور لم يكن ببعيد.

السيطرة البابلية (٦١٢ - ٥٣٩):

في عام ٦٢٦ استولى قائد كلداني اسمه نبوبولاصَّر على الحكم في مدينة بابل، وكانت الى ذلك الحين خاضعة لاشور، وأسس السلالة الحادية عشرة التي لن يلبث اعضاؤها ان يؤسسوا الامبراطورية البابلية الجديدة، على حساب الاشوريين.

وفي عام ٦١٢ تسقط نينوى عاصمة الاشوريين تحت ضربات الكلدانيين وحلفائهم المادانيين رغم المساعدة التي اداها اليهم فرعون مصر پسّاميّتيك الاول.

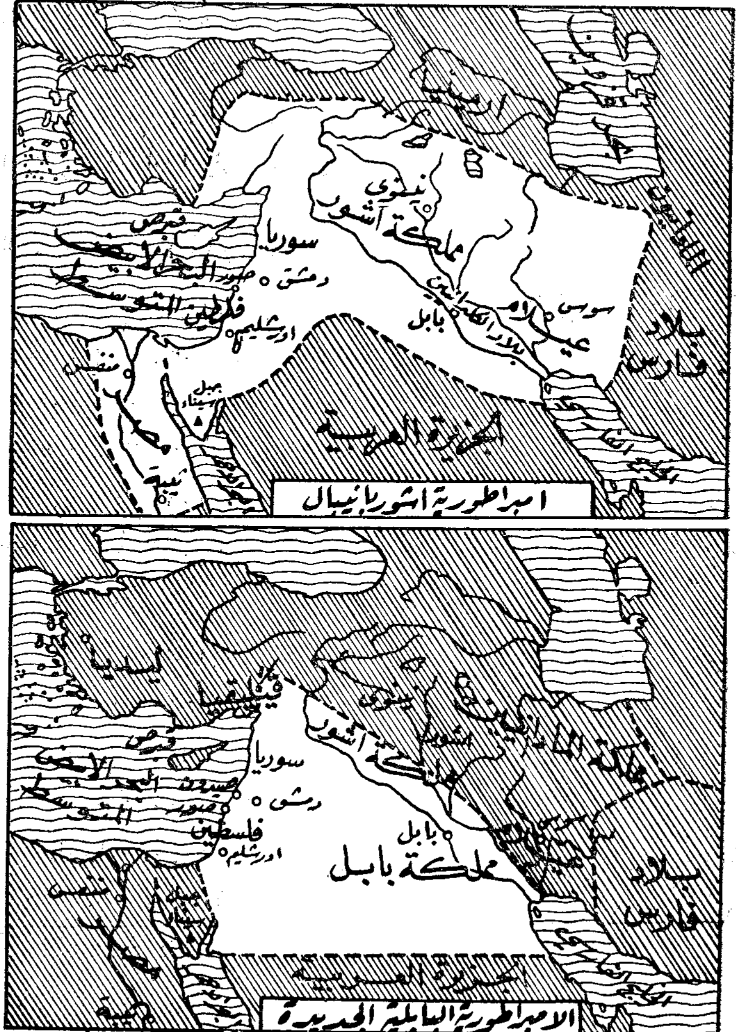
وتوزع الغزاة اسلاب الامبراطورية المنهارة، فأخذ ملك المادانيين سياكسار اشورَ ذاتها، واخذ نبوبولاصّر بابل وسوريا وفلسطين.

وفي عام ٦٠٥ هزم نبوكدنصر بن نبوبولاصّر المصريين في موقعة كركميش وكان في وقت ما على وشك ان يدخل وادي النيل.

واستولت جيوشه على اورشليم لتقمع فتنة ساندتها مصر. وفي مرات ثلاث متوالية، اي في ٥٩٧ و٥٨٦ و٥٨١ أجلى السكان عن اوطانهم الى «قرب نهر بابل»، وبذلك تمّ القضاء على مملكة يهوذا.

سياسة مصر:

١. لم يكن انحطاط مصر في حقبة القضاة ليحول دون تدخلهم في سياسة آسيا.


نينوى
مملكة آشور
سوريا
دمشق
اورشليم
بابل
سوس
عيلام
بلاد فارس
قبرص
الجزيرة العربية
مصر
جبل سيناء
امبراطورية اشوربانيبال
ليديا
قبرص
سوريا
دمشق
فلسطين
اورشليم
بابل
مملكة بابل
بلاد فارس
الجزيرة العربية
الامبراطورية البابلية الجديدة

تدخلت في اول الامر ضد الاشوريين ، فساندت كل الثورات السورية التي قامت عليهم ، وتدخلت بعد الانشقاق في شؤون يهوذا . الاّ ان دلتا النيل تمّ احتلالها منذ ٦٨١ ،وتيبا تمّ هدمها عام ٦٦٣ (نحوم ٣ : ٨—١٠) .

٢ . بدخول البابليين ميدان السياسة انقلبت مصر الى حليفة اشور واحتلت سوريا وفلسطين .

ولما اراد يوشيا ان يحول دون مرور جيش نـكو الثاني في طريقه الى كركميش ، ناصبه العداء وحاربه ، فانكسر ملك يهوذا في سهل مجدّو (٦٠٩) ومات .

ضعف مملكة العبرانيين :

بموت سليمان عام ٩٣٥ انشقت قبائل الشمال العشر عن مملكة يهوذا وانشأت مملكة اسرائيل .

وظلّت مملكة اسرائيل تعمل طوال قرنين على توطيد استقلالها السياسي والديني .

وفي عام ٧٣٥ حالف اسرائيل دمشق على ملك اشور تغلا تفلاسّار فنشبت الحرب السورية الافرائيمية ضد آحاز الذي اراد ان يبقى على الحياد . وانتهت الامور بسقوط السامرة في يد سرجون الثاني وسقوط مملكة اسرائيل عام ٧٢١ .

وفي عام ٧٠١ اشتبك حزقيا ملك يهوذا مع سنحاريب ملك اشور فحاصر هذا عاصمة حزقيا ، الاّ انه اضطرّ الى رفع الحصار والرحيل الى حين .

وبسطت بابل سلطانها في القرن السابع على فلسطين ، الاّ ان مصر قامت نحو بابل بمثل الدور الذي قامت به بالامس نحو اشور .

ولذا فقد انقسمت اورشليم في بدء القرن السادس الى حزبين :

– الحزب البابلي الذي يمثله ارميا ، وكان يدعو الى موالاة بابل .

– الحزب المصري الذي كان حزب حاشية الملك ، وكان يضع كل آماله في قوة فرعون . آمال خائبة سوف تقود المملكة الى حتفها .

٢ . – النبي والنبوة

النبي هو « رجل الله » ، يبعث به في الاوقات التي تضعف فيها الروح الدينية التي تركها موسى . وقد ظلّت الوثنية قوية بعد عهد القضاة ولا سيما بعد وقوع الانشقاق .

لا يكتفي الاسرائيليون بأرض ودستور ، بل يحتاجون ايضاً الى هدف يقبلون به ويسعون اليه . وما الانبياء سوى رجال يختارهم الله ليساعدوا الشعب على بلوغ هدفه الموسوي . انهم يؤلفون مرحلة جديدة في تاريخ العهد القديم .

لن ينفكوا يذكّرون الشعب بناموس عهد سينا. فهم اذاً في جوهرهم رجال التقليد ، رجال الماضي . الاّ انهم مع ذلك لن ينفكوا يظهرون ويكتشفون ، على ضوء رسالة الله ، غنى العهد وكنوزه الروحية . وبذلك هم ايضاً رجال التقدم ، رجال الغد ، رجال العهد الجديد .

ما هو النبي ؟

يذكر الكتاب زمراً مختلفة من الانبياء :

١ . **ابناء الانبياء** . – يعمد بعض الاتقياء ،ولا سيما عندما تطغي موجة الوثنية على الشعب المختار ، الى طريقة من العيش خاصة : فيعيشون في جماعة ويمارسون الرقص على توقيع الموسيقى ، ويزاولون بعض الاعمال والممارسات التي تؤدي الى نوع من الانخطاف. هؤلاء هم ابناء الانبياء (اي جماعة الانبياء) .

اول ما نجدهم في عهد ملوك ما قبل الانشقاق : ١ صموئيل ١٠ :

٥ـ٦ ؛ ثم ١٩ : ٢٠ـ٢٤ حيث نرى شاول يبلغ درجة الانخطاف .

لم يخرج نبي حقيقي من هذه الجماعات ، اقله في بعض الحقب (١ ملوك ١٨ : ٢٢ ؛ ٢ ملوك ٤ : ٣٨) .

٢ . **الانبياء الكذبة** . ـ أخذ بعض ابناء الانبياء وغيرهم يسلكون طريق السهولة ، فصاروا يؤدون لا رسالة الله غير منقوصة بل اقوالاً ينحرفون فيها برسالة الله الى ما يرضي الملك والشعب (١ملوك٢٢ : ٥ـ٨) ، فقاوم ارميا حننيا (ارميا ٢٨) . انظر ايضاً الى عاموس ٧ : ١٤ .

٣ . **انبياء البعل** . ـ ينتمون الى التنبوء الوثني ، وهم ذاتهم وثنيون . وقد كان عصرهم الذهبي عصر ايزابل التي ادخلتهم اسرائيل وقتلت مناوئيهم انبياء الله .

انهم يعبدون البعل ، وهو اسم لاله كنعاني ، وقد يكون لاله فينيقي . ويستطيعون ان « يتنبأوا » كما يتنبأ انبياء اسرائيل .

٤ . **الانبياء المدعوون** . ـ ليس لدينا عنهم قبل القرن الثامن الاّ معلومات متقطعة . ظهر ناتان في زمان داود (٢ صموئيل ١٢ : ١) وأحيّا في زمان سليمان (١ ملوك ١١ : ٢٩) ، وميخا بن يملة في زمان آحاب (١ ملوك ٢٢ : ١٤) . كل هؤلاء يطلعون علينا ويذهبون على حين غرة .

وتتبدل الامور غيرها منذ القرن الثامن ، اذ نقترب من النبي ، ونتفهم عمله ، ونطلع على حياته الشخصية . لأن اقواله وآياته هي بين ايدينا مدوّنة مكتوبة .

ومما يدعو الى العجب ان سلسلة الانبياء لم تنقطع منذ بداية الملكية . الاّ انها ليست بالوراثة اباً عن جد كالكهنوت . وذلك لأن النبوة دعوة خاصة من الله .

روى لنا بعضهم الظروف التي دعاهم الله فيها الى التنبؤ . وهذا ما يتيح لنا ان نقابل بين دعوة النبي وعمله .

ان النبي يدرك كل الادراك المهمة التي فرضت عليه والمسؤولية التي يضطلع بها تجاه الناس .

والنبوة تقتضي من صاحبها الطاعة التامة لأوامر الله ، والأمانة الكاملة في تأدية الرسالة . فهو قد دُعي لا ليتملق ويداهن ، بل ليقول الحق .

اكثر الانبياء دوّن لهم تلاميذهم اقوالهم، فأطلق عليهم اسم «الانبياء الكتبـــة » .

وينقسم الانبياء ، لا بحسب اهميتهم ، بل بحسب حجم كتابهم ، الى «انبياء كبار» وهم اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال ، والى «انبياء صغار» وهم الاثنا عشر الباقون .

كان (ملاخي ٤٥٠) آخر الانبياء فختمت به سلسلتهم .

ما هي النبوة ؟

نجد في الفصل الحادي عشر من نبوة هوشع ما يهدينا الى الجواب . ففي هذه النبوة ثلاثة عناصر مختلفة :

١ . **الحكم على الحاضر** . — يشبه اسرائيل تجاه الله ولداً عاقاً تجاه ابيه . فهو رغم ما اسبغ الله عليه بالخروج من خير فانه قدّم القرابين للالهة الغريبة :

اذ كان اسرائيل صبياً أحببته ،
ومن مصر دعوت ابني .
قد دعوهم لكنهم اعرضوا عنهم
ذابحين للبعليم
ومقتّرين للتماثيل .
وانا درّجت افرائيم ،

وحملتهم على ذراعيّ.
اني اجتذبهم بحبال البشر،
بربط الحب .
واكون لهم كمن يرفع النير عن فكوكهم ،
وأمدّ له وأطعمه .

٢ . **الوعيد بالقصاص** . — لا يرضى الله بجحود اسرائيل . ولسوف يكون الاشوريون اداة بيد الله لمعاقبته على خيانته ، فهو لم يتب عنها (سقوط السامرة ٧٢١) :

لا يرجع الى ارض مصر ،
واشور هو يكون ملكه ،
لأنهم أبوا ان يتوبوا .
ويجول السيف في مدنهم ،
ويفني وجهاءها ،
ويأكلهم لأجل مشوراتهم .
فان شعبي قد تشبث بالارتداد عني .
دَعَوْهُ الى العلي
لكنه لم يرفع رأسه .

٣ . **الوعد بالبعث** . — لا ينزل الله من عقاب للتشفي او على سبيل العبث . لأنه لا يريد ان يهلك شعبه الى الابد . وقصاصه ليس الاّ واسطة خلاص (راجع اشعيا ٢ الى ٤ ؛ وحزقيال ١٦) :

كيف اعاملك يا افرائيم ،
واصنع بك يا اسرائيل .
اجعلك كأدمة

وأصيّرك كصبوئيم ؟
قد انقلب فيَّ فؤادي ،
واضطرمت مراحمي .
لا انفذ وغر غضبي ،
ولا أهمّ بعد بتدمير افرائيم
لأني انا الله لا إنسان ،
وفيك قدّيس ،
فلا أدخل المدينة .

العَهْد على هدي الأنبياء

الفصل الأول

أنبياء إسرائيل في القرنين التاسع والثامن

١ . الحياة السياسية في مملكة اسرائيل

كانت هذه المملكة تضم ، منذ انشقاقها عن مملكة يهوذا ، كل قبائل الشمال . وقد حكمها حتى تاريخ سقوطها (٧٢١) تسع سلالات :

١ . عمري (٨٨٥–٨٧٤) : اختار عام ٨٨٠ بقعة من السامرة منيعة الجانب فأقام عليها عاصمته بمدينتها وقلعتها .

أوقف الحرب التي كانت مستعرة بين المملكتين الشقيقتين ، وتوجه بانظاره ومطامحه الى موآب فضرب عليهم ضريبة من الغنم والصوف .

ثم زوّج ابنه آحاب بايزابل ابنة أتبعل ملك فينيقيا .

٢ . آحاب (٨٧٤–٨٥٣) وايزابل عاشا في زمن ايليا النبي .

انهار الحلف ، الذي كان آحاب احد اعضائه ، تحت ضربات الاشوريين في موقعة قرقر على العاصي (٨٥٤) .

عزّز آحاب سياسة السلام التي انتهجها ابوه عمري مع مملكة يهوذا ، فزوّج ابنته عتاليا بيورام من يهوذا .

٣ . ياهو (٨٤١–٨١٤) : افنى عائلة عمري وكُتب لسلالته ان تحكم مملكة اسرائيل قرناً بكامله .

عاش في زمان اليشع النبي وكافح بشدة عبادة الاوثان التي وطّد اركانها آحاب وامرأته ايزابل .

ما كاد بتحالفه مع اشور يتحرر من دمشق حتى وقع تحت سلطان اشور يدور في فلكها (٨٤١) .

قبيل مماته خسر كل شرقي الاردن على اثر حملاته الفاشلة على دمشق.

٤ . ياربعام الثاني (٧٨٣—٧٤٣) خلف ياهو الثالث. استتبّ له الحكم اربعين سنة ، فانتهز فرصة بداية انحطاط اشور العابر وأعاد الى مملكة سليمان رونقها ووحدتها — ما عدا يهوذا . وفي عهده تنبأ عاموس بضعة اشهر .

٥ . وجاء عهد الانحطاط . وفي عام ٧٢٥ اشتبكت مملكة اسرائيل مع مصر بمناوشات جرّت عليها عداوة شلمنصّر الرابع فجاء وضرب نطاق الحصار حول السامرة .

وسقطت السامرة عام ٧٢١ في يد سرجون خلفه .

وصارت السامرة مديرية لمقاطعة اشورية فيها مقر حاكم غريب .

وأجلي عدد كبير من اسرى الاسرائيليين عن اراضيهم ليحل محلهم فيها جماعات من بابل وسوريا (٢ ملوك ١٧ : ٦ و ٢٤) .

اشور وسوريا	يهوذا	اسرائيل
فرض عمري الجزية على موآب	يوشافاط	عمري ٨٨٥—٨٧٤
حوالى ٨٨٠	٨٧١—٨٤٨	بناء السامرة ٨٨٠
معركة قرقر : ٨٥٤		احآب (ايزابل) ٨٧٤—٨٥٣
		ايليا — اليشع
	عتليا ٨٤١-٨٣٥	ياهو ٨٤١—٨١٤
	عزيا ٧٨١-٧٤٠	ياربعام الثاني ٧٨٣—٧٤٣
	اشعيا	**عاموس وهوشع**
الحرب بين سوريا وافرائيم : ٧٣٥	آحاز ٧٣٦-٧١٦	هوشع ٧٣٢—٧٢٤
سقوط دمشق ٧٣٢	**ميخا**	سقوط السامرة بيد سرجون الثاني ٧٢١

نصب ميزا (Mésa) :

اكتشفه عام ١٨٦٨ بدو قرب العرنون فكسروه على امل ان يحصلوا من بيعه قطعاً على مال أوفر .

وامكن العلماء اعادة النصب بنصه بفضل ما قاموا به وقت الاكتشاف من طبعه . وهو الآن في اللوفر .

قياسه متر في متر وستين . وهو يعود في الارجح الى عهد ياهو ، وقد كتب بعبرية القرن التاسع .

نقش ولا شك على اثر تشييد مذبح للاله كاموش إله موآب الاكبر ، وكانت عبادة هذا الاله قد دخلت اورشليم في عهد سليمان (١ ملوك ١١ : ٧) ، واليك بعض مقتطفات من هذا النصب :

انا ميزا بن كاموش ملك موآب
ملك ابي على موآب ثلاثين عاماً ، وملكت انا بعد ابي...
ملك عمري على اسرائيل فاضطهد موآب اياماً كثيرة ،
لان كاموش كان غضبان على ارضه .
وخلفه ابنه وقال هو ايضاً :
اضطهد موآب ! قال هذا في ايامي .
لكنني تغلبت عليه وعلى بيته ، وهلك اسرائيل الى الابد .
احتلّ عمري ارض مادبا وكان اسرائيل فيها
كل ايامه ونصف ايام ابنه : اربعين سنة ...
وقال لي كاموش : اذهب ، خذ نبو ضد اسرائيل !
وذهبتُ ليلاً وحاربته منذ طلوع الفجر حتى الظهر ،
واسرته وذبحت الجميع : سبعة آلاف رجل وولد وامرأة وعبد ،
اذ انني نذرتهم لعشتاروت كاموش ، وسلبت من يهوه الاشياء
وقدمتها بين يدي كاموش ...

قابل بين هذا النص ورواية الكتاب القدس (٢ ملوك ٣ : ٤–٢٧).

٢ . — ايليا

مصادر تاريخه:

الوثيقة ، التي هي سيرة ايليا ، مدوّنة في الكتاب الاول من الملوك مما يلي الفصل السادس عشر. وقد بتر الكتاب من بدايته كلها .

ولذا فاننا لا نعلم شيئاً لا عن دعوته ولا عن رسالته قبل الجفاف الطويل .

ولد في تشبة في شمالي عبر الاردن وزاول مهمته النبوية في عهد آحاب الملك .

١ . الحالة الدينية في مملكة اسرائيل :

اتت.ايزابل بكهنة للاوثان من فينيقية وأقامتهم خدمةً لها في معبدها ودعاةً للديانة الغريبة (١ ملوك ١٨ : ١٩) . ثم كان الاضطهاد (١ ملوك ١٨ : ١٣) فقتلت انبياء يهوه . واعلن ايليا انه بقي الوحيد من انبياء يهوه .

ولم يقاوم آحاب زوجته ايزابل، بل ترك اللهَ واخذ يعبد بعل الكنعانيين (١ ملوك ١٨ : ١٨) . الحالة اذاً خطيرة والعهد قد انتهكت حرمته .

٢ . نشاط ايليا النبي :

آ. رسالة فردية . — روت لنا سيرته (١ ملوك ١٧ : ١ ؛ ٢ ملوك ١ : ١٨) عن رسالة قام بها خارج كنعان في سربتا (الصرفند الحالية في الساحل على بعد ١٥ ك جنوبي صيدا) .

وروت لنا السيرة ايضاً عن معجزتين لايليا : تكثير الخبز والزيت لأرملة في سربتا ، وبعث ابن لها من الموت . معجزتان هما لدى المرأة عنوان رسالته وبرهانها : « الآن علمتُ انك رجل الله وان كلام الرب فيك حقاً » (١ ملوك ١٧ : ٢٤) .

ب. رسالة عامة . — هي حادث الكرمل الشهير (١ ملوك ١٨) .

عاد ايليا من فينيقية وهو مصمم النية على القيام بمحاولة حاسمة . فهو الآن امام نكوص عام ، امام خيانة شاملة صرفت الناس كلهم عن عهد موسى . الاّ انه يعلم انهم لم يُقبلوا على عبادة الاوثان عن ايمان واعتقاد بل عن ضعف . ولذا فانه سيطلب من الله معجزة تقوّي ضعف مواطنيه وتبعث فيهم حركة دينية تعود بهم الى ايمان موسى .

انه بذلك يناصب ايزابل العداء . لكنه يجد في آحاب حليفاً ، وان مكرهاً . فهو ، بوصفه ملك اسرائيل ، لن يأبى ان يقوم بعمل في سبيل يهوه .

واحتشد على جبل الكرمل جمهور كبير . فقام ايليا فيهم خطيباً ، يقرّعهم على مسلكهم الملتبس : ان كان يهوه الله فالبعل ليس الله . وبالعكس .

« الى متى انتم تعرجون بين الجانبين ؟ ان كان الرب هو الاله فاتّبعوه ، وان كان البعل إياه فاتّبعوه » .

وخيّم على اثر هذا الكلام السكوت . بقي البرهان : ايّ مِن يهوه والبعل هو الله ؟

وخاطب ايليا كهنة البعل الفينيقي الذين استأجرتهم ايزابل ، وقد جمعهم آحاب على الكرمل وكانوا اربعمائة وخمسين كاهناً ، وعرض عليهم الاختبار التالي : على كل من الطرفين ان يعدّ ذبيحة لالهه دون ان يضرم فيها النار . ثم يطلب من الهه ان يرسل عليها النار .

ووافق الشعب على قوله وبدأ كهنة البعل بالعمل . فأعدوا الذبيحة ، « ودعوا باسم البعل من الغداة الى الظهر » ، يوقّعون ادعيتهم على حركات الرقص الديني ويثخنون اجسامهم بالجراحات الطقسية ، « فلم يكن من صوت ولا مجيب » .

وقام عندئذ ايليا بدوره . فكان يسترعي الانظار بحركاته واقواله التي كان لكل منها معنى قوي :

بدأ باصلاح مذبح يهوه وكان قد هدم . ثم أعدّ عليه الذبيحة .

وتـلا بعدئذ الصلاة وكانت تتضمن معاني ذات شأن تنم عن شخصه وعن مهمته :

— فهو يهوه وحده إله اسرائيل . اما آلهة البعل فلا قدر لها ولا مكان عند الشعب المختار .

— هو وحده الله . اما آلهة البعل فليست بآلهة .

— ايليا هو نبي يهوه وخادمه وعبده .

وانقضّت نار يهوه — وقد تكون الصاعقة — على الذبيحة واحرقتها. فصرخ الشعب برمته : « يهوه هو الله » .

وانتهى المشهد بقتل كهنة البعل ، فذبحوا عن بكرة ابيهم على نهر قيشون . هذه المجزرة تنكرها عقليتنا المسيحية . الاّ انها تدل على مبلغ الخطر (اقرأ تثنية الاشتراع ١٣) .

ج . في ينابيع العهد . — لم تكن نتيجة المشهد بالنتيجة الحاسمة :

— فلا نتمالك لأول وهلة من الشعور بالخيبة :

١ . هذه التجربة لم تأت بمفعولها العام . لقد انبعث في قلوب الحاضرين الشعور بدعوة الشعب المختار الخاصة . الا انه كان شعوراً عابراً ، ولم يكن الشعب الاسرائيلي كله حاضراً على الكرمل .

٢ . أحدث تهديد ايزابل ووعيدها من الخوف والقنوط في قلب ايليا ما لم يكن بمنتظر من رجل الايمان والعزيمة : « فخاف وقام ومضى على وجهه » .

— الاّ ان ايليا لم يفقد روح العهد والشعور بالوعي . فلقد حاول ان يبعث في الاسرائيليين ذكرى الوديعة التي ائتمنوا عليها ، روح التوحيد، « حتى يعلم اليوم جميعهم انك إله اسرائيل » . وهو لم يقصد بعد ذلك في شدته الجبل المقدس الاّ ليذكي في نفسه بمرآه روح عهد سينا . ثم ان الرؤيا التي جاءته بالعون تتصل برؤيا موسى بصلة وثقى (قابل بين

١ ملوك ٩:٩–١٨ والخروج ٢٣:١٨ ؛ ٣٤:٩) .

د . المغزى الاجتماعي. — ليست حكاية نابوت (١ ملوك ٢١) سوى برهان على ما للديانة في النظام الاجتماعي من دور جوهري. فالعدالة الاجتماعية هي من صميم الدين .

(انظر عاموس ٨:٤–٨ عن اضطهاد المساكين ؛ اشعيا ٣:١٦ ؛ ٥:١ عن البذخ والترف) .

هـ . مواصلة العمل . — فكر ايليا بالمستقبل . ولذا فما شعر بقرب اجله حتى اختار له خلفاً اليشع بن شافات ، الذي ينتمي الى عائلة غنية من المزارعين (١ ملوك ١٩:١٩) .

طرح ايليا على اليشع رداءه ، علامة تسليم القوة والسلطة ، الاّ انه لا يدري بعد هل سيوافق الله على مقصده فيعطي اليشع دعوه النبوة (٢ ملوك ٢:٩–١٣) .

ولا بأس من ذكر الطلب الذي وجهه اليشع الى ايليا : « فترك اليشع البقر وجرى وراء ايليا وقال له : دعني اقبّل ابي وامي ثم اتبعك . فقال له ايليا : اذهب راجعاً فماذا صنعتُ بك . فرجع من خلفه ، واخذ زوجين من البقر وذبحها وطبخ لحمها على اداة البقر وقدّم للشعب فأكلوا » .

ويتوارد على الخاطر قول المسيح وهو يرفض الطلب المشابه : « ليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يكون اهلاً لملكوت الله » . (لوقا ٩:٦٢) .

ايليا والعهد الجديد:

١ . يذكرنا العهد الجديد بالجفاف الذي عمّ البلاد اثر صلاة ايليا (يعقوب ٥:١٧) وبمكوث ايليا في بيت ارملة سربتا (لوقا ٤:٢٦) .

٢ . ويقابل ايضاً بين موسى وايليا في تجلّي المسيح على الجبل (متى ٧:٣) . فالصلة وثقى بين الاثنين يكمل ثانيهما الاول في وحدة العهد القديم .

٣ . الاّ ان الشخص الذي بدا في نظر يهود الانجيل صورةً لايليا هو يوحنا المعمدان .

فلقد اعلن الملاك لزكريا عن يوحنا انه سيأتي بروح ايليا وقدرته (لوقا ١ : ١٧) . قابل بين لباس المعمدان (متى ٣ : ٤) ولباس ايليا (٢ الملوك ١ : ٨) .

سينهج المعمدان نهج ايليا فيرد الضالين العصاة الى معرفة الله .

كان اليهود في ذلك العصر ينتظرون عودة ايليا . وقد سألوا المعمدان : « أإيليا انت ؟ » (يوحنا ١ : ٢١ ؛ انظر ملاخيا ٣ : ١ و٢٣) .

وقد قال المسيح عن يوحنا : « انه ايليا الآتي » (متى ١١ : ١٤) . وطرق الموضوع مرة اخرى : « لقد جاء ايليا فلم يعرفوه » (متى ١٧ : ١٢).

٣ . — عاموس

الرجل :

هو من قرية تقدع بالقرب من بيت لحم في مملكة يهوذا . ومع ذلك فقد مارس مهمته في مملكة الشمال .

يحترف حرفتين :

— انه راعي غنم (والرعاة كثيرون في تلك الجهات) .

— انه واخز جمّيز (وهي عملية ينضج بها الجميز) .

هو رجل خال من الثقافة والأناقة الاجتماعية . الاّ انه ينزع الى الحياة البسيطة والاستقلال الفكري .

النبي :

الدعوة . — ليس هو من الانبياء المتطوعين ، ليس « من ابناء الانبياء » (٧ : ١٤) . اي انه لا ينتمي الى اخويات او جمعيات الانبياء.

لقد دعاه الله مباشرة : « فأخذني الرب من وراء الغنم وقال لي الرب انطلق وتنبأ لشعبي اسرائيل » (٧ : ١٥) .

المكان والزمان . — دوّى صوته في مملكة اسرائيل، في عهد ياربعام الثاني حوالى عام ٧٥٠ .

كانت سوريا يومذاك في حالة ضعف وانحطاط ، واشور مشغولة بحروبها مع اورارتو ، ومملكة السامرة في اوج ازدهارها . فكان البذخ سائداً في حياة الكبار ، يقابله عند الصغار شقاء عميق ، بذنب الكبار. فكانت رسالة عاموس لذلك ذات صبغة اجتماعية .

الرسالة . — عرض عاموس تعليماً عن التوحيد صافياً لا يشوبه شائبة . الاّ انه بالاحرى تذكير اكثر منه تعليم .

آ . إله العهد . — يهوه هو إله الطبيعة . الاّ انه ايضاً إله الشعوب لأنه إله ضابط الكل .

انه بنوع خاص إله عادل ينزل النوائب والمحن دون تردد للاقتصاص من اعمال الشر (١ : ٥—٨) .

ب . الواجبات نحوه . — اول الواجبات التي يطلبها الله هو حفظ الناموس . فاين سكان السامرة من ذلك ؟

انهم لم يعرفوا العمل باستقامة ،
بل يخزنون في قصورهم الجور والاختطاف (٣ : ٥) .

يقولون : متى يمضي رأس الشهر فنبيع الميرة ، والسبت فنعرض البرّ... مستعملين موازين الغش، مقتنين بالفضة المساكين ، والفقير بنعلين (٨ : ٥—٦) .

ولذا فالعبادة الخارجية لا ترضي الله :

لقد ابغضت اعيادكم ورذلتها ،
ولم تطب لي احتفالاتكم...

ولا التفت الى ذبائح السلامة من مسمناتكم ...
أقص عني زجل اغانيك ،
فاني لا اسمع نغم عيدانك .
بل ليجر القضاء كالمياه ،
والعدل كنهر لا ينقطع (٥ : ٢١–٢٤) .

ج . التهديد والوعيد . — لن يتأخر القصاص . وسيكون من الشدة والصرامة بقدر ما اسرائيل عليه من كبر المسؤولية وجسامتها. فدعوة الله تقتضي منه الواجبات الشديدة . ولأن الشعب المختار لم يقم بها فلسوف يشعر بوطأة عدل الله وحكمه الرهيب .

اما العقوبات التي انذر عاموس بها فهي :

— زحف الاشوريين (دون ان يذكر اسم اشور ، فهي ضمنية) .

— سبي السامريين .

— زوال السلالة المالكة وانقراضها (٧ و٨) .

د . الرجاء . — نبوءة عاموس كئيبة قاتمة . الآ انها تحمل في طياتها الرجاء . وقد ورد فيها لاول مرة كلمة « البقية الباقية » . « عسى الرب إله الجنود ان يرأف ببقية يوسف » (٥ : ١٥) .

الخلاص محفوظ لهذه البقية ، للصفوة المصطفاة من المؤمنين ؛ انهم يؤلفون في المستقبل شعب الله الحقيقي ، حصة يهوه ونصيبه المختار .

خاتمة الرسالة . — شكا أمصيا ، كاهن بيت ايل ، عاموس الى الملك ، وفي الوقت ذاته امره بالعودة الى يهوذا (٧ : ١٠–١٣) .

أطاع عاموس ، فعاد الى سابق حياته . لقد انتهت رسالته .

الخلاصة :

عاموس نبي قاتم قشف ، ورسالته شديدة . فهو صدى لروح سينا . فما كان احوج ذلك العصر المضطرب الى كلام موسى ! لقد كان عاموس

متمسكاً بالعهد ، فكانت رسالته ان يبلّغ شرائع العهد الادبية الصارمة .

ليس لهذا النبي من ذكر لا في العهد الجديد ولا في الليتورجيا . الاّ انه صورة جميلة من صور النبوة في العهد القديم .

٤ . — هوشع

اننا نجهل كل ما يتعلق بعائلته وبالمهنة التي مارسها قبل رسالته . ويبدو انه كان من اوساط البرجوازية الزراعية الصغيرة . انه رقيق الشعور ملتهب العواطف، صاحب رسالة طريفة كان لها في كل العهد القديم اصداء عميقة .

الزمان والمكان . — قام برسالته في مملكة الشمال مدة من الزمن تتراوح بين عام ٧٥٠ و٧٣٠ ، اي ابتداء من ملك ياربعام الثاني حتى ابتداء ملك هوشع .

كانت اشور في اوج توسعها وامتدادها ، بينما كان اسرائيل يتخبط في الفوضى . فلقد شهد هوشع النبي مصرع اربعة من الملوك .

الرسالة النبوية . — كان حكم هوشع على زمانه شديداً . فلقد اخطأ الناس جميعاً الى الله : فالملوك خانوا دعوتهم ودعوة الشعب المختار بعقدهم الاحلاف مع الغريب (٥:١٣—١٤) . والكهنة خافوا اذ قرنوا السلب والنهب بالجهل والامتناع عن تعليم الشعب (٦:٩ ؛ ٤ : ٦) . والأمة بأجمعها خانت اذ انصرفت عن عهـــد سينا وعبادة يهوه الى عبادة الاوثان (عجل السامرة : ٨ : ٥) ، وجمعت بين الله وآلهة كنعانية (١١:٢) .

ولذا فالقصاص محتم . فلسوف يعرف اسرائيل شقاءه (١١:١—٦) ويخبر شرور الغارات والاحتلال (١٣:١٥) .

الاّ ان هذا القصاص هو واسطة خلاص الشعب المختار، الذي

سيندم تحت الضربات ويثوب الى الله (١٤: ١–٩) . وليس من شرط لهذا الخلاص سوى العبادة الداخلية تحلّ محل العبادة الخارجية :

فاني اردت رحمة لا ذبيحة
ومعرفة الله اكثر من المحرقات
(هوشع ٦:٦؛ متى ٩:١٣؛ ١٢:٧)

المواضيع :

تدور مواضيع رسالته كلها حول عنوانين : المحبة الزوجية ، والخروج.

آ . **المحبة الزوجية.**— حياة النبي — كحياة حزقيال فيما بعد — هي بذاتها علامة لمواطنيه . لقد خانته زوجته فهجرت منزله واستسلمت الى المعاصي . وهو يحتدم غيظاً على خيانتها . الا انه لا يزال يحبها وسيعود اليها .

المرمى واضح.فالزوجة هي اسرائيل، زوجة الله.وهي خانته، بعد زمن قصير من الامانة — زمن الخروج — وقبل ان تدخل ارض كنعان ، سيعاقب الله اذاً الزوجة الخائنة ، وسيعريها من كل اموالها . عندئذ سترتد اليه وتتوب ، فيمنحها الله الرحوم حبه ثانية ، ويبدأ لها عهد جديد من الحب والزواج (٢ : ٤–٢٣) .

وقد اسمى النبي اولاده الثلاثة باسماء تنم عن فحوى رسالته . فأسمى الاول جزرائيل الذي ينبئ بانهيار قوة المملكة العسكرية . اما الاسم الثاني « ليس بمحبوب » والثالث « ليس شعبي » فانهما يدلان بصريح الكلام عمّا هو قائم بين الله وشعبه من التوتر والجفاء .

ب . **الخروج.** — حقبة الخروج هي لدى هوشع النبي حقبة الطاعة والامانة . ولهذا السبب فالنبي يرى توبة اسرائيل على انها عودة الى الصحراء (٢ : ١٤؛ ١٢ : ١٠).وقد يحسن بنا ان نرى في الصحراء هنا حالة اكثر منها مكاناً . فيدور الكلام عندئذ على عقلية وروح هما عقلية

الفقر وروح الزهد كما كان يمارسهما جماعة الريكابيين في زمن ياهو (٢ ملوك ١٠ : ١٥ ؛ انظر ارميا ٣٥ : ١—١١). كان قوام تعليم هذه الجماعة الامتناع عن شرب الخمر ، والسكن تحت الخيام ، والاعراض عن اعمال الزراعة . هذا الحرمان من كل متاع الحياة الحضرية يتضمن المغزى التالي : يجب ان تتعرى النفس من كل الاسباب التي ادت الى انحطاط اسرائيل الديني منذ دخوله ارض كنعان .

الخلاصة:

النبي هوشع هو نبي الحب والرحمة . هذا الحب الزوجي سوف ينتشر في الكتب النبوية والحكمية ، وسوف يكون له صداه بواسطة بولس ويوحنا في كتب العهد الجديد .

الفصل الثاني

أنبياء يهوذا في القرن الثامن

١ — الحياة السياسية في مملكة يهوذا

انحصرت مملكة يهوذا في قبيلة يهوذا وحدها . وكان تاريخها اقل اضطراباً من تاريخ مملكة اسرائيل، فلم يحكم عليها غير سلالة واحدة (باستثناء عهد عتليا) . وامتد بها الزمان ثلاثة قرون ونصف القرن (٩٣٥—٥٨٦) بينما شقيقتها لم تعش غير قرنين . وكانت لها اورشليم العاصمة السياسية والدينية تجمع شملها وتعزز وحدتها .

وهذه اهم حوادثها السياسية :

١ — مملكة رحبعام (٩٣٥—٩١٤) : نكبت بعدوان مصري ، فنهب الفرعون شيشاق كنوز الهيكل والقصر الملكي.

٢ — يوشافاط (٨٧١—٨٤٨) : شهد سلسلة من الانتصارات والانكسارات . وكان متعلقاً بدين التوحيد، الا انه رضي بان يزوج ابنه يورام من عتليا ابنة آحاب وايزابل .

٣ — عتليا (٨٤١—٨٣٥) : اغتصبت الحكم بموت زوجها يورام وابنها احزيا ، وكان كلاهما يميلان الى الوثنية . فقتلت كل اعضاء العائلة المالكة ، وشيدت هيكلاً للبعل الفينيقي ووقفت له اصناماً وخداماً (٢ ملوك ١١ : ١٨) ولم ينج من القتل الا طفل هو يوآش بن أحزيا . وعندما بلغ الطفل السابعة قدمه رئيس الكهنة يوياداع الى الشعب فبايعه وحكم على عتليا بالموت وعادت الملكية الى ايمانها السابق بالله .

٤ – آحاز (٧٣٦–٧١٦): دعا الاشوريين الى نجدته في الحرب التي شنها عليه ملك دمشق وحلفاؤه من السوريين والاسرائيليين . فهب تغلا تفلاسّار الى نصرته وهزم الحلفاء. الا ان مملكة يهوذا فقدت استقلالها فوقعت في قبضة آشور بينما كانت مملكة الشمال تزول من الوجود .

٥ – حزقيا ابنه (٧١٦–٦٨٧): غير مجرى سياسة الدولة (٢ ملوك ٢٠ : ١٢–١٤؛ اشعيا ٢٢) . انتهز فرصة قيام بابل على اشور فتحالف مع سوريا ومصر وانتقض عليها . فكرَّ سنحاريب على اخصامه وجاء فحاصر اورشليم . ولولا الطاعون يتفشى في جيشه لكانت المدينة سقطت في يده (٢ ملوك ١٨ :١٧؛ ١٩ :٣٧ . انظر هيرودوت ٢ : ١٤١) .

قام حزقيا اثناء حكمه بعمل جليل . فلقد نقب الجبل واتى بالماء من عين جيحون شرقي الاسوار الى مدينة داود . نهض بهذا النقب الذي يبلغ طوله ٥٥ مترًا في الصخر الاصم ليزود المدينة بالماء اثناء حصارها . وقد عُثر على كتابة عبرية في عام ١٨٨٠ تخلد ذكرى هذه المأثرة وتشير الى ان النقب بوشر من طرفيه في آن واحد .

٦ – يوشيا (٦٤٠–٦٠٩). انتهز ضعف خلفاء اسوربانيبال ليقوم باصلاحات دينية واسعة . وكانت الحوادث تنذر بقرب سقوط اشور . ولذلك فلما هب نكو فرعون مصر لنجدة آخر ملك لاشور اعترض سبيله يوشيا ، فكانت معركة مجدّو التي هزم فيها يوشيا وقتل (٦٠٩) . (انظر صفنيا ٢: ١٣–١٥؛ ٢ ملوك ٢٣ : ٢٩–٣٠) .

٧ – يوياقيم (٦٠٩–٥٩٨): لا تزال مملكة يهوذا تتمتع ببعض الاستقلال لان نبوكد نصر رجع بعد انتصاره في معركة كركميش الى بابل لينصرف الى معالجة الشؤون الاشورية . لكن جيشه لم يلبث ان ظهر ثانية في فلسطين عام ٦٠١ فأعلن ملك يهوذا خضوعه . وعلى ذلك انحاز الحزب الملكي الموالي لمصر الى فرعون واشعل نار الثورة على بابل . فعاد نبوكدنصر وفتح اورشليم وجلا سكانها الجلاء الاول (٥٩٧) .

٨ – صدقيا (٥٩٨–٥٨٦) : هو آخر ملوك يهوذا. في عهده قامت

عام ٥٩٣ محالفة على بابل فأخفقت، وتلتها عام ٥٨٨ محالفة ثانية وثورة اخرى .

وردّ نبوكد نصر على ذلك بمحاصرة اورشليم (٢ ملوك ٢٥ : ١) . ولم يأت المدد المنتظر من ابرياس فرعون مصر فسقطت اورشليم في تموز ٥٨٦ بعد حصار دام ١٨ شهراً . ودخل البابليون المدينة فقتلوا جميع اولاد الملك على منظر منه ومسمع ، ثم فقأوا عينيه ، وهدموا الهيكل والبيوت والاسوار (٢ ملوك ٢٥ : ٧–١٠). وجلا الجلاء الثاني، اخذ فيه معظم سكان المدينة والمدن الاخرى الهامة . فاضمحلت بذلك مملكة يهوذا من الوجود ، وكان الحكم الذي انشأه شاول قد دام اربعمائة وخمسين عاماً .

وحدث جلاء ثالث واخير عام ٥٨١ بعد مقتل جدليا الذي خلفه الفاتحون حاكماً على البلاد .

٢ — اشعيا

كتاب اشعيا:

لا وحدة في الكتاب.

الفصول التسعة والثلاثون الاولى تذكر مراراً اسم اشعيا ، وتشير الى حوادث تاريخية وقعت في القرن السابع ، وتعني معاصري النبي ومواطنيه . فالكتاب اذاً ، في مجمله ، من قلم اشعيا دون ريب .

اما الفصول التي تقع بين ٤٠ و ٦٦ فانها تفترض وسطاً تاريخياً مختلفاً كل الاختلاف . ففيها سبي بابل ، وتدخل كورش (القرن السادس). كما يختلف المعنى والمبنى : فالوعد يخلف الوعيد ، وينبعث الرجاء باحياء اورشليم «المسيحية» واعادة مجدها .

هذا ما حدا نقاداً كثيرين على القول بان هذه الفصول الاخيرة هي من وضع تلاميذ لاشعيا ، ممن ورثوا فكرته ، وقد عاشوا بعد حزقيال .

هذه الفصول الاخيرة تتضمن :

— «كتاب تعزية اسرائيل»، الذي يبشر بانتهاء محنة الجلاء (٤٠ —٥٥) .

— «اناشيد خادم يهوه» التي تدور حول شخص مجهول يرمز الى المسيح ، فتتكلم عن عمله وحروبه وعذابه في سبيل الفداء وموته وانتصاره .

— مجموعة آيات مجهولة الاصل ، ذات انواع مختلفة ومن عهد متأخر عن غيرها (٤١—٦٦) .

الرجل:

ولد ولا شك في اورشليم حوالى عام ٧٦٥ . واسم ابيه عاموس ، وهو غير النبي عاموس .

كان لعائلته من الشأن والمكانة ما كان يسمح له بالتردد الى البلاط والتأثير على السياسة الخارجية .

كان متزوجاً ، وقد انجبت له زوجته ، التي نجهل اسمها ، ولدين . ولد الاول عام ٧٤٠ فأسماه : «ستأتي البقية»، وولد الثاني عام ٧٣٥ فأسماه : «غنيمة باردة — سلب عاجل» . هما اسمان لهما مغزاهما الواضح .

كان متعدد أوجه الطبع ، مزيجاً من الصفات من ضبط النفس وسخاء القلب ، ومن ذكاء في الفؤاد تنفتح له الآفاق الواسعة ، ورقة في الاحساس لا تنحصر في دائرة ضيقة من وسطه الاجتماعي ، فيثور على جور بعضهم ويأسى لشقاء الاخرين .

انه رجل الايمان العميق يشعر شعوراً حياً بقداسة الله وبالهوة التي تفصل بين الخالق وخليقته . في هذا الايمان وهذا الشعور نجد اساس حياته الدينية ومعنى رسالته النبوية . وقد مات حوالى ٧٠٠ .

دعوته (الفصل ٦):

هي سنة موت الملك عزيّا ، اي ٧٤٠ . كان اشعيا يومئذ في الهيكل. ولم يستطع ان يدخل قدس الاقداس ، حتى ولا الاقداس ، لأنه لم يكن

كاهناً . كان اذاً واقفاً بالقرب من مذبح المحرقات . فاذا بالرب يظهر له على مدخل رواق الاقداس .

الرواية

— المشهد الاول : روئية الله القدوس .

في السنة التي مات فيها الملك عُزيّا رأيت السيد جالساً على عرش عال رفيع واذياله تملأ الهيكل . من فوقه السرافون قائمون ستة اجنحة ستة اجنحة ، لكل واحد، باثنين يستر وجهه، وباثنين يستر رجليه ، وباثنين يطير . وكان هذا ينادي ذاك ويقول :

« قدوس قدوس قدوس ، رب الجنود .
الارض كلها مملوءة من مجده » .

فتزعزعت اسس العتب من صوت المنادي وامتلأ البيت دخاناً .

— المشهد الثاني : تأثر النبي .

فقلت : « ويل لي قد هلكت .
لأني رجل دنس الشفتين ،
وانا مقيم بين شعب دنس الشفاه .
وقد رأت عيناي الملك رب الجنود ! »

— المشهد الثالث : التطهير من الخطيئة .

فطار الي احد السرافين وبيده جمرة
اخذها بملقط من المذبح ،
ومس فمي وقال :
«ها ان هذه قد مست شفتيك فأزيل اثمك وكفرت خطيئتك» .

— المشهد الرابع : هبة الدعوة .

وسمعت صوت السيد قائلاً :
« من أرسل ؟ ومن ينطلق لنا ؟»
فقلت : « هاءنذا فارسلني » .

الفكرة الاساسية : قداسة الله

ــ انعزال مادي : في سينا كان يهوه منعزلاً على قمة الجبل ، والآن هو منعزل على عرشه الرفيع وسيقابل احد رعاياه . والساروفيم خدامه يذيعون قداسته .

يوم ظهوره في العليقة الملتهبة (الخروج ٣) بسط رداء قداسته على الارض المجاورة (« الموضع الذي انت قائم فيه ارض مقدسة ») . وهنا يبسط رداء طقوسه على ارض الهيكل .

في سينا كانت سحابة تغطي يهوه . وهنا على اصوات الساروفيم يمتلئ البيت دخاناً . في سينا كان الله يظهر لموسى في عاصفة ، وهنا تهتز ابواب الهيكل اهتزازًا .

ــ انعزال ادبي : يرى اشعيا ما يبعد الله ويعزله . هي الخطيئة تبعد الله عن الانسان ، فهو في عزلة من قداسته ، خارج نطاق الشر ، لن يكلّم ، او على الاقل لن يسمع صوته الا للذي هو مثله في منأى عن الخطيئة وشريك له في عزلته .

الا ان دعوة الله هي سؤال يتطلب جواباً ، وعطية تتطلب عطية مثلها . فعلى السؤال : « من أرسل؟ » ، يجيب اشعيا لفوره : «هاءنذا » . على الدعوة يجيب الشاب بسخاء من ذاته كلها .

ستكون الرسالة شاقة ، لأن الشعب اصبح ذا شفاه ملوثة وآذان صماء عن كلام الله . سيذيع اشعيا اذًا رسالة القداسة هذه فهل النفوس جديرة بالتوبة حتى يتاح لها ان تسمع الرسالة وتعمل بها ؟

تلك هي الفكرة الاساسية في رؤيا اشعيا . فلقد طبعت رسالته بطابعها كما واتصلت بالعهد وواصلته . فهي طبيعة اله العهد قد تجلت في هذه الرواية ، كما وهو رفض شعب العهد قد بيّنه النبي بفصيح البيان .

الاشخاص

يهوه ــ اسمه هنا « اله الصباووت » (اله الجنود) .

ليس اولئك الجنود الا تلميحاً الى ملحمة فتح كنعان ، اذ سار الله على رأس شعبه .

الساروفيم — هم ملائكة على شبه الشاروبيم الذين يقفون فوق تابوت العهد . انهم حماة الاماكن العلوية وخدمة الله العلي ، وبالتالي هم شركاء الله في قدرته وقداسته .

اشعيا — فلنقابل بين جواب اشعيا للدعوة وجواب ابراهيم (تكوين ١٢ : ١—٤) .

ولنقابل ايضاً بين دعوة موسى ودعوة اشعيا . ففي رواية موسى عن دعوته (الخروج ٤) نطلع على ما قام في نفس موسى وسيط العهد من عراك داخلي ، فيما اننا لا نجد في رواية اشعيا عن دعوته الا الخاتمة والنتيجة دون المقدمات ، فضلاً عن ان العمل الذي يدعو الله احدهما اليه يختلف عما يدعو اليه الآخر .

اعمال النبي :

اعماله كلها تسودها فكرة القداسة .

شعب الله شعب مقدس . — كما ان اله العهد هو اله قدوس هكذا شعب العهد هو شعب قدوس .

ليس الشعب المختار مثل غيره من الشعوب . فلا سياسته سياستهم ، ولا وسائله وسائلهم . والنتيجة التي تترتب عليه من ذلك مزدوجة :

— لا ملجأ له في الاوقات العصيبة ولا ملاذ الا الثقة بالله .

— لا يحق له ان يعقد مع شعب اجنبي معاهدة او حلفاً ، لأنه بذلك يفسح الطريق للعبادات الوثنية ان تغزو الارض المقدسة وتنزع من شعب الله صفة القداسة .

واليك على هذه المبادىء تطبيقات ثلاثة :

١ — في المعاهدة التي عقدت عام ٧٣٤ بين دمشق والسامرة تحالف

ملك سوريا وملك اسرائيل على محاربة اشور . ولما رفض آحاز الدخول معهما في الحلف اعلنت عليه الحرب .

وجاء من اخبر الملك : « ان ارام قد حلوا بافرائيم » .

وقامت لذلك الخبر قائمة البلاد : « فاضطرب قلب الملك وقلب شعبه اضطراب شجر الغاب تلقاء الريح » .

واشار بعضهم على الملك باستدعاء الاشوريين لنجدته . اما هو فلجأ الى وسيلة هي رجس وفظاعة في عيني الله لكنها مألوفة في ديانـــة الكنعانيين : قدم ابنه ذبيحة الى الآلهة (٢ ملوك ١٦ : ٣) .

وخرج عندئذ اشعيا لملاقاة آحاز وهو يسير بابنه البكر على طريق بركة سلوام في ملتقى وادي تيروبيون بوادي جهنم بالقرب من المكان الذي كانوا يرمون فيه الاولاد ذبيحة في النار .

واوصى اشعيا الملك بان لا يخشى الحلفاء وليضع ثقته بيهوه : « وانتم ان لم تصدقوا فلن تثبتوا » (اشعيا ٧ : ٩) .

واعاد اشعيا الكرة على آحاز ، الى ان بلغ به الامر ان عرض عليه ان يأتيه بآية تشدد من ايمان الشعب كله . فخاف آحاز وابى ان يطلب آية . عندئذ اعلن اشعيا آية عمانوئيل (اشعيا ٧ : ١٠–١٦) .

٢ – قبل غزوة سنحاريب – بعد ما استولى سرجون على السامرة في عام ٧٢١ توجّه حزقيا بانظاره الى مصر آملاً بان تهب لنجدته . فصار يرسل الى ضفاف النيل القوافل المحملة بالهدايا الفاخرة .

وعاد اشعيا الى موقفه السابق :

ويل للهابطين الى مصر
للاستنصار ،
المتوكلين على العجلات لانها كثيرة ،
وعلى الفرسان لأنهم اقوياء جدًا ... (أشعيا ٣١ : ١–٣).

فالنجدة لن تأتي من مصر :

انه هكذا قال السيد الرب ،
قدوس اسرائيل :
في التوبة والراحة تخلصون ،
وفي الطمأنينة والثقة تكون قوتكم (٣٠: ١٥)

٣ . — اثناء الزحف الاشوري. اخذت اورشليم ، بعد ما طلبت النجدة من اشور ، تتقلب في سياستها الى كل وجه مائلة بها ذات اليمين وذات الشمال ، ممّا كان له اوخم العواقب عليها . فلقد جاء سنحاريب بجيوشه ، كما تنبأ اشعيا ، فاحتلّ كل ارض يهوذا وطلب استسلام اورشليم.

هنا هبَّ اشعيا يعلن ان العاصمة لن تغتصب وان يهوه ، دون سواه ، سوف يطرد المهاجمين الى بلادهم خائبين (٣٧: ٢٢ و٢٩) :

ازدرتكِ وسخرت منكِ
البكرُ ابنةُ صهيون ...
لأن غيظك عليَّ
وهيجانك قد ارتفعا الى أذنيَّ
فاني جاعل خزامتي في انفك
وشكيمتي في شفتيك .
ورادّك في الطريق التي جئت منها .

واذا بجيش سنحاريب يرفع الحصار عن المدينة فجأة ويرحل .

على كل فرد من الشعب المختار ان يسعى الى قداسة الله . — ليست قداسة الشعب المختار سوى اشتراك في قداسة إله العهد . ولذا فعلى كل فرد من افراد هذا الشعب ان يسعى بكل جهوده واعماله الى اكتساب الفضائل التي تزيده بالله شبهاً واليه تقرباً .

ويعود اشعيا الى نصوص العهد القديم فيطلب باسم يهوه ممارسة ما ورد فيها عن فضيلتي العدل والمحبة.فهما احق بالممارسة من اعمال العبادة الخارجية :

قد شبعتُ من محرقات الكباش
وشحم المسمّنات ...
ازيلوا شرَّ اعمالكم من امام عينيَّ ،
وكفّوا عن الاساءة .
تعلّموا الاحسان ،
والتمسوا الانصاف وأغيثوا المظلوم ،
انصفوا اليتيم وحاموا عن الارملة (١ : ١١ و١٧) .
(قارن بين هذا والخروج ٢٢–٢٣) .
ويورد اشعيا بالمعنى ذاته الآية التي سيرددها بعده المسيح (متى ١٥ : ٨) :
... هذا الشعب يتقرَّب اليَّ بفيه ،
ويكرمني بشفتيه ،
وقلبه بعيد مني (٢٩ : ١٣) .
واحياناً يرتفع الصوت وتشتد اللهجة فاذا بالنبي يتفجر تهديداً ووعيداً ولعنات :
ويل للذين يَصلُون بيتاً ببيت
ويقرنون حقلاً بحقل ...
ويل للقائمين من الغداة ،
في طلب المسكر .
المستمرّين الى العتمة .
والخمر تلهبهم ...
المزكّين المنافق لأجل رشوة ،
المحرّفين على الصدّيق حقّه .
فلذلك كما يأكل لهيب النار العصافة ،
وكما يفنى الحشيش الملتهب ،
يكون اصلهم كالعود النخر ،
وزهرهم يتناثر كالتراب ،

لأنهم نبذوا شريعة رب الجنود ،
واستهانوا بكلمة قدّوس اسرائيل (٥: ٨، ١١، ٢٣-٢٤) .

نجد مثل هذه الحملة الشعواء على بذخ النساء (حوالى ٧٣٥) في اشعيا ٣: ١٦-٢٤ . الاّ ان اجمل ما ورد في اشعيا عما تقتضيه منا قداسة الله ، وعما يقابلها به الشعب من الرفض ، هو « نشيد الكرمة » (٥: ١-٧) .

المواضيع « المسيحية » :

هي ايضاً متصلة كل الاتصال بفكرة قداسة الله هذه ، تواصلها دون عناء .

١. عجز الشعب المختار عن الاشتراك في قداسة الله . ولذا فسيكون ذلك من نصيب النخبة المنتخبة ، من نصيب ما اسماه النبي عاموس « بالبقية الباقية » .

٢. هذه البقية لقد كُتب لها ان تحقق الملكوت ، حيث يسكن الله سكنى محبة ، وحيث يعرف الناس السلام ويحيونه .

٣. سيكون الله على رأس هذا الملكوت ، وبالتالي سيقوم فيه مقامه « المسيح » ، ذلك الذي سيمارس الملك الذي قلده اياه يهوه .

تلك هي تطورات فكرة « المسيح » .

البقية الباقية . — ورد ذكر هذه البقية في ختام الرواية عن دعوة اشعيا ، لا بل احصى عددها ، فهي تبلغ العُشر من الشعب(٦: ١٣).

مرّ بنا ان اشعيا اعطى ابنه اسماً يرمز الى ذلك المعنى : « البقية الباقية».

ولقد بيّن لذاته الصلة التي تربط بين هذه البقية وبين القداسة التي لا ينفك يدعو اليها :

ومن أُبقي في صهيون
وتُرك في اورشليم

يقال له قدّيس ،
كل من كتب للحياة في اورشليم (٤ : ٣) .

قداسة هذه البقية تعتمد على قداسة الله :

وفي ذلك اليوم
لا تعود بقية اسرائيل
والناجحون من آل يعقوب
يعتمدون على من ضربهم ،
وانما يعتمدون على الرب ،
قدوس اسرائيل ، بأمانة (١٠ : ٢٠) .

الملكوت . — دعوة هذه البقية ان تحقق الملكوت الأكمل ، ملكوت الله .

جاءت مملكة الماضي ، كما ومملكة الحاضر بالخيبة والوبال . فالملوك كثيراً ما يساندون الوثنية ويفسحون لها المجال. ولن يحقق غير الملكوت الآتي هذا الشعب المقدس ، ثمرةَ العهد ووليده .

يعتمد اشعيا في تحقيق ذلك على خطة لله تشمل العالم بأسره وتكون من وحي حكمته وقداسته . هذه الخطة الالهية ستكون للشعب المختار مزيجاً لا يخلو من تناقض ، من قصاص الله وخلاصه ، يؤلف ما يسميه النبي « بحكم الله » . وقد سخّر الله الشعوب الوثنية اداةً لهذا القصاص وهذا الخلاص .

وبعد ذلك يأتي ملكوت الله السلمي ، ملكوت مفتوح للجميع يسود فيه العدل والنور . ولن يتمتع الشعب المختار وحده بهذا التجدد . فملكوت الله عالمي. وسيصبح هيكل اورشليم ملتقى العالم كله . فتصعد الشعوب كلها الى المدينة المقدسة ليحظوا بالحقيقة يوزعها عليهم شعب الله بسخاء :

ويكون في آخر الايام

ان جبل الرب
يوطّد في رأس الجبال ،
ويرتفع فوق التلال ،
وتجري اليه جميع الأمم .
وينطلق شعوب كثيرون ويقولون :
هلموا نصعد الى جبل الرب ،
الى بيت إله يعقوب .
وهو يعلّمنا طرقه ،
فنسلك في سبله .
لأنها من صهيون تخرج الشريعة
ومن اورشليم كلمة الرب (٢ : ٢—٤) .

الملك الذي هو رمز المسيح . — يظهر الى جانب يهوه شخص لا يزال مجهول المعالم غامض الملامح سيسمونه « المسيح » ، هو من قبيلة يهوذا ومن عائلة داود :

ويخرج قضيب من جذر يسّى... (١١ : ١) .

ويحاول اشعيا ان يحلل شخصية سليل داود هذا ، فيقول عنه انه ولد ، لكنه ولد يتصف بالقوة الفائقة التي يعبّر عنها بسلسلة من الاوصاف والاسماء :

لانه قد وُلد لنا ولد ،
أُعطي لنا ابن .
فصارت الرئاسة على كتفه ،
ودُعي اسمه
عجيباً مشيراً إلهاً جباراً
أبا الابد رئيس السلام .
لنمو الرئاسة ،
ولسلام لا انقضاء له ،

على عرش داود
ومملكته ،
ليقرّها ويوطدها ،
بالانصاف والعدل ،
من الآن الى الابد .
ان غيرة رب الجنود تصنع هذا (٩ : ٥–٦) .

هذا الولد ، الذي هو ايضاً عمانوئيل (ومعناه الله معنا) ، انه لعلى صلة صميمة وثقى مع الله :

ويستقرّ عليه روح الرب
روح الحكمة والفهم
روح المشورة والقوة
روح العلم وتقوى الرب (١١ : ١–٢) .

واذا اضفنا الى ما تقدم ان ميخا النبي قد نادى بالمسيح بكلام مشابه في زمن ليس ببعيد عن زمن اشعيا ، توفرت بين ايدينا اهم العناصر عن التقليد النبوي حول هذا الموضوع .

فالى جانب يهوه الذي يملك بالايمان نجد شخص المسيح الذي من بيت لحم :

وانت يا بيت لحم أفراتة ،
انك صغيرة في ألوف يهوذا .
ولكن منك يخرج لي
من يكون متسلطاً على اسرائيل (ميخا ٥ : ٢) .

انه يرجع باصله الى بعيد ، ويتشح بوشاح قدرة الله :

ومخارجه منذ القديم ، مند ايام الازل ،
... ويرعى بعزة الرب ،
وبعظمة اسم الرب إلهه (ميخا ٥ : ٢–٣) .

(انظر في هذا الموضوع متى ٢ : ٦ ؛ يوحنا ٧ : ٤٢) .
هذا المسيح ، انه نفسه « السلام » (ميخا ٥ : ٤) .

اثر اشعيا :

١ . **داخل العهد القديم :**

اذا كان الكثيرون من معاصريه قد اصموا الآذان عن صوته فتمّ بذلك ما تنبأ به عن دعوته (٦ : ٩) ، فلقد كان له نفر من التلاميذ الاتقياء الاوفياء :

ارسم الشهادة
اطبع الشريعة في تلامذتي (٨ : ١٦) .

وما الفصول التي هي بين ٤٠ و٦٦ من كتابه سوى عمل تلاميذ قد تشبعوا من فكرة معلمهم ، فراحوا يطبقونها على اوقات اخرى وظروف جديدة.

كتبت هذه الفصول الاضافية ولا شك بُعيد زمن اشعيا ، اذ ان المخطوطة التي وُجدت عام ١٩٤٧ في جوار البحر الميت لا تختلف بشيء عن نص اشعيا الذي بين ايدينا .

٢ . **في العهد الجديد :**

— طبَّق متى ولوقا كلامه عن عمانوئيل على العذراء مريم . فبالانجيل ينكشف سر هذا الموضع من اشعيا ، ينجلي هذا الموضع « المسيحي » الذي يعلن فيه الروح القدس عن مولد يسوع من أم عذراء بقدرة من الله القدير (متى ١ : ٢٢—٢٣ ؛ لوقا ١ : ٣٤—٣٥) .

هذا التفسير كان له صداه في فن الدياميس اذ وُضع اشعيا بجانب العذراء الأم .

— كانت آية اشعيا عن النور الذي طلع على ارض زابلون ونفتالي مبدأ رسالة يسوع في كفرناحوم (متى ٤ : ١٣—١٦) .

ــ في اشعيا آيات عن اسرى بابل تنطبق على رسالة يوحنا المعمدان وعلى رسالة المسيح وآلامه وموته (٤٠:٣ــ٤ ، ٩ ؛ ٥٣) .

وممّا شغف الكنيسة باشعيا ان تراه بعد ما اعلن عن اصل المسيح الالهي يعود فيعلن عن ولادته في الزمان ، وعن انحداره من نسل داود .

٣ . **في الليتورجيا :**

ــ في القداس يبدأ كلام التقديس بانشودة الساروفيم في رؤيا اشعيا : قدوس قدوس قدوس ...

ــ في ازمنة الميلاد تتردد في القراءات آيات اشعيا عن الخلاص بالمسيح الآتي (٣٥:٤)؛ عن اصله (١١:١ــ٥)؛ عن انتظاره (١٩: ٢٠ــ٢٢؛ ٤٥:٨) ؛ عن الخلاص به (٤٠:٥)؛ عن الفرح بمولده :

قد وُلد لنا ولد .
أُعطي لنا ابن
فصارت الرئاسة على كتفه ،
ودعي اسمه عجيباً مشيرًا (٩:٥) .

ــ في اسبوع الآلام تدوّي آيات اشعيا عن المسيح المتألم في كل حفلات الاسبوع (٥٣) .

دعوة اشعيا ودعوة المسيحي :

١. لا بدّ لنا لنحقق دعوتنا من تطهير القلب والنفس ، اذ ان الاشغال اليومية التي نزاولها تحجب الله عنا . فيكون سرّ الاعتراف لنا عندئذ بمثابة الجمرة على شفة اشعيا .

٢. عمل التطهير هذا يقوم فينا بواسطة الكاهن الذي يتقلد سلطته من الله عن يد المسيح . فهو بمثابة الساروف في رؤيا اشعيا .

٣. يشدّنا سر الاعتراف الى الله ويصلنا به في الصميم ، فنبادر الى اتمام مواعيد العماد ومقتضياته : « هاءنذا ، فأرسلني » .

٤. نركّز اعترافنا على العقلية التي قامت، منذ الاعتراف السابق، في سبيل تقدمنا في تلبية الدعوة.

٣. — ميخا

عاش في يهوذا، في عهد اشعيا.
ركّز تعليمه على:
— حكم الله.
— المسيح.

حكم الله (١—٣):

ينذر الجزء الاول من كتابه (١—٣) مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا بالعقاب. فسيخرج الرب من عزلة هيكله ليعاقب الذين انصرفوا عنه الى عبادة الاوثان (١:٧)، وفي الأفق يتراءى لنا جلاء بابل (١:١٥).

ويقرّع النبي على الأخص:
— الاغنياء الذين يحتكرون الاراضي والبيوت ظلماً وبهتاناً.
— الانبياء الكذبة الذين لا يذيعون كلام الله (٢:٦؛ ٣:٥—٧).

الوعد بالمسيح (٤—٧):

— سيكون مجد بيت لحم عظيماً اذ منها سيخرج المسيح (٥:١؛ راجع متى ١:٥—٦).
— يذكر «البقية الباقية» في ٥:٦.
— لأول مرة يرد ذكر «الراعي»: اسرائيل هو قطيع الله وميراثه (٧:١٤).

الفصل الثالث

أنبياء يهوذا في القرن السابع

١ — صفنيا (٦٣٥)

الزمان. — عاش صفنيا في طفولة يوشيا، قبل الاصلاحات الدينية التي جرت في المملكة.

بعث انحطاط اشور وتدهورها نهضةً وطنية في يهوذا استغلها النبي في سبيل رسالته.

الرسالة. — قرّع النبي مواطنيه على امور عامة كعبادة الاوثان وظلم الاغنياء والاقوياء، والعادات الغريبة. الاّ انه اعلن في الوقت ذاته ان الخطيئة، لما تتضمن من كبرياء وجحود، تصيب الله اصابة شخصية في الصميم.

— ذلك يستدعي العقاب. ويعلن عن العقاب انه يوم الله(١ : ١٤)، فيصفه على اشكال مختلفة: فهو كارثة طبيعية عامة، ودعوى في محكمة، والحنطة في المذرى: صوَر تقول كلها ان الله سيكشف عن قدرته. ويبدو ان الوسيلة التي سيستخدمها الله في عقابه هي زحف اجنبي، ومن الصعب تحديد نوعه.

— الاّ ان هذا القصاص سيكون في الوقت ذاته وسيلة الى التوبة، وبالتالي الى الخلاص (٣ : ٩—٢٠). وفكرة الاقتصاص من الشعوب العدوّة تقترن بفكرة السعي الى الله، وانشاء مملكة يسودها السلام والصدق والتواضع. لدينا هنا البرنامج الروحي لجماعة «فقراء يهوه». ولم يرد ذكر لشخص المسيح الآتي، الاّ ان السلام الذي اعلن عنه ستكون البقية الباقية اهلاً له.

٢ – النبي ارميا

ولد ارميا في منتصف القرن السابع (حوالى ٦٤٥) في قرية صغيرة على حدود قبيلة بنيامين تدعى عناتوت على بعد ٦ كيلومترات من اورشليم. فهو اذاً رجل الحقل ، وله استعارات مأخوذة من الحقل تشبه استعارات المسيح . انظر مثلاً الى روايته عن دعوته حيث يذكر غصن اللوز ، والمرجل الذي يغلي (الفصل الاول) . وكثيراً ما يرد عنده ذكر القمح ، والخمر الجديدة ، والزيت ، والغنم ، والبقر (٣١) .

نشأ في عائلة كهنوتية ، فشبَّ على تقوى راسخة ذات حساسية شديدة وشعور قوي تأتي معها اقواله مطبوعة بطابع خاص فريد من التقوى الشخصية ومن العلاقات الصميمة مع الله . انها الديانة الداخلية سواء أقامت على الصلوات والرتب الطقسية في الهيكل ام على الجهد الخاص والمناجاة الشخصية .

جاء رجل العاطفة هذا في زمن عصيب ، بين شعب يترك لأهوائه العنان فلا يروقـــه التعليم الجاف القاسي . ولذا فسيكون ارميا رجل الألم ، وحليف الألم (٨ : ٢٣ ؛ ٢٣ : ٩) . هذه ميزته وهذه دعوته . وبذلك يكون صورة فائقة ليسوع المسيح .

هي هذه الحساسية الرقيقة وهذه الصعوبات الخارجية سبب يأسه وقنوطه . انه ينقاد انقياداً اعمى للروح القدس ، فيرضى بان يكون ويظل دائماً داعية الله ، الى اقصى الحدود وبين اشد الضيقات . الاّ ان هذه الضيقات تخرج من فمه احياناً اقوالاً ثائرة (٢٠ : ١٤) ، فيضطر الله الى التدخل ، والى دعوة جديدة يوجهها اليه . وهنا نفهم ان تمسك النبي بايمانه في ساعات اليأس انما هو نعمة من الله اكثر منه نتيجة جهد من الانسان .

هذه الحساسية نجدها في كل رسالة ، فنشعر ونحن نقرأ كتابه اننا نعيش في جو مأساة . ذلك لأن النبي يندمج مع رسالته ويندمج في

الوقت ذاته مع شعبه الذي يحبه حباً جماً . هذا مصدر هذا الجزع الذي يعتريه : فهو من جهة يرغب ان يأتي مواطنيه بخبر انتهاء عذابهم وان يبشرهم ببركة الله . الاّ انه مضطر من جهة اخرى الى ان يهددهم في كل آن بسوء المصير ويعلن لهم ان غضب الله لم ينطفئ.

دعوة ارميا (٦٢٨) :

فلنقرأ اولاً بانتباه الرواية التي يفتتح بها النبي كتابه(١ : ٤–٩)، وبعده نعلّق التعليقات التالية :

١ . **ليس لارميا ثقة بنفسه** . — فما ان دعاه الله حتى صرخ على الفور: « آه ايها السيد الرب، هاءنذا لا اعرف ان اتكلم لأني صبي » . ذلك لان هذا الشاب لم يكن له من العمر سوى ثماني عشرة سنة .

الفرق بينه وبين اشعيا ظاهر . فهذا بادر بتقدمة ذاته قائلاً : « هاءنذا فأرسلني » .

ولقد حدث لارميا مثل ما حدث لموسى في العليقة الملتهبة . فلقد اخذ يعترض : « من انا ؟ » . ولم يمنع موسى بعد ذلك من ان يظهر رجلاً لا كالرجال ، جباراً زاول بيديه القويتين الألوف من الرجال فطبعهم بطابعه الى الأبد .

اما ارميا فهو ، بعكس موسى ، اداة بشرية ضعيفة كل الضعف . وهذا التمنع المشوب بالخوف الذي اظهره يوم دعوته سيلازمه طول حياته. حتى انه ليتضايق احياناً من دعوته فتراوده فكرة التنصل منها ، ثم يتغلّب عليه ايمانه بالله وثقته به فيثبت في طريقه .

هو افصح مثال لما تبلغ اليه نعمة الله وعونه من المقدرة في الانسان الضعيف الذي يعاني عقدة نقص في قرارة نفسه .

٢ . **تنتظم دعوة ارميا في سياق الخطة الالهية** . — « قبل ان اصورك في البطن عرفتك ، وقبل ان تخرج من الرحم قدستك » .

لم يرسل الله ارميا فجأة الى مغامرة عنّت بباله على حين غرّة ، بل هو لديه جزء من كل . فاراده قبل مولده ، وأعدّه ليحقق جزءاً من خطة ازلية . فارميا هو موضع فكر الله وحبه . وفكر الله وحبه هما مثله ابديان سرمديان . هذا الفكر وهذا الحب انهما يتجسمان الآن في زمان معيّن وعلى شكل تاريخي . فاذا بالله يدعو ارميا عام ٦٢٨ دعوة النبوة ، فيسمع ارميا همس الروح القدس ، ويأخذ مكانه من الخطة الالهية .

٣ . **هي دعوة لا مناص لارميا منها .** — لانها من خطة الله ، وخطة الله لن تخفق . ولذا فكل معارضة من الشاب لا جدوى لها.فالله لا يتراجع :

لا تقل اني صبي .
فانك لكل ما ارسلك له تنطلق ،
وكل ما آمرك به تقوله .

ولكن الا ينتهك الله ، بفرضه الدعوة فرضاً ، حرمة حريته ؟

كلا. لان الاعتراض الوحيد الذي أبداه الشاب على هذه الدعوة هو ضعفه .

انه لولا ضعفه لعلى استعداد . فبيته الكهنوتي ونشأته العائلية قد أهـّلاه لها ، وارادته قد قبلت بها ، ولم يبقَ ما يحول دونها سوى هذا الشعور بثقل المهمة ووطأة العبء . فالله لا يغتصب حرية من يختاره ، بل يكتفي بان يوجهها ويقوّمها . ولذا فهو يسكّن خوفه :

لا تخف من وجوههم !

ثم يشدّد ايمانه وكان ضعيفاً . فهو لن يكون سوى اداة بيد الله . فالله يعرفه حق المعرفة . وهو لم يدعُه الاّ لانه رآه اهلاً للمهمة . ولسوف يسند ضعفه بقوته :

اني معك لأنقذك .

ذلك حسبه . وهو الله ، لا ارميا ، يتم العمل وينجزه :

هاءنذا قد جعلت كلامي في فمك .

وهكذا ينقلب ارميا الضعيف الى رجـــل قوي يستمد قوّته من قوّة الله :

هاءنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ،
وعمودًا من حديد واسوارًا من نحاس ...
فيحاربونك ولا يقوون عليك ،
لأني معك لأنقذك ،
يقول الرب .

٤ . **دعوته هذه هي للهدم والبناء :**

اني اقمتك اليوم ...
لتقلع وتهدم ،
وتهلك وتنقض ،
وتبني وتغرس .

وقام ارميا بهذه المهمة المزدوجة :

— قام بمهمة الهدم : فانذر بانهيار مملكة يهوذا ، من هدم المدينة ، وخراب الهيكل ، وجلاء الشعب ، وخاتمة الملك :

ويل لك يا اورشليم (١٣ : ٢٧) .

وقذف حمماً من آيات كلامه على مصر ، والفلسطينيين ، وموآب ، وامون ، وادوم ، ودمشق ، وبابل . حتى ليقول :

لأني كلما تكلمتُ
فانما أصيح وأنادي بالشدّة والدمار (٢٠ : ٨) .

— وقام ايضاً بمهمة البناء . فهوذا الرجاء يسير بجانب نبوءات السوء ، وهوذا المستقبل « المسيحي » يقترن ببعث اسرائيل . وسيعود الشعب الى الارض المقدسة ، شعباً جديدًا ، بقلب جديد ، فيعقد مع الله عهدًا جديدًا (٣١) .

عمل ارميا اذاً هو ان يحقق دعوته .

ويبدو ارميا في الوقت ذاته عرضة للعذاب والألم . لأن مهمته لن تتحقق الاّ عن طريق كفاح دائم ، وليست رسالته سوى رسالة العهد الموسوي ذاته يكرر ما تُلزم شرائعه من واجبات الايمان والآداب والتقوى. الاّ ان الوثنية قد اقتحمت حياة مواطنيه في كل مرافقها ومظاهرها ، حتى اصبحت ممتنعة عن كل رسالة اصلاح وتقدم . يرى ارميا ذلك فيشعر بقلبه يتمزّق حزناً . ولكن هذا نصيبه الروحي يرضى به وهذه طريقه يجب ان يسلكها .

رسالة مقاومة وكفاح :

آ . – ارميا والايمان :

يدعو ارميا الشعب المختار الى الايمان باله العهد والامانة لعهده . فيجيبه الشعب بعبادة الاوثان على أوسع نطاق .

والامانة التي ينتظرها الله من الشعب لعهده هي امانة الايام القديمة . فكأننا نسمع صدى اقوال هوشع :

قد تذكرتُ لك مودة صبائك ،
محبـــة خطبتك ... (٢:٢) .

انظر ايضاً ٣:١٩–٢٠ ، وقابل كل ذلك بهوشع ١–٣

ويعمد ارميا بعد ذلك الى المثل الذي سبقه اليه اشعيا عن الكرمة :

اني غرستك افضل كرمة ،
وزرع حقّ بجملته ،
فكيف تحوّلتِ الى غرس كرم اجنبي ؟ (٢:٢١) .

ويعود الى الواقع القاسي فيقول :

ان شعبي صنع شرَّين :
تركوني

انا ينبوع المياه الحية،
واحتفروا لهم آبارًا
آبارًا مشقّقة
لا تمسك الماء .

من بين هذه الآلهة التي أحلّوها محل يهوه تأتي اولاً ملكة السماء ، الهة الحب التي تقدّم النساء لها الهدايا مع العبادة والاكرام (٧ : ١٨).الى الالهة اشتار هذه يجب اضافة اسمين سوريين : شمس وسن . ولم تكن امكنة العبادة الوثنية اسطحة البيوت وحدها ، بل ايضاً باحات الهيكل (١٩ : ١٣ ؛ ٢ ملوك ٢١ : ٤—٥) .

بلغ جحود الشعب مبلغاً جعل الذين نجوا من خراب اورشليم ولجأوا الى مصر يجيبون على نداءات النبي أليشع الاخيرة بقولهم :

ان الكلام الذي كلمتنا به باسم الرب ،
لا نسمع لك فيه ،
بل نعمل بحسب كل كلام يخرج من افواهنا ،
مقتّرين لملكة السماء وساكبين لها سكباً ...
منذ اهملنا التقتير لملكة السماء وسكب السكب لها ،
صرنا محتاجين الى كل شيء وفنينا بالسيف والجوع
(٤٤ : ١٧—١٨) .

لم يعد يهوه بالاله الاوحد ، بل اصبح ، ويا للعار ، الاله الذليل المهان ، وكاد يصير في اعين الشعب إلهاً بين الآلهة ،واحداً بين الكثيرين ، بعلاً يعبد في الاماكن العالية ، وثناً يعبد بغير عبادة سينا ، يعبد بذبائح الاطفال وبغيرها من ارجاس الوثنية (٧ : ٣١) . واذا بالغرائز القديمة الساميّة تنطلق من مكامنها في النفوس فيصير الشعب المختار شعباً كسائر الشعوب .

ويقسو ارميا قائلاً :

انك وان اغتسلت بالنطرون،
واستكثرت من الأشنان ،
لا تزالين ملطخة باثمك امامي (٢ : ٢٢) .

ويندب حزيناً :
أتنسى العذراء حليتها
والعروس مناطقها ؟
اما شعبي فنسيني
أياماً لا تحصى .

واذا ببارقة امل تلوح في الأفق . ففي عام ٦٢١ بينما كانت تجري في الهيكل بعض الترميمات اكتُشف كتاب تثنية الاشتراع ، او بالاحرى ، على ما يبدو ، القسم التشريعي منه (٢ ملوك ٢٢) . وانكبَّ يوشيا ، ذلك الملك الذي ندر ان قام مثله في اسرائيل ، بكل ما أوتيه من تقوى راسخة ، على عمل الاصلاح الديني الذي لمس لمس اليد ضرورته . فناصب الوثنية القتال منذ ٦٢٧ ، ولا سيما الوثنية الاشورية ، فتوصل بعد ٦٢١ الى ابادة المعابد المحلية ، وجمع الكهنة جميعهم في نطاق هيكل اورشليم الاوحد. وكان ارميا للملك خير معين في اورشليم حيث استقر به المقام بأمر من الله . وهناك ، وفي تلك الحقبة من الزمان قال كلمته الشهيرة :

اسمعوا كلمات هذا العهد ...
ملعون الانسان الذي لا يسمع كلمات هذا العهد .

الاّ ان الاصلاح لم يبلغ ، على ما يبدو ، مداه من النفوس ، لا بل لم يبلغ كل ذوي النيات الحسنة ، ممّا شعر معه ارميا بالخيبة . واذا بكارثة ٦٠٨ وبموت يوشيا . فلقد اراد يوشيا ان يقطع على نكو الثاني فرعون مصر الطريق الى الشمال في زحفه لنجدة اشور على الكلدانيين ، فقُتل في سهل مجدّو. فكانت هذه الكارثة في نظر بعض ضعيفي العقول دليلاً على ان يهوه لا يأبه بالاصلاح ، وعلى ان العهد ذاته ليس له من الشأن ما يزعم ارميا .

ب.— ارميا والآداب الاخلاقية :

يدعو ارميا الى حفظ وصايا العهد فيجيبه اسرائيل بإباحية الوثنية .

اكتسحت الوثنية الارض المقدسة في ايام ارميا على شكل عبادة آلهة عديدة . ولم تكتفِ بذلك بل اكتسحت ايضاً آداب الشعب المختار فصاروا يعيشون على غرار جيرانهم الوثنيين ، وصارت اماكن العبادة العالية ، حتى وباحات الهيكل ذاته ، تشهد كل انواع الفساد والرجاسة والفجور ، ممّا أتت به عبادة الاوثان (٢ : ٢٣–٢٤) .

هذا الانحطاط الذي منيت به الآداب الاخلاقية بلغ درجة اصبحت معها السرقة والقتل والزنا والجحود اموراً عادية ، مما حدا بالنبي على ان يشنّ عليها اشد حملاته . فلقد ذعر لما رأى من ترك سكان اورشليم ، من كبيرهم الى صغيرهم ، ابسط شرائع العهد ووصاياه :

فقلت انهم مساكين حمقى ،
فيجهلون طريق الرب وحكم إلهنا ،
فأنطلقُ الى العظماء وأكلمهم ،
لأنهم يعرفون طريق الرب وحكم إلهنا .
فاذا هؤلاء جميعاً قد كسروا النير
وقطعوا الربط (٥ : ٤–٥) .

ولم يكن الكهنة ليهتموا بسوى مصالحهم . فكانت هذه الآثام تقترف على مرأى منهم ومسمع كأنهم في تواطؤ مع اصحابها ، وكأنهم ليسوا بحراس الاخلاق ومرشدي الشعب :

الانبياء يتنبأون زوراً ،
والكهنة يتسلطون بأيديهم ،
وشعبي يحب مثل هذه الامور (٥ : ٣١) .

ولذلك فان ارميا لم يكتف بالوفاء الخارجي للعهد على شكل نبذ الاصنام والانصراف عنها (١١) ، بل سعى الى تحقيق هذا الوفاء في

الحياة الشخصية: فللعهد نواميسه ووصاياه التي لا يكون الشعب المختار بدونها شعب الله . فكان يطلب ممارسة الوصايا ، من حفظ حقوق اليتيم والمسكين (٥:٢٨) ، وتقديس يوم السبت (١٧:٢١) ، وحفظ الايمان والعهود (٤:٢) ، واحترام جسم الانسان (٥:٧) .

نرى هنا تقدماً في مفهوم القداسة ، وتوضيحاً لما ورد عنها من التعليم في رؤيا اشعيا . فلقد صرخ هذا النبي : « الويل لي ! » لأنه لا يستطيع ان يدخل بوصمة الخطيئة التي تصمه اقداس الله . ولم يتكلم الله معه ويبلّغه رسالته الاّ بعد ان مسح شفتيه بالجمرة ، بحركة رمزية لها دلالتها . فكان النبي يشترك في قداسة الله بمجرّد تنزيهه عن كل عيب ووصمة .

لكن الاشتراك في قداسة الله لدى ارميا يقتضي اعمالاً ايجابية . ولن يكون الاسرائيليون لله الاّ بمقدار ما هم عادلون ، امناء ، صادقون ، اطهار . هي صفات الله نفسه يجب ان يكونوا متصفين بها ليكونوا له وليشتركوا في قداسته .

هذا الايمان المقرون بالعمل قد وجدناه سابقاً في موسى . فلا تقوم لعهد سينا قائمة الاّ بحفظ ناموس سينا ، ولا سيا بحفظ الوصايا العشر . ولا تقوم للايمان بالله قائمة ويكون لحفظ التوحيد شأن الاّ بقداسة الحياة . هذه رسالة ارميا .

ونضيف على ذلك ان التعليم عن البنوّة الالهية ، كما نجده في انجيل يوحنا ، هو هنا كامن في اصله وجرثومته . ولنعد الى ارميا في هذا الشأن :

ثم قلتُ : تدعينني يا أبت

ولا ترتدّين عن الاتباع لي (٣:١٩) .

لقد شرع الله هنا يوجّه النفوس الى أبوّته . ولسوف يكون لفكرة ابوّة الله في تعليم المسيح ، الذي فيه تمام الآب ، كل قوتها فيقول : « انا والآب واحد » .

اما الآن فيكتفي الله بان يوضح لارميا فكرة العهد ايضاحاً لن يلبث ان يتطور مع الزمن حتى يبلغ الى ما نجد في الفصل الواحد والثلاثين من رائع الوحي والتعليم .

ج . — ارميا وتقوى الله :

يدعو ارميا الى التقوى الحقيقية ، فيجيبه اسرائيل بالتقوى السطحية الشكلية .

يتصل هذا الفصل بسابقه اتصالاً وثيقاً . لأن التقوى الحقيقية تنشأ عندما يدخل الايمان في صميم الحياة ويتحقق اعمالاً هي وليدة الايمان . والاّ فليس هناك بين الله والانسان سوى صلات خارجية هي مما يتميز به زمان ارميا .

يعلّم ارميا من التقوى ما يقوم على الحياة الادبية الاخلاقية ولا يكون ووصايا الله على طرفي نقيض . على هذا التعليم يجيب الاسرائيليون بممارسات خارجية وحركات آلية خالية من التقوى ومن معنى التقوى ، ثم يزعمون انهم يملكون الناموس والهيكل ، وانهم بذلك في يقين من خلاصهم . هذا ما لا يرضى به ارميا ، ولا يريد ان يتركهم ، ولا سيما الكهنة منهم ، على ضلالهم منه :

أتسرقون وتقتلون وتزنون ،
وتحلفون بالزور وتقتّرون للبعل ،
وتتّبعون آلهة أُخر لم تعرفوها ،
ثم تأتون وتقفون بين يديّ ،
في هذا البيت الذي دُعي باسمي
وتقولون : قد أُنقذنا ،
حتى تصنعون جميع تلك الارجاس ؟ (٧ : ٩—١٠) .

ويدعوهم النبي الى زيارة انقاض الهيكل في شيلو لعلهم يعتبرون :

اذهبوا الى مقرّي الذي بشيلو الذي اسكنت اسمي فيه اولاً ،

وانظروا ما صنعتُ به بسبب شرّ شعبي اسرائيل . والآن بما انكم عملتم هذه الاعمال...فسأصنع بهذا البيت الذي دُعي باسمي الذي انتم متّكلون عليه ... كما صنعتُ بشيلو .
(٧ : ١٢–١٤)

ومن الهيكل يذهب ارميا الى الذبائح :

اجمعوا محرقاتكم الى ذبائحكم ،
وكلوا لحمها .
فاني لم أكلّم آباءكم ،
ولم آمرهم يوم اخرجتهم من ارض مصر ،
من جهة محرقة ولا ذبيحة .
وانما امرتهم بهذا الامر قائلاً :
اسمعوا لصوتي ،
فأكون لكم إلهاً ،
وتكونوا لي شعباً (٧ : ٢١–٢٣) .

هي ثورة رجل الروح امام عبادة الاشكال والصور . ولنا عند هوشع كلام بمعناه :

اني اردت رحمة لا ذبيحة
ومعرفة الله اكثر من المحرقات (هوشع ٦ : ٦) .

ومثله يقول صاحب المزامير عندما تتعذر العبادة الخارجية :

انما ذبائح الله روح منكسر
القلب المنكسر المنسحق لا ترذله يا الله (مز ٥١ أو ٥٠ : ١٩) .

هذا الناموس ، الذي سيكون له بعد العودة من الجلاء شأنه ، فينكب على درسه الدارسون بمحبة ، ويعتبره اليهودي الصالح قاعدة حياته ، هذا الناموس ، انه الآن بمثابة طلسم لا غير ، لا بل اكثر من ذلك : هو شيء جليل القدر أسيئ استعماله فأصبح مضللة للنفوس :

اللقلق في السماء يعرف مواقيته ،
واليمامة والخُطّاف المدوّم يُراعيان وقت مجيئهما ،
اما شعبي فلا يعرفون حكم الرب .
كيف تقولون نحن حكماء .
وشريعة الرب معنا ؟
ان قلم الكتبة الكاذب ،
لقد حوّلها الى الكذب (٨ : ٧–٨) .

ستبقى على الاقل المدينة المقدسة التي تضم بيت الله. فيزعم الاسرائيليون انه لا سبيل الى خرابها ، وإلاّ فأين يسكن الله ؟

ويتابع النبي ارميا كفاحه المستميت ، فيشن حملته ، بأمر من الله ، على هذا الزعم الباطل ، على هذا الغرور الجديد . فيأخذ جرة ويكسرها على مرأى من الكهنة والقدماء على باب معمل الفخّار ، ثم يشرح حركته الرمزية :

هكذا قال رب الجنود :
كذلك اكسر هذا الشعب وهذه المدينة ،
كما يُكسر اناء الخزّاف ،
الذي لا يمكن ان يُجبر من بعد (١٩ : ١٠) .

ولا غرو بعد ذلك ان تثير مثل هذه الاقوال من العنف والمقاومة ما لم يعد معه ارميا يجرؤ منذ عام ٦٠٠ على ولوج باب الهيكل . فلقد اصبحت حياته في خطر .

د. — ارميا والوطنية :

كانت الحالة السياسية لسني ٦٢٦ — ٥٨٦ معقدة كل التعقيد . فأشور في تضعضع وانهيار ، اذ قامت سلالة منافسة فاحتلّت بابل عام ٦٢٦ ثم نينوى ٦١٢ واخيراً قضت على الامبراطورية الاشورية قضاءً مبرماً عام ٦٠٥ .

ونشطت مصر اثناء ذلك للعمل ، تريد ان تنتهزها فرصة سانحة لتنال من اشور حليفتها اراضي سوريا وبابل .

فما كان موقف يهوذا ؟ كان فيه حزبان يتطاحنان حول صدقيّا : الحزب المصري والحزب البابلي . وقد انتهى الامر بالملك ان نكث العهد الذي قطعه لنبوكدنصّر وانحاز الى الحزب المصري .

اما ارميا فقد نهج منهج الانبياء القدامى : لا عهد الاّ عهد يهوه . ومع ذلك فمن الشر نكث العهود المقطوعة . ثم انه كان يرى ، على ضوء الروح القدس واحداث زمانه ، ان بابل ستكون أداة بيد الله لتأديب شعبه ، كما سيكون كورش فيما بعد اداة بيد الله لبعث شعبه . ولذا فهو يشير على مواطنيه ، مع تمسكه بالاستقلال ، ان يبادروا بالخضوع لبابل ، خوفاً من العاقبة .

وهزمت مصر ، على قوتها . ولنا في وصف موقعة كركميش ، الفصل السادس والاربعين ، فيجب قراءته . على صدقيّا اذاً ان يخضع فيموت بسلام ، فلا مفرّ من سيطرة بابل (٣٤ : ١-٧ ، نبوءة ٥٨٧) ، وعلى سكان اورشليم ان يخرجوا من المدينة ويستسلموا للكلدانيين ، فيسلموا (٢١ : ٩ ، نبوءة ٦٠٥) .

ولا غرو بعد ذلك ان ينظر الى ارميا الحزب المصري ، ومعه الحزب الملكي ، اللذان يحكمان على الامور حكماً بشرياً ، نظرهما الى خائن ، والى عميل لبابل ، او على الاقل الى رجل انهزامي .

الخلاصة :

ادركنا الآن موقف ارميا . فهو صاحب رسالة سامية يعجز اكثر مواطنيه عن فهمها والعمل بها . لا بل انهم يناصبونه بسببها العداء ، فيتردّون هكذا في حمأة خيانة العهد .

ولا يألو ارميا جهداً في سبيل تبليغ رسالته ، فيكافح ما استطاع ، ويتراجع ، امام ضغط الأعداء ، من مواقف ضعيفة الى اضعف . الاّ انه يظل محتفظاً بالوديعة اميناً لها يدافع عنها دفاع المستميت .

فهو لدى مواطنيه في المجال الديني متزمت متعصب ، وفي المجال الوطني معارض يقف مواقف لا يجد السياسيون اليها سبيلاً .

انه رجعي وخائن . هذا ما حكم به المعاصرون على هذا الرجل الديني العظيم والمجاهد الوطني الكبير .

نتائج معارضته :

لا بدّ لحرب الافكار هذه من ان تتطور الى حرب الاشخاص. فكان ان بدا ارميا في انعزال تام عن المجتمع اليهودي المعاصر .

وكان لا مناص لرجل مثله رقيق الشعور جيَّاش العواطف من ان يتألم لهذه الحالة ، وان يمرّ بأزمات باطنية تهز كيانه ، فتشغل رأسه وقلبه مشاكل عقلية عويصة ،وشكوك عن حقيقة دعوته ، وثورات تنفجر في صدره ، فليس له في هذا المجال من زيادة لمستزيد .

وتتطور ، بعراكه هذا مع الألم ، حياته الروحية ذاتها . فيدرك ، وقد تجرّد من كل ميل ارضي ، وزهد بكل رغبة شخصية ، ان الله يتجلى للنفس في داخلها ، فتصبح هذه الصلة الداخلية بالله هي المثل الأعلى الذي يعرضه ارميا لاسرائيل : انه البعث والتجديد .

ارميا رجل الألم :

آ . — **انعزاله ووحدته :**

— الشعب . يقول ارميا عنه :

قد سمعت مذمّة من كثيرين ،
والهول أحاط بي.
يقولون اشتكوا ، فنشتكي عليه .
كلّ من اصحاب سلامي ،
الملازمين لجانبي يقولون :

لعله يُخدع فنقوى عليه ،
وننتقم منه .

كان من المحتم ان يهمل الناس اولاً شأن ارميا وهو على ما عليه من التشدد في العبادة والآداب ، ثم ان يقاوموه بعدئذ كل المقاومة .

كان يُنذر بأشد العقابات ويصوّر المستقبل بألوان قاتمة حزينة . فكان ان انصرف الناس عمّا وصف من الآمال « المسيحية » الى ما اثار من قلق ومخاوف .

لذلك كانوا احياناً يهمون بالقبض عليه ويختلقون الاسباب ليُقدموا على ذلك :

انهم حفروا هوةً ليأخذوني ،
وأخفوا لرجليَّ فخاخاً .

— الكهنة وكبار الشعب :

كان ارميا يتكلم يوماً في باحات الهيكل ، فاذا برئيس حرس الهيكل يضربه ويوقفه بحجة انه تنبأ عن خراب الهيكل (٢٠) .

وتآمر الكهنة مرة غيرها مع الانبياء الكذبة ليميتوه ، لأنه تنبأ عن خراب الهيكل . ولكانوا توصلوا الى بغيتهم لو لم ينقلب الناس معه ويحولوا دون ذلك (٢٦) .

واراد مرة اخرى ان يذهب الى قريته في بنيامين لشؤون عائلية فاذا بأعدائه ، وكانوا في جوار العاصمة ، يوقفونه على انه فارّ الى كنعان ، ويزجّون به في السجن . ولما ساءت به الحالة اراد ان يغادر دار يوناتان « لئلا يموت فيها » . وبقي اذاً في باحة السجن ،وامر الملك ان يأتوه كل يوم برغيف خبز من شارع الخبازين (٣٧) .

وساءت احواله ثانية، وأشار على الملك قوادهُ قائلين : « ليقتل هذا الرجل ،فانه انما يُرخي ايدي رجال القتال الباقين في هذه المدينة وأيدي جميع الشعب... لان هذا الرجل لا يطلب لهذا الشعب سلاماً بل ضرًا » .

فلم يكن من صدقيًّا ، وقد اصبح اسير بلاطه ، — « ان الملك لا يستطيع معكم شيئاً » — الاّ ان اسلمه اليهم ، فأنزلوه في بئر لا ماء فيها ، الى ان أخرجه منها بعض القواد فمكث في باحة الحرس (٣٨) .

وهاك شرّ ما وقع له. فلقد توالت الاحداث كسلسلة مترابطة الحلقات. فسقطت اورشليم ، وبدأ الجلاء العام . واذا بالعدو يعتق ارميا في الرامة ويترك له الخيار بين الذهاب الى بابل ، او البقاء في اورشليم، او الرحيل الى حيثما شاء . فكان ذلك مدعاة للقال والقيل ومثاراً للظنون وترويجاً للتهم التي رماه بها مواطنوه من انه يتواطأ مع الاعداء . وقرّ رأيه اخيراً على البقاء في البلاد مع الباقين.وكان لمقتل الحاكم جدليا أن فرّ الكثيرون الى مصرواخذوا معهم ارميا، وربما اخذوه كرهينة بين ايديهم (٣٩—٤٢).

— الملوك :

لا يهمهم على العموم الاّ اشباع مطامعهم الشخصية ، ولذا فقد قاوموا ارميا ما استطاعوا . فان كان يوشيا (٦٤٠—٦٠٩) قد اخذ بالاصلاح طبقاً لمراسيم تثنية الاشتراع ؛ وان كان صدقيًّا (٥٩٨—٥٨٦) قد استشار ارميا بين الحين والحين ، مع ما كان عليه من الانقياد لبلاطه وحاشيته ؛ فان يواقيم (٦٠٩—٥٩٨) قد ذهب به الغضب على ارميا الى احراق ملفّ نبوءاته .

في هذه الآونة ظهر باروك على المسرح (٦٠٥؟)،اتي به ارميا وأملى عليه الآيات التي اذاعها الى الآن ، ثم ارسله الى الهيكل ليقرأ المجموعة على مسامع الشعب . ولم يلبث قواد البلاط ان استدعوه بدورهم فقرأها عليهم ايضاً . وبعد ان اشار القواد على باروك وارميا بان يتواريا عن الانظار دخلوا بهما الى الملك واخذوا يقرأون عليه الكتاب . فكان الملك يقص القطعة بعد القطعة ويلقيها في النار حتى اتى على الكتاب كله . ثم امر جنوده بان يقبضوا على ارميا وباروك . الاّ ان الله أخفاهما .

— الانبياء الكذبة :

حسبنا لكي ندرك مدى المقاومة الشديدة التي لقيها ارميا ان نقرأ الفصل

الثامن والعشرين . نحن في شهر آب من عام ٥٩٣ ، واورشليم على وشك السقوط بين يدي نبوكدنصر ، وارميا دعا مواطنيه الى الخضوع والاستسلام ، وقد قام لدعم كلامه بحركة رمزية فوضع نيراً على عنقه .

واذا بنبي موالٍ لحكّام الساعة يردّ على ارميا بحركة رمزية مثل حركته ، فيكسر النير الذي وضعه ارميا على عنقه ، وهو يزعم انه انما يتكلم باسم الله. ثم يأخذ يتنبأ بدنو أجل بابل .

الاّ ان ارميا لم يلبث ان عاد بنير آخر من حديد وهو ينذر النبي الكاذب بالعقاب :

> اسمع يا حننيا ، ان الرب لم يرسلك ، وانت قد جعلت هذا الشعب يعتمد على الكذب. لذلك هكذا قال الرب : هاءنذا أنفيك عن وجه الارض فانك في هذه السنة تموت
> (٣٨ : ١٥—١٧).

نرى اذاً في حياة ارميا ، خلال معركة الافكار والآراء ، معركة أشد وأضرى هي معركة الاشخاص . فلقد هاجمه اعداؤه دون لين ولا هوادة ، حتى انه لم يتمالك احياناً من استمطار لعنة الله عليهم :

> فيا رب الجنود فاحص الصدّيق ،
> ناظر الكلى والقلوب ،
> اني سأرى انتقامك منهم ،
> لأني اليك فوّضتُ دعواي .

وندرك بعد ذلك ما عانى هذا الرجل الذي لم يكن مسيحياً ، انما كان يدعي بحق انه من حزب يهوه واتباعه .

ب . — الحرب الداخلية :

— أزمة العقل :

بدأ ارميا رسالته بان انذر الاغنياء الاشرار بسوء العاقبة :

> لأنه قد وُجِد بين شعبي منافقون ؛

يرصدون وهم لاطئون كالصيادين ،
قد نصبوا الفخ فيقتنصون الناس ؛
كالقفص المملوء طيوراً ،
كذلك بيوتهم قد امتلأت من الغش ،
فلذلك عظموا واستغنوا .
انهم سمان لامعون ...
أمن أمة مثل هؤلاء لا تنتقم نفسي ؟ (٥ : ٢٦–٢٩) .

الا ان العقوبة لم تنزل بهم . ولم يكن ارميا قد عرف بعد بعقوبة الآخرة . فساوره القلق . فاذا كان البار يشقى ، واعداء الله ينعمون بالفرح ، فاين عدل الله ؟ وعرض ارميا يوماً على الله هذا المشكل :

عادل انت يا رب ،
وان حاججتك ،
لكني اتكلم معك بما هو حق :
لماذا ينجح طريق المنافقين ،
ويسعد جميع المعاملين بالغدر ؟
غرستهم فتأصلوا ،
ونموا وأثمروا (١٢ : ١–٢) .

ويكتفي الله الآن بأن يقوم اعوجاج نبيه ويسدد خطاه ، منذراً أياه بصعوبات اشد :

ان كنت جاريت الرجّالة فأعيوك
فكيف تباري الخيل ؟ (١٢ : ٥) .

سيجيب غداً نبي غيره على السؤال الذي طرحه ارميا . هو جواب ، والحق يقال ، لن يشفي الغليل ويحل المشكل ، الا انه يطمئن البار « المسكين » ، يبدله من همه صداقة الله :

الله هو صخرة قلبي وحظي الى الابد (مز ٧٣ أو ٧٢–٢٦) .

لم يفتح الله على ارميا بعد بهذا الفتح ، لأننا لا نزال في عام ٦٠٨ . الا انه بعد عشرين سنة سوف يدخل في مناجاة داخلية مع الله وهو مهشم القلب ، طريد الناس ، منبوذ جماعته ، عرضة للسجن والموت . فيبدله الله من غوامض الاسرار والمشاكل التي تقلق نفسه راحة العقل والقلب .

ــ أزمة القلب :

يحب ارميا مواطنيه ولو قابلوه بالشر والعداء . فهو اذ ينذرهم على كره منه بالنكبات والمحن يود لو استطاع ان يفتح عليهم للمستقبل آفاقاً جميلة بهية :

لاني كلما تكلمتُ فانما أصيح
وأنادي بالشدة والدمار .

ولسوف يأتي يوم تصبح فيه توبة اسرائيل امرًا مستحيلاً ، فتكون اذ ذاك نهايته محتمة وقريبة. وذلك ما يشعر به ارميا ويألم له اكثر من اشعيا.

المأساة هي في عذاب القلب الذي يتجاوب مع الدعوة الشخصية ويتممها ، حتى اذا خلا من الالم فكأنه جحد رسالته . لقد راودته هذه الفكرة ، الا ان الله كان اقوى منه :

قلتُ لا اذكره ،
ولا اتكلم باسمه من بعد ...
لكنه كان في قلبي نارًا محرقة ،
قد حُبستْ في عظامي ،
فجهدني امساكه ولم أقو على ذلك (٢٠ : ٩) .

وليس لارميا من قريب يبوح اليه بعذابه . فاشعيا اشرك امرأته في رسالته . اما ارميا فقد اتاه الامر بان لا يتزوج احدًا (١٦) . فتركه كل صديق ، ونحت نفسه نحو كآبة الرجل المتوحد (١٥ : ١٧) .
هذا الانعزال سوف يقوده آجلاً ام عاجلاً الى تجارب اليأس والقنوط ، وكانت كثيرة شديدة .

ألم يخدعه الله ، يا ترى ؟

لماذا صارت كآبتي مستديمة ،
وضربتي معضلة تأبى الشفاء ؟...
انها صارت لي كنهر كاذب ،
كمياه لا تدوم (١٥:١٨) .

وغمرت ارميا موجات الالم . ويتوارد الى الخاطر قول ايليا لله : « كفى يا رب ، خذ حياتي » . اما ارميا فقد تفجر يأساً وقنوطاً .

ولنقرأ المقطع كله (٢٠: ١٤–١٨).

ملعون اليوم الذي ولدت فيه !

لقد اخذ ينوء تحت حمله ، فلا بد من نصرة من الله. الا ان الله اكتفى بان كرر على مسامع ارميا الكلام الذي اسمعه اياه اولاً ، فلم ينسه لانه كلام دعوته :

اني معك
لأخلصك وانقذك (١٥:٢٠ = ١:٨) .

ارميا المرشد الروحي :

هذه الحياة الروحية التي دعي ارميا الى عيشها قد اكتشفها ارميا عن طريق الصعوبات الجمة وبواسطة الآلام المبرحة .

الى اين قادته حياته ؟ قد لا يدري هو ، اما نحن فندري اليوم انه ترك في حياة الشعب المختار وفي تاريخ حياته الروحية ، اثراً عميقاً بعيد المدى .

جاء ارميا في وسط الحقبة التي بين موسى والمسيح ، فأخذ ممن قبله ، وأقام لمن بعده معالم الطريق التي يجب اتباعها والسير فيها .

— حقق الشعب العبراني ، او بالحري الاوفياء للعهد منهم ، في الستمائة سنة الماضية ، وانْ في العذاب والصعوبات ، البرنامج الذي رسمه

موسى . فسلكوا الطريق المعيّن متممين الاعمال الخارجية المطلوبة التي بها يؤدب الوسيط العظيم شعبه ويربيه ويتدرج به الى ما يماثلها من افكار وعواطف داخلية صميمة . فكانت الاعمال الناموسية الخارجية سبيلاً الى الفضائل الطبيعية الداخلية . وذلك ما اراده ارميا ايضاً وسعى اليه . هذا قبل ارميا .

اما بعده فاننا نجد نفوساً عديدة اخذت تسعى الى الحياة الداخلية ، حياة الصداقة مع الله . فهم يشعرون بالحاجة الى التجدد الروحي ، الذي لن يستطيعه الا ذلك الذي يستطيع ان يبدل الانسان من قلبه الحجري قلباً لحمياً (حزقيال ٣٦ : ٢٦) . ولن يكون الناموس فيما بعد ممارسات خارج الانسان ، بل شريعة مطبوعة في صميم قلبه (اشعيا ٥١ : ٧؛ ٥٤ : ١٣) .

« فقراء يهوه » هؤلاء يضطهدهم الناس ، ويسلبونهم متاع الدنيا . وهم بخضوعهم لله يشيرون الى اولئك الذين سيسمعون يوماً تطويبات المسيح ويعملون بها . فما اكثر امثالهم في المزامير ، وفي اسفار الحكمة والامثال ، وفي كتاب ايوب ، وفي المزمور الثالث والسبعين . اننا سائرون حقاً الى العهد الجديد .

من كان همزة الوصل بين العهدين ؟ هو ارميا . فلقد اختاره الله لهذه المهمة لطبعه الحساس وشعوره بالامانة ، واسلمه الى الالم ، ذلك المعلم الذي كشف له ، بواسطة النعمة ، « اعماق الله » .

كيف تطور ارميا هذا التطور ؟ كيف كان الالم له طريق النور ؟
لهذا التطور وجهان :
آ . تطور حياته الدينية الشخصية
ب . تطور موقفه من حياة الشعب الدينية .

١ . **تطور حياته الدينية الشخصية .**– لاحظنا ما كان عليه ارميا منذ بدء دعوته من الحساسية ، وما كان من تمنّعه تجاه الدعوة.

لم يتملكه في تلك الساعة شعور بقداسة الله كاشعيا ، ولا بقدرة الله

وحضوره كحزقيال . بل تملكته بساطة كلية أعلن بها لله عن خوفه ، وعن ضعفه ، وعن عدم ثقته بنفسه .

وبعد ثلاثين سنة من ذلك نشعر ، اذ نسمعه يشكو الى الله بلايا شعبه ، انه لم يتغير من امره شيء . فهي عاطفة الثقة بالكائن الذي يعيش معه في تبادل من الصداقة الحميمة ، وهي ايضاً عاطفة الحنان الرقيق الذي يروعنا ويثير اعجابنا :

لتسل عيناي بالدموع
ليلاً ونهارًا ولا تسكتا :
فان العذراء بنت شعبي ،
قد انحطمت حطاماً عظيما ،
بضربة لا شفاء منها ...
هل رذلتَ يهوذا رذلاً ؟
وعافت نفسك صهيون ؟ ...
قد عرفنا ، يا رب ، نفاقنا ،
وإثم آبائنا ،
لأنا خطئنا اليك .
لا تنبذنا لأجل اسمك ...
اذكر ! لا تنقض عهدك معنا (١٤ : ١٧–١٢) .

وأدرك ارميا منذ ذاك انه لم يعد من جدوى في معالجة الشعب المختار ، وان انذاراته ستذهب ادراج الرياح ، فأخذ ينكمش على ذاته ، راضياً بعزلته ، يلج باطن نفسه ويعزز حياة الروح .

وحدث ما زاده امعاناً في هذه الطريق . فلقد حظر عليه دخول الهيكل ، وبذلك حرم مدد الطقسيات ، وبوجه عام حرم كل المظاهر الخارجية للعبادة الجماعية ، مما حداه على انعام النظر في الناموس الموسوي ، واعمال الفكر في جوهر الديانة ، حتى يدرك روحانيتها . وهكذا خبر الديانة الشخصية : خبر حياة الله في النفس ، ومطالب المعلم الداخلي الذي هو

اله وأب ، وعذوبة مناجاة الله بالقلب . تلك كانت الكنوز الروحية التي اكتشفها ارميا وخبرها وعاشها .

٢ . – **تطور موقفه من حياة الشعب الدينية** . لم يعش ارميا لنفسه بل لدعوته . فكانت خبرته الدينية عوناً له على القيام بدعوته ، تغنيها وتخصبها .

حاول اولاً ان يسير بالشعب سيره ، وينحو به في العبادة منحـاه اما وقد فهم الان تفاهة حياته الدينية الماضية ،وكانت خارجية خالية من الشخصية ، فانه سيحاول ان يوجه عبادة الشعب المختار التوجيه الصحيح الذي يقود الى الله . وها هو في اواخر حياته ، في حصار اورشليم ، يكشف عن آفاق جديدة ، آفاق العهد الجديد:

ها انها تأتي ايام ، يقول الرب ،
اقطع فيها مع آل اسرائيل وآل يهوذا
عهداً جديداً ... (٣١ : ٣١) .

كان العهد القديم ينظم العلاقات مع الله على اساس الجماعة . اما الآن فان للفرد دوراً عليه ان يقوم به .

سوف لا يكون من الآن فصاعداً للحركات الخارجية المكان الاول . لأن العهد الجديد سيكون في جوهره داخلياً . لقد كتب العهد القديم على الحجر ؛ اما العهد الجديد ، الذي يتمم القديم ، فانه سيكتب في قلب كل انسان .

قام التعليم الديني في الماضي على معلمين من البشر يلقنون من الدين معرفة خارجية . اما منذ الآن فسيلقن الله ذاته التعليم كل انسان ، وسيتلقى الانسان هذا التعليم عن طريق اتحاده بالله الذي هو ثمرة الروح ، وسيكون بذلك خاتمة التعليم عن طريق الانبياء .

كان الافراد في سينا ينضمون الى العهد الموسوي ليؤلفوا شعباً مقدساً هو شعب الله . اما هنا فاننا نشهد تحرر الشخصية البشرية واستقلالها الديني . فعلى الانسان والحالة هذه ان ينتسب الى الجماعة بعمل حر يدخل به مع الله في اتحاد شخصي وثيق لا تنفصم عراه الا بالخطيئة الشخصية .

اثر ارميا :

١ . – داخل العهد القديم :

ويموت ارميا في مصر شيخاً في السبعين دون ان يرى بارقة امل في التجديد الذي دعا اليه ، وفي تحقيق الوعود « المسيحية » التي اعلن عنها ، وهو عرضة للتهديد والوعيد ، وفريسة اليأس الذي كان احياناً يمزق قلبه .

الا ان عمله لم يذهب سدى . قال رينان ذاته : « لولا هذا الرجل العجيب لجرى تاريخ البشرية الديني غير مجرى » .

وقد اورد حزقيال وصاحب القسم الثاني من اشعيا من اقواله مراراً عديدة (وليس بادل على ذلك من المقابلة بين حزقيال ٣٦ : ٢٥–٢٨ وارميا ٣١ : ٣١ – ٣٤) . وعاش اسرى الجلاء على تعاليمه ، كما واخذ بعض اصحاب المزامير مواضيعه وصاغوها صيغاً اخرى على مقتضى الحاجات والظروف (قابل بين ارميا ١٢ : ١ – ٣ والمزمور ٧٣ او ٧٢) .

ولم تترك الاسطورة هذا الرجل وشأنه ، فسطت عليه وجعلته من اعظم شخصيات التاريخ اليهودي (انظر مثلاً ٢ مكابيين ٢ : ١–٨) .

وهو على الاخص مؤسس التقوى اليهودية . ولسوف تحذو نفوس كثيرة منذ الآن فصاعداً حذوه ، فتحقق اذا شاءت ، ولو في غياب العبادات الخارجية ، صداقة صميمة حقة مع الله . ولسوف يتوصل شعب الجلاء الى ان يدرك ، على منظر آلام ارميا ، ان الآلام التي يعانيها في اسره بعيداً عن الارض المقدسة ستؤول به الى اكتشاف الله ، وستكون سبيله الى قبول عهد سينا قبولاً تاماً والى تفهمه تفهما اعمق وحبه حبًّا أشد .

ارميا وحزقيال : بالمقابلة التالية يتبين لنا ما لارميا على حزقيال من الأثر .

حزقيال	ارميا	حزقيال	ارميا
٣:٣--٨:٢ =	٩:١	٦:٥ =	٢٠:٢
٣:٣	١٦:١٥	٢:٥	١٤:١٣
٧:٣	٢٠:١٥؛١٩–١٨:١	١٢:٥	٧:٢١
١٤:٣	١٧:١٥؛٢:٦	٥:٦	٢–١:٨؛٣٢:٧
١٧:٣	١٧:٦	٧:٧	٢٣:٣
٣:٤	١٢:١٥	١٦:٧	٢٨:٤٨
		٢٦:٧	٢٠:٥

٢ . – في العهد الجديد :

ليس لارميا في العهد الجديد مكانة تذكر . الا ان الناس كانوا ينتظرون عودته في زمن المسيح على مثل ما كانوا ينتظرون عودة ايليا ذاته . وكأن الفريسيون لما سألوا يوحنا المعمدان هل هو النبي قد عنوا بكلمة النبي ارميا ، على ما ورد في تثنية الاشتراع ١٨ : ١٥ و ١٨ .

٣ . – في الليتورجيا :

لم تستخدمه الليتورجيا كثيراً . اما ما استخدمت منه فهو ما ورد له عن الثقة بالله في زمن المحنة ، وعن الصلة التي يجب ان تكون بين العبادة الخارجية والحياة الادبية الاخلاقية ، وعن المحن والمصائب التي هي افتقاد من الله للبار .

كتاب المراثي :

يتضمن مراثي ثلاثاً (١ و ٢ و ٤) ، ومرثية على شكل ندب خاص (٣) ، ومرثية على شكل ندب عام . وقد كتبت المجموعة ولا شك في اورشليم في السنين التي تلت كارثة ٥٨٦ في الاوساط الكهنوتية لتقرأ في طقوس التذكارات التي ظل بعض كهنة اورشليم الأوفياء يحيونها كل سنة على انقاض الهيكل .

هي اناشيد تعبر بلغة شعرية مؤثرة عما يساور النفوس اليهودية من القلق والاضطراب تجاه انقاض الهيكل والملكية وزوال الكهنوت والتنبؤ . وقد بلغت هذه الاناشيد ولا شك مسامع اسرى الجلاء فزادت من اشجانهم لأنها تعبر عن لسان حالهم اصدق تعبير .

لن يترك الله شعبه: هذه فكرة لا تخلو منها المراثي . الا ان هناك نبياً تجرد للدعوة لها فأعلنها بعزم وقوة : هو حزقيال .

باروك:

ان الكتاب الذي يحمل هذا الاسم ، اسم صديق ارميا ومعاونه ، هو منتحل . فهو مجموعة لا وحدة فيها تتألف من مقدمة مقتضبة ، وصلاة لتتلى في المجمع ، ونبذة حكمية وقطعة نبوية . الا انه يطلعنا على حالة ، جماعة الجلاء في الاسر ، وعلى ما يقرأون من الكتب المقدسة (تثنية الاشتراع ، ارميا ، القسم الثاني من اشعيا) ، وعلى اخلاصهم للسلطات التي تسودهم ، وعلى وفائهم لعهد سينا وتمسكهم به . ويرجع عهد وضع المجموعة الى القرن الثاني قبل المسيح .

اما الرسالة المعروفة برسالة ارميا فلقد ضمتها الترجمة اللاتينية الشعبية (Vulgate) الى كتاب باروك . وهو عبارة عن دفاع عن الدين موجه ضد الآلهة الكذبة ، يرجع ولا شك الى مستهل العهد اليوناني .

نبيان معاصران لارميا :

نحوم (حوالى ٦٢٠). — اننا لا نعلم شيئاً عن حياة هذا النبي .

يصف الكتيّب الذي يُنسب اليه خراب نينوى ، فيصوّره تارةً على انه قريب الوقوع ، وتارةً على انه قد وقع (٢ : ٢—٣ : ١٩) .

هي انشودة النصر تتغنى بقدرة الله التي تحطم كل ما يقاوم مقاصده ، وتغني كل شعب يعادي شعبه ، وان كان شعبه في الخطيئة .

حبقوق (حوالى ٦٠٠) . -- هو ايضاً لا نعلم شيئاً عن حياته .

بدأ ينذر بزحف الكلدانيين المداهم . ولذا فمن المرجح انه يتكلم عن الحقبة التي تقع بين معركة كركميش (٦٠٥) والحصار الذي ضربه نبوكدنصر على اورشليم (٥٩٧) .

زحفُ البابليين هذا يظهره النبي على انه قصاص يقاصّ به الله شعبه لنكوثه عن عهد سينا . الاّ انه يعلن في الوقت ذاته ان الله لن يُبقي على انتصار الزاحفين « لان البار بايمانه يحيا » (٢ : ٤) .

لقد اخذت مشكلة الشر تساوره قبل ارميا .

١ . إرميا : المراثي.

بماذا أعظك ؟ وماذا اشبه بك ،
يا بنت اورشليم ؟
ماذا أساوي بك فأعزّيك ،
ايتها العذراء بنت صهيون !
ان حطمك عظيم كالبحر ،
فمن ذا يشفيك ؟
قومي انحبي ليلاً
في اول الهجعات ؛
أريقي كالماء قلبك ،
قبالة وجه السيد .
ارفعي اليه كفّيك ،
لأجل نفوس اطفالك
الذين غُشي عليهم من الجوع ،
في رأس كل شارع (٢ : ١٣، ١٩) .

٢. نحوم : نبوءة على نينوى .

اين عرينة الاسود،
ومرتع الاشبال ،
حيث كان يسرح الاسد والليث وجرو الاسد ،
ولا احد يذعرها !
ويل لمدينة الدماء،
الممتلئة بأسرها كذباً وخطفاً ،
التي لا تفارقها الفرائس .
هوذا صوت السياط وصوت زلزال الدواليب ،
والخيل الجائلة والعجلات الطافرة !
ووثوب الفارس ، ولهيب السيف، وبريق الرمح ،
وكثرة القتلى ، وتراكم الجثث ، ولا نهاية للجيف،
وهم يعثرون بجيفهم (نحوم ٢ : ١٢ ؛ ٣ : ١–٣) .

٣. حبقوق : زحف الكلدانيين .

هاءنذا اثير الكلدانيين
الأمة المرة الحثيثة ،
التي تسير في رحاب الارض
لترث مساكن ليست لها ...
خيلها أخفُّ من النمر ،
وأحدّ من ذئاب المساء .
وفرسانها ينتشرون،
ويزحفون من بعيد ،
ويطيرون كالنسر المسرع الى طعامه .
يأتون كلهم للخطف ،
وجملة وجوههم الى قُدّام ،
فيجمعون السبي كالرمل (حبقوق ١ : ٦–٩) .

الألم هو السبيل إلى معرفة العهد وفهمه

الفصل الأول

الجلاء

١ . جلاء عام ٥٩٧ . — فلنعد الى الحوادث الاخيرة المعاصرة لارميا . ففي عام ٦٠٥ — معركة كركميش — حلّت بابل محل اشور في السيطرة على آسيا . وقد كانت فلسطين احدى من دان لها من دول آسيا .

الاّ ان خضوع فلسطين لبابل لم يكن الاّ اسمياً . فما كاد نبوكدنصر (٦٠٤ — ٥٦٢) يعود الى بابل لتصفية اشور حتى رفعت مملكة يهوذا رأسها واستردّت بعض استقلالها . لكن نبوكدنصر عاد الى فلسطين في عام ٦٠١ ، فخضع لـه يوياقيم ملك يهوذا ثانيةً . ثم ما لبث حزب الملك ان انتقض على نبوكدنصر ومال الى مصر ، فنشبت الثورة على بابل عام ٥٩٧ .

وكرّ نبوكدنصر على اورشليم ففتحها بعد حصار دام ثلاثة اشهر ثم امر بالجلاء الاول (٢ ملوك ٢٤ : ١٠—١٧) : « وجلا ... عشرة آلاف مجلوّ... وجميع رجال البأس وهم سبعة آلاف والأقيان والمحصنين وهم الف » . فاذا ما أضفنا الى هاتين الفئتين — فئة الجنود وفئة العمال — فئة ثالثة من الاشراف نبلغ الى العشرة آلاف المذكورة في الكتاب .

٢ . جلاء عام ٥٨٦ . — لم تُجد المحنةُ السياسيين نفعاً . فباتوا ينتظرون من المصريين المدد . وتحالف يهوذا وعمون وصور وبعض المدن الاخرى . وفي عام ٥٨٨ سنحت فرصة جديدة فشبّت ثورة جديدة .

وبادر نبوكدنصر فضرب الحصار على اورشليم (٢ ملوك ٢٥ : ١) وصمدت المدينة صمود الجبابرة ثمانية عشر شهراً ، بانتظار المدد العسكري من ابرياس فرعون مصر (٥٨٨ — ٥٦٨). ورفع البابليون الحصار لمقابلة الجيش المصري ثم لم يلبثوا ان عادوا الى اورشليم فدخلوها في حزيران ٥٨٦ وخنقوا اولاد الملك صدقيا تحت نظره ، ثم فقأوا عينيه ، وهدموا بعد ذلك الهيكل والبيوت ، واخيراً الاسوار (٢ ملوك ٢٥ : ٧—١٠) .

وكان الجلاء الثاني ، وهو اكثر عدداً من سابقه ، جلا فيه معظم سكان اورشليم والمدن الاخرى ، ولم يبقَ في البلاد سوى « الفقراء » ، ويذكر الكتاب منهم اصحاب الكروم والفلاحين (٢ ملوك ٢٥ : ١٢) .

٣ . جلاء عام ٥٨١ . — اقام الغزاة جدليا احد اعوانهم حاكماً على بلاد يهوذا . فتآمر بعض الساسة المشبوهين ، وكانوا متفرقين في الحقول ، وقتلوه . ثم خاف اليهود عاقبة الامر فأسرع بعضهم بالفرار الى مصر آخذين معهم ارميا (٤٠—٤٣) .

وعلى اثر ذلك حدث الجلاء الثالث والاخير (ارميا ٥٢ : ٣٠) .

قُدِّر عدد اسرى الجلاءات الثلاثة باثنين وعشرين الفاً ، ما عدا النساء والاطفال . لا سبيل الى التدقيق في الارقام . وعلى كل فالعدد المذكور ليس بمبالغ فيه .

الباقون في يهوذا :

آ . الفقراء من اورشليم .
ب . الفلاحون .

لا سبيل الى تقدير هؤلاء الباقين . وكل ما نعلمه ان العبادة ظلّت قائمة بين انقاض الهيكل تغذيها اغاني المزامير والمراثي .

ومع ذلك فليس على هذه البقية يعتمد الانبياء للبعث الديني . لأنهم

الطبقة التي تركت وشأنها ، لأن آثامهم ما زالت هي هي (حزقيال ٣٣: ٢٣—٢٦) .

حياة الاسرى في بابل :

عومل اسرى اليهود عند وصولهم الى بابل معاملة متنوعة . فبعضهم عوملوا معاملة العبيد الارقاء ، وبعضهم وضعوا في السجن (اشعيا ٤٢ : ٢٢) الاّ ان اكثرهم تُركت لهم حريتهم .

استقرّ بالاسرى المقام في بابل ذاتها ، او في ضواحيها ، او على الأغلب في الحقول ، ولا سيما على ضفاف مجاري الماء . ومزمور الجلاء يذكر ذلك :

على انهار بابل،
هناك جلسنا فبكينا،
عندما تذكّرنا صهيون .
على الصفصاف في وسطها،
علّقنا كنانيرنا (مز ١٣٧ أو ١٣٦ : ١—٢) .

وسمح لهم اسيادهم بان لا يختلطوا بغيرهم من الشعوب ، فألّفوا منهم جماعات متجانسة أقاموا على رأس كل واحدة أحدهم هو الرئيس الذي يمثلها لدى السلطات . وهؤلاء الرؤساء هم « القدماء » الذين يتصلون هنا وهناك بحزقيال (٨ ، ١٤ ، ٢٠) .

احترف الاسرى في أول امرهم حرفة الزراعة . فالارض خصبة وقد أجّروهم اياها لقاء اتاوة ، وفرضوا عليهم علاوة على آجار الارض فريضة الاشغال التي هي بمثابة الجزية للغالب .

وما لبث بعضهم ان اخذوا يتعاطون التجارة ، وهذا اسم اليهود يتردد بتواتر متزايد في العقود التجارية البابلية لذلك العهد .

وقامت في الأسر طبقات اجتماعية فيها الفقير المعدم ، وفيها الغني

الثري الذي يملك العبيد والاماء «(عزرا ٢ : ٦٥) ، وتوصل بعضهم الى المراتب الرسمية العالية (مثل نحميا) .

— مشاكل الاسرى الدينية :

آ . — العلاقات مع الوثنية :

كان للشعور الوطني يدعمه ايمان الشعب المختار بمستقبله اثره في القلوب . فكان اسرى ٥٩٧ يعتقدون بان اورشليم لن ينالها سوء ، وبأن اسرهم لن يطول أمده .

وعلى هذا الاعتقاد لم يكونوا ليرضوا بحط الرحال في مكان ، ممّا اضطرّ ارميا الى ارسال كتاب لهم يوصيهم فيه بالاستقرار حيث هم (ارميا ٢٩ : ٤—١٤) . ورأى الشعب ان العودة الى الوطن بعيدة فاتخذوا لهم بيوتاً . وها حزقيال يسكن بيتاً ، وغيره مثله (٣ : ٢٤ ؛ ٣٣ : ٣٠).وها هم يزرعون ويحصدون القمح والشعير والعدس .

لا يخلو هذا الاستقرار من خطر الاستكانة والاستسلام ، كما لا تخلو المعاطاة التجارية من خطر المعاطاة مع الوثنيين. فهي الطريق التي اذا ما أخذوا يسلكونها ذهبت بهم بعيداً . فيجفّ الشعور الوطني ، وتنضب العاطفة الدينية ، ويضعف الصمود للوثنية .

ولانتصار بابل ، وهي في أوج عزها ، شأن في هذا الانحلال العام . فأخذوا ، بعد بضع سنوات ، يتسمّون بأسماء بابلية ، ويسيرون على التقويم البابلي ، ويميلون بالكتابة الى نحو ما ستكون عليه في بدء المسيحية . واهملوا العبرانية شيئاً فشيئاً واحلوا محلها لا البابلية بل الآرامية التي كانت كثيرة الانتشار في ذلك العهد . نحا الأسرى الاسرائيليون في كل ذلك منحى غيرهم من اسرى الشعوب ففقدوا مثلهم الروح الوطنية . الاّ ان هذا الانحلال الذي اخذ يدبّ فيهم كان قد بدأ في ارض الوطن عندما فتحت مملكة يهوذا ابوابها للوثنية تغزوها في عقر دارها في السنين التي قام فيها ارميا نبياً .

الاّ ان قضية الساعة الكبرى كانت قضية دينية . فهذه المدنية الزاهرة التي يشهدونها ، وهذا المجد الباهر الذي يكلل هامة الغالب ، وهذه الطقوس الدينية تتجلى في الطواف الرائع بالآلهة التي اليها تعزو بابل انتصاراتها ، كل ذلك يهيب بالنفوس التقية الى التساؤل : أليس في انكسار الشعب انكسار يهوه الهه ؟ ألا يكون يهوه إلهاً كسائر الآلهة ، كآلهة بابل او أقل ؟ واذا كان يهوه ذلك الاله القادر الذي يعرفون ، أفلا يكون قد تخلّى عنهم ، تخلّى عن شعبه المختار؟ وأين يكون الآن مقرّه بعد ان هُدم هيكلـــه وانقطعت طقوس عبادته؟ ومن سيقوم بخدمته ، وشعبه مبدّد في اشور ومصر وبابل ؟

حالة بائسة زادها بؤساً انقطاع كل مدد ديني من طقوس الذبائح التي لا يجوز ان تقام الاّ في الهيكل . حتى الأغاني الدينية ، على ما يبدو ، قد جفّت بها الحناجر :

هناك سألنا الذين سبونا نشيداً ،
والذين عذّبونا تطريباً ...
— رنّموا لنا من ترانيم صهيون .
— كيف نرنّم ترنيم الرب
في ارض غربة ؟ (مز ١٣٧ أو ١٣٦ : ٣—٤)

هو خطب فادح ينزل بهذا الشعب ذي الديانة الخارجية ، الذي لا يفرق بين العاطفة الداخلية والعمل الظاهر ، والذي يفضّل التقدمة المادية على تقدمة القلب . وانه لمن اخطر الامور عليه ان تنقطع عنه الطوافات الدينية العظيمة وقد ألفها تزهو بالكهنة وهم يقومون بتقدمة الذبائح والقرابين ، وباللاويين وهم ينشدون الاناشيد في مدح يهوه وتمجيده .

فلنسمع صدى ذلك في هذا النشيد الشجي الذي يتغنى به مغن من القرن السابع وهو بعيد عن وطنه :

اذكر هذا ، فأفيض نفسي عليّ :
اني اعبر مع الجمهور

واقصد بهم بيت الله ،
بصوت ترنيم واعتراف ،
بهتاف تعييد .
لماذا تكتئبين يا نفسي وتقلقين فيَّ ؟
ارتجي بالله ، فاني سأعود اعترف له ،
وهو خلاص وجهي (مز ٤٢ او ٤١ : ٥–٦) .

هذا شعور المؤمن ، فما بالك بالقليل الايمان الضعيف العقيدة الذي لا يفتأ الغالب يسأله متهكماً : « اين إلهك ؟ » (مز ٤٢ او ٤١ : ٤ و١١)، والذي يقف مذهولاً امام الاله مردوك يطوف به البابليون في شوارع المدينة بينما يهوه يلزم صمتاً عميقاً عجيباً !

تتلخص اذاً حالة الاسرى الدينية :

١. من حيث الزمان ، في مرحلتين :

– من ٥٩٧ الى ٥٨٦ : طمأنينة غاشة وايمان ضال يستهتر بمستقبل الشعب المختار .

– من بعد ٥٨٦ : تجربة اليأس والقنوط .

٢. من حيث الاسرى، في جماعتين :

– جماعة الاسرائيليين المتوثنين : انهم تركوا شيئاً فشيئاً ديانتهم .

– جماعة الاسرائيليين الأتقياء : انهم امام المحنة يترددون حيارى .

ب. – مشكلة الالم :

نظرتنا الى ما ذكرنا كانت نظرة بشرية . اما في نظرة الله وخطته فلقد كانت كل هذه الاحداث والظروف أداةً سخَّرها الله لتحقيق تاريخ الشعب المختار . وليس الجلاء الاّ احدى ادوات العمل في يده تعالى يشذب بها شعبه ويؤدبه .

– عـــاد اسرائيل بالجلاء الى وعيه وثاب الى رشده ، فعرف ان خياناته العديدة لعهد سينا جعلت منه أمةً تركب المغامرات السياسية ،

وتزجّ نفسها في المآزق الحرجة . وها الله يأخذه من الآن فصاعداً بيد الألم والعذاب . انه لن يعرف استقلالاً بعد اليوم ، الاّ في فترة قصيرة . فلقد سعى الى غايات سياسية تتنافى مع دعوته . ولذا فقد محاه الله من الخريطة السياسية لكي يعي مهمته الخاصة ويتفهمها تفهماً أعمق فيعرف انه انما جعل حارساً لوديعة دينية وحافظاً لعهد مع الله .

— وسيكون الجلاء اداة فصل وتفرقة . فلقد ظلّت تعاليم الانبياء زهاء ثلاثة قرون تصطدم بمقاومة الملوك وضعف العامة ، بينما كانت الصفوة التي تألفت رويداً رويداً مكتوفة الايدي لا تقوى حراكاً امام المقاومة العنيفة. اما الآن فسيكون الجلاء اداة فصل وتفرقة بين الفئتين من الشعب : فئة ضعفاء الايمان الذين سيختارون البقاء في بابل ، وفئة اشداء الايمان الذين سيكونون غداً اداة البعث والتجدد .

لقد كان لكل من مرحلتي الجلاء (٥٩٧ — ٦٨٦ و٥٨٦ — ٥٣٨) شأنها في تهيئة جيل الغد ، جيل العائدين الى الوطن . ففي المرحلة الاولى، مرحلة ما قبل خراب اورشليم ، عَمَلَ الله على تقويض كل امل بشري في نفوس الاسرائيليين ؛ وفي المرحلة الثانية ، مرحلة ما بعد خراب اورشليم ، عمل الله على بعث الثقة بقدرته التي ستحقق الخلاص .

وكانت مهمة الانبياء اثناء ذلك تسير بالنفوس ، يحدوها الروح القدس ، الى الحل الصحيح لهذه المشاكل الدينية .

ج. — مشكلة الثواب والعقاب :

كان الاعتقاد السائد الى الآن ان لا ثواب او عقاب الاّ للجماعة ، عائلة كانت ام أمة .

— العائلة :

ان الآباء اكلوا الحصرم
واسنان البنين ضرست (ارميا ٣١ : ٢٩) .

ــ الأمة : اخطأ يهوذا كما اخطأت السامرة . ولذلك فسيحلّ به ما حلّ بها من عقاب :

انك تشربين كأس اختك العميقة الواسعة...
فتمتلئين سكرًا ووجعاً من كأس الدهش والاستيحاش...
(حزقيال ٢٣ : ٣٢)

وعلى ضوء هذه النظرة نرى انه ليس من حل لمشكلة عذاب البارّ البريئ لأن لا وجود لها . فالفرد يضمحل في الجماعة ويحمل تبعة الجماعة ، والشخصية لا حقّ لها ولا مطلب . فما الفائدة اذًا من ممارسة الفضائل الطبيعية من عدل وصدق وتقوى وغيرها اذا لم يكن من ثواب يُرجى او عقاب يُخشى .

للمسألة اهميتها ولا سيما ان الشعب لم تكن له اية فكرة عمّا بعد الحياة . فالفرد والجماعة كانا على طرفَي نقيض . لقد عقد الفرد عهدًا مع الله بالختانة ، اي بانتمائه الى الجماعة الاسرائيلية ، فما عليه الاّ ان يتبع سيرها ويعاني مصيرها . لكنه ذو حرية ، وبحريته يستطيع ان يعمل لشخصه المستقل ويسير سيره الخاص ، الذي قد يتعارض وسير الجماعة . ذلك ما لم يكن احد ليجهله . الاّ ان فكرة الثواب الشخصي والعقاب الشخصي تجلّت بكل بيانها على اثر خراب الهيكل وانهيار الجماعة ، فبدت مسألة جديدة جديرة بكل اهتمام .

الفصل الثاني

أنبياء الجلاء

مجموعة ارميا ، نبوءة حزقيال ، القسم الثاني من اشعيا : تلك هي الآثار النبوية التي كان لها شأنها لدى المسبيين ، من عام ٥٩٧ حتى عام ٥٣٨ .

١. مجموعة ارميا

لم يكن لارميا من المكانة والاثر في حياته بمقدار ما كان له بعد مماته . فتعليمه ، الذي كان له على حزقيال اشد الوقع ، كان نوراً وقوة للمسبيين . وقد هدت آلامه النفوس الى فكرة الفداء الخلاصية .

هوذا فيما يلي بعض صفات هذا التعليم :

قوامه الديني الاساسي :

– يتطلب يهوه الاخلاص كل الاخلاص ، بواسطة ايمان قويم لا يشوبه من عبادة الاوثان شائبة .

– وبالتالي سلوك طريق القداسة التي تقرّب الانسان من الله وتجعله شبيهاً به وعلى صورته .

لم يكن المسبيون يجهلون ما كان من كفاح ارميا في سبيل هذين الامرين ، وما لقيه من إعراض الملوك والعظماء والشعب والكهنة .

وقسا ارميا عليهم فأنذرهم بالقصاص الشديد العاجل . اما وقد نفذ الآن كلامه وتحقق وعيده ، أفلا يجدر بالناس ان يسمعوا لرجل الله هذا فيسلكوا السبيل الذي يرشدهم اليه ،وما هو بالحقيقة سوى سبيل العهد ؟

بديل العبادة الخارجية :

قاوم ارميا ما استطاع تلك العبادة التي لم يكن لها من العبادة غير ظاهرها . تحدث عن خراب هيكل شيلو فاذا الآن بهيكل اورشليم ايضاً خراب ؛ وشكا من التقادم والذبائح وها هي الآن قد زالت ؛ واعلن ان معنى الناموس الحقيقي ليس في مضمون حرفه واذا بأكثر ملفّات الكتب المقدسة قد ذهبت طعمة النار.

ما العمل اذاً ؟ لم يبقَ الاّ التقوى الحقيقية الداخلية نكتشفها مثل ارميا وبهديه ، فنعرف ان علاقاتنا مع الله هي علاقات روحية ، وان العهد بين الجماعة والله يجب ان يقترن بعهد آخر بين الفرد والله .

لم يكن ذلك كله واضحاً في الاذهان كل الوضوح . الاّ انه كان يكفي ان يقوم للمعلم تلميذ صادق مخلص لكي تنقلب اقوال ارميا الى رسالة حية للمسبيين تنعش حياتهم الدينية وتغذّيها .

وسيقوم غداً مغنّ منهم فيتغنى بدوره بالصداقة مع الله ، ويبين لنا كنهها وجوهرها بعبارات خالدة :

انا معك في كل حين...
من لي في السماء ؟
وعلى الارض لم ابغ معك احداً .
قد فني جسدي وقلبي
الله هو صخرة قلبي
وحظي الى الابد (مز ٧٣ او ٧٢ : ٢٣ ، ٢٥–٢٦) .

قيمة الألم :

لدينا علاوة على تعليم ارميا سيرة حياته . فلقد عانى الاضطهاد ، والضرب ، والسخرية ، والسجن . وتآمر عليه مواطنوه وعاشلته ، وخانه حتى اعز اصدقائه . حتى ليخيل الينا ان الله قد أمعن في ايذائه فأبى

عليه كل تعزية . الاّ ان الله كان معه فنجاه ، وقد اضطر ان يجدّد له دعوته (ارميا ١٥) ، وسمح ان تكون خاتمة رسالته اخفاقاً ذريعاً ، في الظاهر على الاقل .

لم يحن الوقت بعد للتحدث عن الألم الفادي . الاّ ان « عبد يهوه » ذاك الآتي سوف يتصف بكثير من الصفات المستعارة من ارميا .

٢. تعليم حزقيال

الرجل :

هو حزقيال بن بوزي ، ينتسب مثل ارميا الى عائلة كهنوتية . الاّ اننا لا نعلم عن حداثته سوى انه كان كاهناً في اورشليم وتلقى الدعوة في عام ٥٩٢ .

لم يكن مثل اشعيا رجل فكر بل رجل مخيلة . فكان يتمثل الافكار بالصورة المحسوسة . ولذا فقد أتى ، مثل ارميا ، بحركات رمزية كثيرة (٤:١ ؛ ٥:٤ ؛ ١٢:١—٩) .

وقد اتى ايضاً في حياته باعمال تنم عن اضطراب في الاعصاب وخلل في التوازن ، دون ان نستطيع ان نسمّي هذه الظاهرة فيه باسمها (٤:٤—١٧ ؛ ٢٤:٢٧ ؛ ٣٣:٢٢) . الاّ ان ذلك لا يحول دون ان يكون نبياً عظيماً . فالله يستخدم كل رجل اداة في يديه .

دعوته (٥٩٢) :

جاءت رواية دعوة حزقيال في كتابه على شكلين : شكل رؤيا العجلة ، وشكل رؤيا الكتاب .

١ . – **رؤيا العجلة (١:١—٢٨) :**

– رأى النبي ، في غيوم عاصفة آتية من الشمال تتوهج بالبروق ، « شبه اربعة حيوانات وهذا مرآها ، لها شبه البشر » (١:٥) . وكان لهذه

الحيوانات الاسطورية رأس رجل ، وجناحا نسر ، واظلاف ثور ، وذنب اسد . وقد استوحت مخيلة النبي ولا شك بعض اوصاف هذه الحيوانات من الكاروبيم التي كانت تماثيلها تحرس هياكل البابليين .

ورأى حزقيال ، بجانب هذه الحيوانات الاربعة التي كانت تتجة نحو جهات الارض الأربع ، اربعة دواليب عجيبة تتحرك مع الحيوانات بسرعة فائقة الوصف ، وقد امتلأ محيط دوائرها عيوناً .

وكانت الحيوانات ناشرة اجنحتها فوق رؤوسها على شكل قبة لامعة قام عليها عرش يهوه ، « وعلى شبه العرش شبه كمرأى بشر عليه من فوق » (١ : ٢٦) .

— تمثّل هذه الرؤيا سلطة الله على العالم وحضوره الشامل .

— سلطته على العالم : البروق والرعود (١ : ١٣ و١٤) ؛ القبة التي عليها قام عرش الله .

— حضوره الشامل : الأجنحة والدواليب في سرعتها الفائقة الوصف ؛ العيون هي عنوان المعرفة . هكذا يستطيع الله ان يتبع المسبيين حتى بابل .

— نجد بعض عناصر هذه الرؤيا في الكتب القديمة : (عن الغيوم راجع الخروج ٤٠ : ٣٤ ؛ ١ ملوك ٨ : ١١ ؛ عن القبة تحت اقدام يهوه راجع الخروج ٢٤ : ١٠) . الاّ ان النبي قد جمع فيما بين هذه العناصر المتفرقة على شكل عجيب . كان اشعيا يصوّر لنا الرؤيا فندرك بسهولة معناها ، لأنه كان ذا اتزان ومنطق . اما حزقيال فهو اكثر منه في عقله غرابةً وتعقيداً ، ولذا فانه يأتينا بالصورة طافحةً بتفاصيل ودقائق لا سبيل الى ادراكها . علينا اذ ذاك ان نعلم ، والنبي يريد ان نعلم ، اننا امام فكرة تفوق كل مدارك الانسان وكل تعابير البشر ، وان النبي اذ يحاول ان يفهمنا ما يعاني في سبيل التعبير عنها ، يأتي بصور متنافرة لا تجانس فيما بينها ولا انسجام ولا تقوم لها قائمة . فما هذه الكائنات الحية؟ وهذه الدواليب التي تسير بمثل هذه السرعة العظيمة دون ان تتفكك ؟

ومع ذلك فهذه الرؤيا لا تثير فينا من الدهشة والاستغراب اكثر مما تثيره رؤيا اشعيا يصف لنا السلام « المسيحي » :

فيسكن الذئب مع الحمل ...
والاسد يأكل التبن كالثور
ويلعب المرضع في حجر الأفعى (اشعيا ١١ : ٦–٨) .

٢ .– رؤيا الكتاب (٢ : ١–٣ : ٩) :

كان موضوع تلك الرؤيا علم الله الشامل ، اما هذه فموضوعها دعوة الانسان . وفجأة تنقطع رؤيا عجلة الله :

يا ابن البشر قم على قدميك فأتكلم معك!

– هذه اولا مهمة حزقيال . هي شبيهة بمهمة اشعيا وارميا : مهمة تبليغ رسالة للاسرائيليين العصاة . رسالة مكتوب لها الاخفاق سلفاً ولو في الظاهر . على النبي فقط ان لا يخاف .

وبعد هذا الكلام تأتي الرؤيا . وتحاشياً للخوف على النبي ان لا يتكلم باسمه بل باسم الله وان يبلغ بامانة رسالته . وطُلب من حزقيال ، كما سيطلب من يوحنا في رؤياه (١٠ : ٩–١٠) ان يبتلع كتاباً من الرق مغطىً على جانبيه بالمراثي والمناحات (قابل ارميا ١ : ٤–٩) . وعندئذ قال لي : « يا ابن البشر ، انطلق وأت آل اسرائيل وكلمهم بكلامي » .

– سيأتيه العون كما أتته الرسالة ، من الله . فذلك ممّا يسكّن من بلباله ويدخل الى قلبه الطمأنينة . « هاءنذا قد جعلت وجهك صلباً تلقاء وجوههم ، وجبهتك صلبة تلقاء جباههم . لقد جعلت جبهتك مثل السامور وأصلب من الصوّان » (لدينا في هذا الكلام نوع من البديع اللفظي هو الجناس ، لان اسم حزقيال معناه : الله يشدّد) .

تلقى النبي المهمة الصعبة وذهب بها ، يحدوه الروح ، الى مسبيي بابل .

المعنى العميق لهذه الدعوة (٣٣: ١-٩ راجع ٣: ١٦-٢١):

يبيّن لنا هذا المعنى مَثَلُ الرقيب. ضرب حزقيال هذا المثل للمرة الاولى في خراب اورشليم ، ثم أعاده للمرة الثانية في اعقاب الرواية عن دعوته ، وذلك ولا شك ليفهمنا معنى مهمته .

على النبي ان يبذل قصارى جهده «كي يتوب الشرير عن طريقه السيئ » ، وكي يحفظ البار « عن ان يرتد عن بره ويصنع الاثم » . والاّ فتبعة عقابهم تقع عليه .

على حزقيال اذاً تقع تبعة النفوس . وان له اذاً لدوراً في خلاص هؤلاء الناس : « فقد جعلتك رقيباً لآل اسرائيل » .

بذلك نشهد ولادة فكرة جديدة هي فكرة الرسالة .

ـ حياته الشخصية ورسالته النبوية :

الصلة وثيقة والوحدة ظاهرة بين مأساة حياة حزقيال ومأساة حياة الشعب المختار في بابل.ففي نظر اسرائيل ستكون تلك علامة هذه، كما وفي نظر النبي ستكون حياته صورة لتعليمه ، وشخصه عنوان نبوّته . نورد على ذلك مثلين :

ـ اصابته بالشلل (٤-٥):

ظلّ ٣٩٠ يوماً (او ١٩٠ ؟) مسمّراً في فراشه على جنبه الايسر ، ثم ٤٠ يوماً على جنبه الأيمن . هذا الشلل يعني وقر خطايا اسرائيل ويهوذا . فلكل سنة من الخطايا يوم من العذاب ، على ما أوضح النبي . وحياة التقشف التي عاشها اثناء مرضه تعني حياة التقشف التي سيعيشها سكان اورشليم اثناء حصار ٥٨٦ . وهو ، اذ قصّ بعد تعافيه شعر رأسه ولحيته ، فأحرق ثلثه ، وضرب ثلثه الآخر بالسيف ، وذرى ثلثه الأخير في الهواء ، فانه يعني ان الثلث من الناس سيموتون اثناء الحصار بالنار ، والثلث الآخر سيموتون بحدّ السيف ، والثلث الاخير سيتفرقون في كل ريح .

ـــ موت امرأته (٢٤):

نتقل من مجال الجسد الى مجال العاطفة . هوذا الحادث كما ورد بصورته المقتضبة والمؤثرة معاً :

> يا ابن البشر ، هاءنذا آخذ عنك مشتهى عينيك بضربة ، فلا تلطم ولا تبك ولا تذرف دمعة . تنهّد ساكتاً ، ولا تقم مناحةً على الميت . بل اعصب عليك عصابتك ، واجعل حذاءك في رجليك ، ولا تلتثم على شاربيك ، ولا تأكل خبز الناس . فكلمتُ الشعب في الصباح وماتت امرأتي في المساء ، فصنعتُ في الصباح كما أُمرتُ (٢٤ : ١٥ــ١٨) .

هذا الجمود الذي عليه ان يتكلفه يثير الدهشة ويدعو الى العجب. هوذا الآن معناه :

> فقال لي الشعب : ألا تخبرنا ما نحن وهذا الذي انت صانعه ؟ فقلت لهم : قد كانت اليّ كلمة الرب قائلاً : قل لآل اسرائيل هكذا قال السيد الرب : هاءنذا أدنس مقدسي ، فخر عزتكم ومشتهى عيونكم ومنية نفوسكم... فتصنعون كما صنعت : فلا تلتثمون على الشاربين ولا تأكلون خبز الناس . وتكون عصائبكم على رؤوسكم واحذيتكم في أرجلكم ، ولا تلطمون ولا تبكون (٢٤ : ١٩ــ٢٣) .

اعماله قبل خراب اورشليم :

كان حزقيال في هذه الحقبة (٥٩٢ ـــ ٥٨٦) نذير الكارثة .

آ . ـــ بموقفه :

هو يتكلم قليلاً ويلزم الصمت طويلاً ، ويقضي اياماً عديدة دون ان ينبس ببنت شفة ، ويقوم ، وهو صامت ، بحركات وسكنات تدل بوضوح على الكارثة . وقد تنبأ علاوةً على حصار اورشليم (٤ــ٥) المذكور

اعلاه ، على انكسار اسرائيل والجلاء الثاني (١٢) .

ويقطع الصمت احياناً ليغنّي على توقيع آلة موسيقية (٣٣ : ٣٢) ، او ليتلو آياته تلاوةً على شكل قصيدة موزونة يوقعها بيديه ورجليه(٦ : ٢).

ب. — برسالته :

— تسود رسالته فكرة القصاص .

لم يكن لا في بابل ولا في اورشليم مَن ينتظر خراب المدينة المقدسة . لا بل كان المسبيون يأملون عودة قريبة الى الوطن .

انذر حزقيال هؤلاء جميعاً بان القصاص لا بدَّ واقع بسبب عبادة الاوثان السائدة في اورشليم . وقد طار حزقيال بالروح الى الهيكل بينما كان الشيوخ مجتمعين فيه ، فشاهد في الشمال تمثالاً لعشتروت جاء به منسّى (٨ : ٥) ، وشاهد في مدخل رواق الهيكل تصاوير لحيوانات يُقدّم لها البخورَ سبعون من شيوخ بيت اسرائيل (٨ : ١٠—١١) ، وشاهد في باب الهيكل الشمالي نسوةً يبكين تموز إله الزرع (٨ : ١٤) ، وشاهد اخيراً بين الهيكل والمذبح خمسة وعشرين رجلاً يستقبلون الشمس ويعبدونها (٨ : ١٦) .

وعلى ذلك سمع حزقيال صوت الله يصدر امره بافناء جميع سكان اورشليم المنصرفين عن عبادته .

وقد غادر الله ، على اجنحة الشاروبيم ، الهيكل والمدينة المقدسة ، لأنهما لم يعودا بأهل لسكناه (١١ : ٢٢—٢٣) .

هذه الوثنية هي ايضاً نكران للجميل وجحود للنعمة .

ويقابل حزقيال ، كما فعل هوشع ، بين علاقات الله مع شعبه وعلاقات الزوج مع زوجه . الاّ ان حزقيال لا يذكر أمانة زمن الخطبة (هوشع ٢ : ١٦—١٧) ، لان اسرائيل خان العهود طوال ايامه ، منذ البدء .

ويورد الفصل السادس عشر مثلاً يروي تاريخ الشعب كله ، فيذكر عهد سينا بقوله : « وحلفتُ لكِ ودخلتُ معكِ في عهد ، فصرتِ لي

(١٦ :٨) ؛ وايضاً: « بما انك لم تذكري ايام صباك ... فانا ايضاً قد جعلتُ طريقك على رأسك » (١٦ :٤٣) .

الاّ ان الله رحوم ، ورحمته لا تزال تقوم على عهد سينا . وهو بعد ان يقول: « ما كان أمرض قلبكِ » (١٦ :٣٠) ، يعلن: « واذكر انا عهدي معك في ايام صبائك وأقيم لكِ عهداً ابدياً » (١٦ :٦٠) .

— ينادي اذ ذاك بمسؤولية الفرد .

يبدو ان النبي في اول امره اخذ على حسابه الحل القديم لمشكلة الخير والشر والثواب والعقاب ، ذلك الذي يقول بمسؤولية الجماعة وطغيانها على الفرد . يظهر ذلك في حكاية المرأتين أهلة واهليبة ، اللتين تمثلان اسرائيل ويهوذا (٢٣) .

الاّ ان الاعتراض الذي ذكرناه آنفاً — بطلان الجهود الفردية — كان له عليه اشد الوقع . وكان معلمه ارميا قد نادى باخفاق المسؤولية الجماعية في الماضي (ارميا ٣١ :٢٩) ، دون ان يعرض للحاضر حلاً جديداً. فطبّق حزقيال تلميذه هذه النظرية على حاضره :

> ما بالكم تتمثلون بهذا المثل على ارض اسرائيل قائلين : الآباء اكلوا الحصرم واسنان البنين ضرست؟ حيّ انا ، يقول السيد الرب ، لا يكون لكم من بعد ان تتمثلوا بهذا المثل في اسرائيل. ان جميع النفوس هي لي. كمَثَل نفس الاب مَثَلُ نفس الابن ، كلتاهما لي . النفس التي تخطأ هي تموت (١٨ :٢—٤) .

لكل فرد اذاً تبعته لا يرتبط فيها بالجماعة. الاّ ان حزقيال قد غالى بهذا المبدأ الى حد ان البار ، على ما يرى ، لا يستطيع ان يشفع لغيره (قابل بين حزقيال ١٤ :١٣—١٤ والتكوين ١٨ :١٧—٣٣) . وأضاف حزقيال ، مطلقاً لفكره هذا العنان ، ان البار يثاب والشرير يعاقب (في هذه الدنيا ، اذ ليس للقوم بعدُ من فكرة عن الحياة الاخرى) .

تعليم ولا شك ناقص لا يأخذ بعين الاعتبار اعتراض ارميا : « لماذا

ينجح طريق المنافقين ويسعد جميع المعاملين بالغدر؟ » (ارميا ١٢ : ١):

تعليم مع ذلك يأخذ به ايضاً صاحب المزمور التالي اذ يعرض المشكلة ذاتها فيجيب، على ما يبدو، بالجواب ذاته :

اوشكت قدماي ان تزيغا
وخطواتي كادت تزلّ.
لأني غرتُ من السفهاء،
اذ رأيت سلام المنافقين ...
انما جعلتهم في مزالق ،
اوقعتهم في التهلكات ، فصاروا الى الخراب في لحظة .
(مز ٧٣ أو ٧٢ : ٢–٣ و١٨)

وعلى كلّ فالجواب باطل في البار الذي يشقى حتى آخر حياته .

ويتطرق حزقيال بعد التبعة الجماعية الى الوجه الآخر من المشكلة ، الى قيمة البرارة الشخصية . هذه الفكرة الاخيرة ستقود اليهودية الى الحل الكامل ، ذلك الذي ستأتي به المسيحية يوماً .

ثم لا نتمالك من الدهشة عندما نرى النبي يأتي بعد ذلك بفكرة اخرى تبدو لأول وهلة مناقضة لما سبق ، فيقول ان اسرائيل سوف يحظى يوماً برحمة الله ومحبته ، الاّ ان سبب هذا العطف الالهي لن يكون سوى الله نفسه :

ليس لأجلكم انا فاعل يا آل اسرائيل ، لكن لأجل اسمي القدوس الذي دنّستموه في الأمم الذين دخلتم بينهم(٣٦ : ٢٢).
(انظر ايضاً ١٦ : ٦٠–٦٢ حيث يدور الكلام عن عطايا الله المجانية) .

وهكذا اخرج حزقيال ، وهو يحاول الجواب على مشكلة عويصة ، فكرة التبعة الفردية الى النور الساطع . وزاد على ذلك فعالج ، وان بطريقة ناقصة ، سر ارادة الله في تبرير الانسان وفي منحه عطاياه .

اعماله بعد خراب اورشليم (من ٥٨٦ حتى موته) :

كان حزقيال بشير الرجاء .

ظلّ حزقيال ، تلميذ ارميا الوفي ، ينذر حتى عام ٥٨٦ بخراب اورشليم ، وتقويض الهيكل ، وجلاء السكان او افنائهم . لأن خطايا اسرائيل كانت جسيمة ،وكيل آثامه قد طفح. وها هو الله يتخذ الشعوب الوثنية أداة بين يديه يقاصّ بها شعبه ويؤدبه .

وجاء البابليون ، وجاءت معهم اهوال الحصار والفتح والخراب . وكان مسبيو عام ٥٩٧ يتتبعون ، وهم في ارض المنفى على ضفاف الانهر ، تطورات الحصار ، يتنازعهم الامل تارة والجزع اخرى ، الى ان وقعت المدينة ، فكانت الضربة القاضية على آمالهم . وبلغ اليأس بهم كل مبلغ عندما اخذت قوافل السبي الجديد تتوافد عليهم . ولم يكن في الأفق بارقة امل بالفرج ، او بسقوط بابل . فتصاعدت يومئذ الصرخة من القلوب : « لقد هلك رجاؤنا » .

هي في تاريخ الشعب المختار نقطة تحوّل . فلقد انهارت الآمال البشرية وتفككت الاحلاف السياسية ، وتخلى عن اسرائيل كل معين ، فلم يبقَ له الاّ الله وحده يلجأ اليه وعليه يعتمد . انه الآن حقاً « مملكة كهنة وشعب مقدس » ، حسب نص العهد (الخروج ١٩ : ٦) .

الاّ ان خطرًا مداهماً يترصده هنا ، خطر زوال كل امل بالبعث . وبذلك يصبح وجود الشعب الاسرائيلي ذاته في خطر الانهيار .

آ . — **الامل الوطيد بالعودة .** واذا بروح الله ينزل على حزقيال في رؤيا رائعة فينتعش رجاؤه بالبعث الذي وعد الله به ، وتتوطد ثقته بقدرته تعالى على تحقيق رجائه . هي « رؤيا العظام اليابسة » (٣٧).

يرى النبي في رؤياه سهلاً واسعاً قد غطّته هياكل عظام لا عدّ لها . وسأله الله قائلاً : « أتُرى تحيا هذا العظام ؟ » . فأجاب حزقيال حذراً ، كمن لا يثق كثيرًا : « ايها السيد ، انت تعلم » . فأطلق الله ضرباً

من قدرته ، على نحو ما صنع يوم خلق العالم ، فاذا بهذه الهياكل تكتسي ، على هبوب نسمة من الروح ، لحماً ، فصارت اجساماً لكن بدون روح ، « ولم يكن بها روح » . وهبّت نسمة اخرى من الروح ، فاذا بالحياة تدبّ الى الاجسام فتحييها ، فتنتصب الاجسام على اقدامها جيشاً عرمرماً بعثه روح الله .

وشرح الله لحزقيال معنى ما عمل :

هذه العظام هي آل اسرائيل بأجمعهم. ها هم قائلون قد يبست عظامنا وهلك رجاؤنا وانقطعنا ... قل لهم : هكذا قال السيد الرب : هاءنذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبي ، وآتي بكم الى ارض اسرائيل (٣٧ : ١١–١٢) .

وينتهي المشهد بالآية التالية :

فتعلمون اني انا الرب حين افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبي ... فتعلمون اني انا الرب تكلمت وفعلت (٣٧ : ١٣) .

لن يخلف الله وعده لأن قدرته لا حدّ لها . فهي مواعيده ، التي تقوم على قدرته ، مصدر كل امل للمسبيين .

ب . — انتظار المسيح . كان هذا الرجاء الوطيد بالعودة نعمة من الله عظيمة ، وإن كان ميعاد تحقيقه بعيدًا ومعالم مستقبله غامضة . الاّ ان الرجاء الأكبر لا يتوقف عند العودة بل يتعداها في آماله الى ما هو ابعد غايةً واسمى أمنية . ولقد كان حزقيال يرمي من وراء آياته الى ذلك المثل الأعلى الذي لن يشهد هو تحقيقه .

فالملكوت الذي سيبعثه الله سيجمع كلاً من مملكتي اسرائيل ويهوذا ، وسيعتلي عرشه ملك يحوز رضى الله ويكون ابناً لداود وملكاً لاسرائيل . ولن يكتفي الله بان يهب شعبه فيه رغد العيش ووفرة الاموال ، بل يعمل الله في داخل القلوب عمله ، فتنشأ ارض جديدة ، وهيكل جديد ، تسكنهما قداسة الله ، ولا يكون ليهوه من موطن غيرهما. هذه هي الخطوط الكبرى للبعث

المقبل ، ذلك الذي تتجاوز صورته الزمان الحاضر ، لتصبح رمزاً وعلامة لحقيقة المستقبل .

— بعث اسرائيل ويهوذا :

لن يقتصر البعث على مملكة يهوذا ، بل سيشمل ايضاً اسرائيل . لان المملكة التي كانت السامرة عاصمتها ، وقد انقرضت عام ٧٢١ ، كانت تضم رغم انشقاقها عشرة من اسباط الشعب المختار . وهو الشعب المختار كله عقد عهداً مع الله ، فنال مواعيده . ولن يكون فيما بعد بين ابناء ابراهيم من تمييز سوى بالايمان والوفاء .

وجاء حزقيال بلوحين من خشب يحمل الواحد اسم يهوذا ويحمل الآخر اسم يوسف ، وسمّرهما الواحد بالآخر وقال :

> هكذا قال السيد الرب : هانذا آخذ بني اسرائيل من بين الأمم الذين ذهبوا اليهم ، واجمعهم من كل جهة وآتي بهم الى ارضهم ، واجعلهم أمة واحدة (٣٧ : ٢١—٢٢) .

— عمل الله في هذا الملكوت :

سيكون الله راعي شعبه . لأن المسبيين لم يعانوا ما عانوا من شقاء السبي وبلائه الا بسبب ملوك يهوذا ورؤسائه (انظر ارميا ٢٣ : ١—٨) . فهم الذين فضّلوا مصالحهم الخاصة على تلبية دعوة الله والقيام بمهام رسالتهم :

> ويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون انفسهم !
> لقد نسوا ان مهمتهم تقوم باغاثة رعيتهم ، ولا سيما الضعفاء منهم :
> الضعاف لم تقووها ،
> والمريضة لم تداووها ،
> والمكسورة لم تجبروها ،
> والشاردة لم تردّوها ،
> والمفقودة لم تتطلّبوها ،

وانما تسلطتم عليها بقسوة وقهر (٣٤ : ٤) .

هذا الماضي الأليم الذي خيّب الآمال حدا الله على ان يأخذ بيده زمام شعبه كما فعل قديماً في سينا .

لن يعود للرعاة الاشرار مع شعب الله من شأن :

هاءنذا الى الرعاة ،
فأطلب غنمي من ايديهم ،
واكفّهم عن رعي الغنم ...
وأنقذ غنمي من افواههم ،
فلا تكون لهم مأكلاً (٣٤ : ١٠) .

وعلى كل فالحكم قد صدر ، والتنفيذ قد تمّ ، فهذا كله من شأن الماضي . اما جديد المستقبل فهذا هو :

هاءنذا انشد غنمي ،
وافتقدها انا ...
واخرجها من بين الشعوب ،
واجمعها من الاراضي ،
وآتي بها الى ارضها ،
وأرعاها على جبال اسرائيل...
انا أرعى غنمي (٣٤ : ١١ ، ١٣ ، ١٥) .

وعلى نور ما قاله حزقيال عن توبة الفرد، التي هي اساس التبعة الشخصية ، يرى ان الله يعمل عمله الفردي في كل نفس :

أتطلّب المفقودة
وأردّ الشاردة
وأجبر المكسورة
وأقوي الضعيفة (٣٤ : ١٦).

تذكرنا هذه الاقوال بمثل الراعي الصالح الذي سيتمثل به المسيح

يوماً (يوحنا ١٠) ، كما وتذكرنا بنوع اخص بالتطويبات التي تظهر عطف يسوع على جماعة اشقياء العالم الذين يتيهون في صحاري الارض كخراف لا راعي لها (مرقس ٦ : ٣٤) .

كيف نتصور عمل الله في شعبه هذا وفي كل فرد من افراد الملكوت الجديد ؟

علينا ، قبل كل شيء ، ان لا نهتمّ بالتصاوير المادية على الشكل الذي وردت فيه في الفصل السادس والثلاثين ، حيث نشهد مدناً تعجّ بساكنيها ، واشجاراً تغطيها الاوراق الخضراء والثمار اللذيذة ، وحقولاً خصبة تنبت كل زرع ، وارضاً تتحوّل جنة هي بجنة عدن اشبه .

لا نأخذنّ هذه الاوصاف مأخذاً حرفياً على شكلها الحسي المادي : إن هي الاّ تعابير قد ألفها الانبياء فهي من عالمهم ، من عالم الرؤى . وعلينا ان نرى فيها إطاراً جميلاً ، او ثوباً حسياً لا اكثر ، لما هو روحي لا يقع تحت الحواس .

لن تحول اذاً خيانة اسرائيل دون تحقيق خطة الله ووعوده ، يحققها بمحض جوده ومن تلقاء ارادته . ولسوف يهب قداسته من يشاء ، وستكون هذه منحته الخاصة للعهد الجديد :

وأنضح عليكم ماء طاهراً ،
فتطهرون ،
من جميع نجاستكم ...
وأعطيكم قلباً جديداً ،
واجعل في احشائكم روحاً جديداً ،
واجعلكم تسلكون في رسومي ،
وتحفظون احكامي وتعملون بها (٣٦ : ٢٥—٢٧) .

ولكي نفهم كيف ان الله سيعمل عمله في تغيير القلوب والعقول ، علينا ان نتمعّن في التشبيه الوارد في الفصل السادس عشر . فبعد ان عدّد

الله خطايا اسرائيل ، العروسة التي خانت رغم ما غمرها به من العطايا ، صرخ قائلاً : « ما كان أمرض قلبك ! » (١٦ : ٣٠) . ثم لا يلبث ان يذكر العهد ، فيقابل بين اسرائيل الذي نسي وبينه هو الذي لن ينسى .

واذكر انا عهدي معك في ايام صبائك وأقيم لك عهداً ابدياً (١٦ : ٦٠) .

لم ينسَ حزقيال التلميذ تعليم ارميا معلمه. في نظر كليهما هو عهد الله ذاته ، عهد سينا ، يمتدّ حتى الأفق البعيد عهداً يتجدد بواسطة الوسيط الجديد يسوع المسيح، رسول الآب ومعلنه .

ج. — ملك الملكوت الجديد :

مات صدقيًّا بعُيد سجنه . وخلفه يوياقيم الذي أسر عام ٥٩٧ وعاش في اسره حتى عام ٥٦٠ ، وبذلك تنقرض سلالة داود . اين اذاً عهود الله لداود ووعوده لسلالته ، بان يكون الى الابد سليل لداود على عرش يهوذا ؟

بعد ان أعلن الله انه سيرعى شعبه بنفسه، هوذا مشهد جديد آخر :

وأقيم عليهم راعياً واحداً ليرعاها عبدي داود ، فهو يرعاها ، وهو يكون راعيها . وانا الرب اكون لهم إلهاً وعبدي داود يكون في وسطهم رئيساً (٣٤ : ٢٣—٢٤) .

ويعود النبي بعد ذلك الى هذه المملكة الداودية :

... يكونون لي شعباً وأكون لهم إلهاً ، وعبدي داود يكون ملكاً عليهم ، وراع واحد يكون لجميعهم ... ويسكنون في الارض التي اعطيتها لعبدي يعقوب ،التي سكن فيها آباؤكم ، فيسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم الى الابد ، وداود عبدي يكون رئيساً لهم الى الابد (٣٧ : ٢٣—٢٤) .

بعد اعلان مملكة الله ، « انا ارعى غنمي » ، هوذا الوعد بسليل لداود ، كأن عمل الله المباشر سيقتصر على البعث والعودة من الاسر ،

فيما ان ملك سليل داود سيكون للعهد « المسيحي » .

ولا شك ان النبي قد رأى بعض الصلة بين الله الذي يرعى شعبه وسليل داود هذا . الاّ انه لم يرها بالوضوح الذي نراها به نحن ابناء المسيحية، الذين نقدّر قيمة المقابلة التي أقامها لوقا بين طرفَي الآية: «وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيه، والقدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا ١ : ٣٢ و٣٥) .

وعلى كل فلقد دعا يسوع سامعيه ، بالمثل الذي ضربه لهم وطبّقه على نفسه عن الراعي الصالح، ان يروا « المسيح » في شخصه .

د. — **اورشليم الجديدة** . ليس من السهل ان نميّز بين ما اراده حزقيال من بناء الهيكل الجديد وبين ما استشفّه خلال بناء الهيكل الجديد من بناء ملكوت الله على الارض . فهل الصلة بين الفكرتين كانت واضحة لديه ؟ هل بكلامه عن الهيكل عنى ايضاً الملكوت؟ وهل بالاوصاف التي وصف بها الهيكل الجديد رمز الى اوصاف الملكوت الجديد ؟ ام أشار فقط الى تجدد العبادة الداخلية والى انتعاش الحياة الروحية في العهد الآتي؟ لا شك ان الفكرتين كانتا لديه مندمجتين متداخلتين .

الاّ ان اهم ما ذكر من اوصاف الهيكل الجديد هو حضور الله فيه . فلقد شهد فيما مضى مغادرة الله الهيكل بعد ان انتهكت حرمته وتدنس (حزقيال ١٠ : ١٨—١٩) . ولذا فالمبنى الجديد سيكون مسكن الله ، وسيحل مجد يهوه فيه (٤٣ : ١—٥) . فهو الله حاضر في وسط شعبه، على ما وعدهم .

وهذه كلمة الكتاب الاخيرة اكبر دليل على ذلك : « واسم المدينة من ذلك اليوم : الرب هناك » .

ويقتضي حضور الله هذا قداسة كاملة ، تظهر على شكل حواجز مادية تعزل القدسيات عن الماديات ما امكن . وقد جاء رسم الهيكل على شكل قطاعات تتدرج من الادنى الى الاسمى : ففي الارض المقدسة تقوم

اورشليم ، وفي اورشليم الهيكل ، وفي الهيكل قطاع الكهنة ، فقطاع الهيكل ، فباحته الخارجية ، فباحته الداخلية ، فأقداسه ، فقدس اقداسه.

فكرة القداسة هذه توحيها ايضاً مراسيم العبادة وتبثها الطقوس الدينية ، التي لا غاية لها سواها .

وسيؤدي هذا التعليم حتماً الى التمسك بوحدة المعبد ، والى اقامة عبادة الناموس ، مما سيكون له اعظم الاثر في شد العرى وتقوية الروابط فيما بين افراد الجماعة اليهودية ، حتى يغدو شعب ما بعد العودة في عزلة تامة عن سائر الشعوب .

اثر حزقيال :

آ . — **اثره في اليهودية الفلسطينية .**

نستطيع ان نعدّ حزقيال بحق خالق النوع الادبي الذي نسميه بالرؤيا ، والذي يقوم على الصور العجيبة ، والرؤى المدهشة ، والاوصاف الشديدة ، والفواصل القاطعة تفصل بين الشعب المختار وسائر الشعوب الوثنية (٤٠—٤٨) ، واقحام الملائكة في الرؤى.

وظلّ ، وهو يقوم برسالة النبي ، كاهناً شديد التعلق بمراسيم العبادة. فكان لتعليمه عن القداسة الناموسية اثره الكبير في يهود ما بعد العودة ، فزادت الشقة اتساعاً بين اليهودية والوثنية ، ونشأ المجرى الفريسي الذي يجعل حضور الله رهين الطهارة الناموسية .

ب. — **اثره في العهد الجديد :**

لم يرد ذكره في الانجيل كثيراً . الاّ انه في اصل مثلين هامين : مثل الخروف الضال (لوقا ١٥) ، ومثل الراعي الصالح (يوحنا ١٠ ، وقد حذا حزقيال فيه حذو سابقه ارميا ٢٣) .

الاّ ان اثره كان عظيماً في كتاب الرؤيا . فلقد كان يوحنا صاحب الكتاب متشرباً من حزقيال ، يحذو حذوه في اسلوبه ، وفي صوره ،

وفي تعابيره . فعندما نقرأ وصفه للبلاط السماوي (رؤيا ٤ : ٢ — ٨) يتبادر الى خاطرنا فاتحة رؤيا حزقيال (حزقيال ١) . وعندما نقرأ عن الملائكة الذين اطلقت يدهم في البشر كيف كانوا يتجاوزون عبّاد الله الذين ختم على جباههم (رؤيا ٧ : ٢—٨) ، نذكر رؤيا مماثلة رآهـا حزقيال قبيل سقوط اورشليم (حزقيال ٩) . والامر الـذي صدر الى حزقيال (٢) بان يبتلع الكتاب صدر مثله بعدئذ الى يوحنا (رؤيا ٩). ومقاييس الهيكل الذي وصفه يوحنا (١١) تقارب مقاييس هيكل حزقيال (٤٠) . ووصَفَ يوحنا عرش الله والحمل بان منه « يخرج نهر ماء الحياة صافياً كالبلور ، وعلى جانبي النهر شجرة الحياة » (رؤيا ٢٢) ، وكان حزقيال قد سبق فرأى نهراً يخرج من تحت عتبة الهيكل الجديد فيحمل حيثما جرى الخصب والرخاء (حزقيال ٤٧) .

مقابلة بين رؤيا يوحنا وحزقيال

الرؤيا	حزقيال	الرؤيا	حزقيال
١:٧ =	٢:٧	٤ =	١؛ ١٠
٨—٢:٧	٤:٩	٧:٤	١:١٠؛ ١٤:١٠
٥:٨	٧—٢:١٠	٨—٦:٤	١٢:١٠
١٧	١٦؛ ٢٣	٦:٤	٢٢:١
١٨	٢٧—٢٦	٣:٤	٢٨:١
٣٠	٣٧	٩—٦	٣؛ ٢٤
١٠—٧:٢٠	٣٩—٣٨	٨:٦	٢١:١٤
٩:٢١	٤٧—٤٠		

ارشادات روحية :

آ . — في الليتورجيا :

لم تستخدم الليتورجيا حزقيال على نطاق واسع . فهي تقتصر منه

على ما ورد فيه عن الله راعي شعبه (٣٤)، وعن المسؤولية الشخصية الفردية (١٨) ، وعن عمل الله داخل النفوس (٣٦) ، وعن قيامة الموتى في رؤيا العظام اليابسة .

هذه الرؤيا النبوّة تقرأ في حفلات الفصح والعماد لتظهر لنا عمل الروح القدس الذي يحيي العظام وهي رميم ، وينفح الحياة المختارين فيدخلون ارض الميعاد الحقيقية ، اورشليم العليا ، ملكوت السماوات ، وهم مرتدون حلة العماد ، فيمثلون ، شعباً مقدساً مفتدى ، امام وجه العلي ، الذي يعد ويفي بوعوده .

ب. — في الحياة الشخصية :

— قداسة الله . — الله هو سيد الكل وضابط الكل والحاضر في كل مكان ، والبعيد عن الانسان كل البعد . وقد قبل ان يصير انساناً فارتدى طبيعتنا البشرية وأتى بها الينا حتى صار واحداً منا .

ولذا فخدمة الله تتطلب منا الانعزال ، ولا سيما الروحي ، كما تخلق بين من يقفون انفسهم عليها روابط من الغايات السامية وثيقة العرى .

— ادوات في يديه . — ليس الكتاب الذي ابتلعه حزقيال الاّ صورة للمهمة التي سيقوم بها ، مهمة تبليغ رسالة هي ليست منه بل من الله .

وليست رسالة كل منا ، حسب دعوته الخاصة ، الاّ مهمة نحن أدوات لها في يدي الله . هذا مصدر فخرنا وقوّتنا ورجائنا .

— هو رب الحياة والموت . — الله قادر على احياء الموتى. فـلا نفقدنّ الامل يوماً برجوع نفس خاطئة ، مهما ضلّت ، الى الله .

٣ . — القسم الثاني من اشعيا (٤٠—٦٦)

المجموعة :

يضم هذا القسم الثاني من اشعيا :

آ. كتاب تعزية اسرائيل (٤٠—٥٥، ما عدا ما يلي في ب) .

ب. اناشيد عبد يهوه (٤٢ : ١—٩؛ ٤٩ : ١—٧؛ ٥٠ : ٤—٩؛ ٥٢ : ١٣—٥٣ : ١٢) .

هذه الفصول الخمسة عشر يطلق عليها ايضاً اسم اشعيا الثاني .

المؤلفون :

ليس في اللاهوت ما يحول دون القول بان الله اوحى الى اشعيا ، وهو في القرن الثامن ، بما سيكون من امر جلاء بابل ؛ وبأن النبي قد وقف موقف المسبيين وتلاءم مع ذهنيتهم . فيكون هكذا اشعيا ذاته صاحب القسمين .

الاّ ان النقد الادبي يرى بين قسمَيْ اشعيا فوارق عديدة في الاسلوب والتعبير . حتى الفكر ذاته يختلف: ففي القسم الثاني نجد من الافكار ما لم يكن في عهد نبي القرن الثامن ، كما ان في القسم الثاني من اوصاف للحالة السياسية يومئذ ما لا ينطبق الاّ على زمن كورش ملك الفرس في القرن السادس .

قد يكون اذاً صاحب «كتاب التعزية» احد تلاميذ اشعيا (ثم جاء بعده الناقلون فكتبوه في عقب كتاب اشعيا) . وقد ساعد ولا شك على دمج الكتابين ما كان عليه ذلك الزمان من عادة اهمال وضع العناوين للكتب. الاّ ان الدمج قد حدث باكراً بدليل ان مخطوطات قمران ، التي سبقت المسيح بوقت قصير ، هي مطابقة لنصّ اشعيا الكامل الذي بين أيدينا .

اما خاتمة المجموعة فقد أتت ، نظراً لتنوع عناصرها ، على ايدي كتبة عديدين .

الاطار التاريخي :

بعد ما وحّد كورش شعوب الفرس (٥٥٩) ثار على مليكه استياج الذي كان ايضاً ملك مادان . وفي عام ٥٥٣ اصبح كورش ملك الفرس ومادان . ثم قهر كريسوس ملك ليديا في عام ٥٤٦ وضمّ اليه أراضيه . ولم يلبث ان استولى على بابل في عام ٥٣٨ .

إطار الكتاب التاريخي اذاً هو حول عام ٥٤٠ ، اذ كان بعثُ اسرائيل قريباً ، وبابل على وشك السقوط في حوزة كورش .

حالة المسبيين حول ٥٤٠ :

كانوا ، على ما يخبر عنهم كتاب التعزية ، على غير ما أحدثته فيهم نبوءات حزقيال في بادئ الامر من حالة . فكان اثر حزقيال العابر آخذاً بالزوال . وكان الخوف من الغالب يشتدّ فيهم ، ولربما لأن اسيادهم اخذوا يزدادون لهم إرهاقاً وعليهم قسوة :

من انتِ حتى تخافي من انسان يموت ،
ومن ابنِ بشر يصير كالعشب ؟ ...
وما زلتَ تتفزّع كل يوم من غضب المُضايق ،
اذ استعدّ للتدمير ... (اشعيا ٥١ : ١٢—١٣)

وأخذوا يشعرون وكأن الله ، على كل مواعيده لهم ، قد تخلى عنهم :

فلمَ تقول يا يعقوب
وتتكلم يا اسرائيل :
ان طريقي تخفى على الرب
ودعواي تفوت الهي ؟ (اشعيا ٤٠ : ٢٧)

ويشكون انهم اصبحوا بقية لا شأن لها :

لا تخف يا دودة يعقوب ،
ويا نفر اسرائيل . (اشعيا ٤١ : ١٤)

تكلم حزقيال عن الرجاء ، وعن البعث ، ولا يزال في عام ٥٤٠ يردد ذلك . الا انه يريد قبل كل شيء ان يتسامى بالنفوس الى الله ، الذي ليس لهم امام الاوثان من رجاء سواه ، وان يفتح للاعين الآفاق الجديدة الرائعة التي تنتظر شعب الله بعد المحنة التي يعانيها ، والتي هي على وشك الزوال .

الرسالة الروحية :

آ . قوام الرسالة : الله

١ . التحرير هو عمل الله وحده. ـ ان الله موضوع الرجاء تفعم به قلوب مواطني النبي ، وتنبض به كل كلمة من كتابه .

عزوا عزوا شعبي ، يقول الهكم .
خاطبوا قلب اورشليم ونادوها ،
بان قد تمّ تجندها
وغُفر اثمها .

هو مجد الله سيتجلى (٤٠ : ٥) . ولسوف يرحل رسول من بابل بالبشرى الى اورشليم . وقبل ان يدخلها سيرتقي جبلاً ويعلن بملء صوته ... وماذا يعلن ؟ ـ « هوذا الهكم » (٤٠ : ٩) .

بطل الاحداث اذاً ، رغم الظواهر ، ليس الملك كورش ، بل الله . وما كورش الا اداة بين يديه ، عامل يعمل دون ان يدري ، في بناء ملكوت الله (٤٥ : ١ ـ ٤) .

٢ . الخليقة هي عنوان قدرة الله . ـ مذ وعد الله ببعث شعبه لم ينفك النبي ينادي بهذا الوعد ويبشر بتحقيقه القريب . وهو يسنده الى ادلة يستوحيها من واقع الحال ومن المخاطر التي تكمن للمسبيين في آلهة بابل . وله على ذلك برهانان : برهان الخليقة ، وبرهان النبوءة .

فهو الله الذي وضع بقدرته نظام الخليقة على الصورة التي نراها :

من قاس بكفّه المياه ،
ومسح بشبره السماوات ؛...
ووزن الجبال بالقبان ،
والتلال بالميزان ؟ (اشعيا ٤٠ : ١٢)

وامام عبادة السماء والكواكب المنتشرة في بابل يعلن اشعيا بان الله هو باسط الارض ورافع السماوات ومسير الكواكب كجيش منظم (اشعيا ٤٠ : ٢١ وما بعدها) .

وليس الانسان ذاته بخارج عن قدرته ، او بقادر على الاعتراض على احكامه :

ويل لمن يخاصم جابله
وهو خزفة من خزف الارض .
أيقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟
او عملك ليس له يدان ؟ (اشعيا ٤٥ : ٩ . قابل روم ٩ : ٢٠)

ويأتي النبي الى النتيجة المحتمة : الى قيام الحرب بين الله والاوثان :

فبمن تشبهون الله ؟
وأي شبه تعادلونه به ؟ (اشعيا ٤٠ : ١٨)

فالوثن هو من صنع الايدي ، يعمله رجل يجوع ويعطش ، يستخدم لصنعه الخشب الذي به يتدفأ ، وعليه يخبز خبزه ، وربما عمد الى القطعة منه فأضرم النار في نصفها وجعل من النصف الاخر الهاً « ويسجد له » ، ويصلي اليه ويقول : انقذني فانما انت الهي (٤٤ : ١٧)

ليس الوثن اذاً شخصاً حيّاً . إن هو الا صورة :

لا يعلمون ولا يفهمون
اذ قد غشي على عيونهم لئلا يبصروا
وعلى قلوبهم لئلا يفهموا (اشعيا ٤٤ : ١٨) .

وستسقط بابل غداً ، وسيذهب الغالب بهذه الاوثان العاجزة محمولة على ظهور الدواب :

قد جثا بال ، وجثم نبو ،
وصارت اصنامهم على الوحوش والبهائم .
ان محمولاتكم ثقيلة ،
هي حمل شاق .
جثمت وجثت جميعاً
ولم تستطع ان تنحّي الحمل .
هي انفسها ذهبت الى السبي (اشعيا ٤٦ : ١—٢) .

٣. النبوءة ايضاً هي عنوان قدرة الله . — الغد بيد الله وحده ولذا فهو وحده اخبر بمجيء كورش ، وبعث بالبشرى الى اورشليم . اما الاوثان فلم تخبر بشيء . (اشعيا ٤١ : ٢٦—٢٧ ؛ انظر ايضاً ٤٨ : ٣—٨). وقد وضع النبي بفم الله قوله :

انا الاول وانا الآخر
ولا اله غيري .
ومن مثلي يدعو ويخبر بهذا ؟ (اشعيا ٤٤ : ٦—٧)

ولا عجب ان يعلن الله عن حوادث المستقبل قبل وقوعها ، فمقاليد التاريخ بيده . وما كورش ، الملك الوثني ، سوى راع له ، او بالاحرى « مسيحه » (اشعيا ٤٥ : ١)

٤. ما اشبه كلمة الله بشخص !

وأما كلمة الهنا فتبقى الى الابد (اشعيا ٤٠ : ٨).

(انظر ايضاً اشعيا ٥٥ : ١٠ — ١١ وقابل مع امثال ٨ : ٢٢—٣١، ومع العهد الجديد في كولوس ١ : ١٥ ، وفي مقدمة انجيل يوحنا) .

ب. هي رسالة عامة

١. مكانة اسرائيل الممتازة . — الله هو المخلص والفادي ، وقدوس

اسرائيل ، وقوي اسرائيل ؛ واورشليم هي مدينته ؛ والاسرائيليون بنوه وبناته . ولا يزال اسرائيل ، على خياناته العديدة ، عروس الله:

أين كتاب طلاق امّكم
الذي سرّحتُها به ؟ (اشعيا ٥٠ : ١)

لقد اعلن الله لاسرائيل ، كما اعلن لموسى ، كما اعلن لارميا : « لا تخف فاني معك » (اشعيا ٤١ : ١٠) . وهو يلحّ برقة وحنان :

لا تخف فاني قد افتديتك .،
ودعوتك باسمك : انك لي .
اذا اجتزت في المياه فاني معك ...
واذا سلكت في النار فلا تُلذع ...
لاني انا الرب الهك .
قدوس اسرائيل مخلصك (اشعيا ٤٣ : ١—٣) .

ويسرد الله حوادث تاريخ شعبه منذ البدء ، فيذكر ابراهيم وساره اللذين باركهما وكثّر نسلهما ذكرَ محبة . الا ان ذكرى الخروج تعود دائماً على لسان الله . فهي المثال ، على منواله سيحرر اسرى السبي . وكما فجر عيون الماء في الصحراء سيفجر الينابيع للعطاش الذين لصقت ألسنتهم بحلوقهم:

فجّر لهم المياه من الصخر
شقّ الصخر ففاضت المياه (اشعيا ٤٨ : ٢١).

٢. امتياز اسرائيل يمتد الى العالم كله . — ان النظر ليتجاوز اسرائيل خلال هذه الصفحات الى سائر شعوب العالم .

لن يكون الناموس لاسرائيل وحده ، بل سيضيء نور وصايا الله على كل الشعوب (اشعيا ٥١ : ٤) . وتتكرر كلمة البقية الباقية من الشعوب ، كما كانت تتكرر عند الانبياء الاقدمين كلمة البقية الباقية من اسرائيل . فلم يعد الخلاص عطية خاصة لاسرائيل ، بل اصبح عطية مجانية لكل الشعوب :

ايها العطاش جميعاً هلموا الى المياه
والذين لا فضة لهم ...
ها انك تدعو أمّة لم تكن تعرفها
واليك تسعى امّة لم تكن تعرفك
لأجل الرب الهك
وقدوس اسرائيل الذي مجّدك (اشعيا ٥٥: ١ و ٥).

لن يفلت من يد الله قطر ، ولا جزيرة نائية ، حتى اقاصي الارض (اشعيا ٤٢: ١٠؛ ٤١: ٥).

لم يعد الكلام عن الهيكل ، ولا عن بيت داود . فاورشليم ذاتها هي في فرح لانها ترى لها اولاداً لم تلدهم :

وسّعي موضع خبائك
ولتُبسط شقق مساكنك .
لا تُمسكي : طوّلي اطنابك ،
وثبّتي أوتادك ،
فانك تتبسطين الى اليمين والى الشمال ،
ويرث نسلك الامم
ويعمّر المدن الخربة (اشعيا ٥٤: ٢-٣) .

اناشيد عبد يهوه :

آ . **مكانها من المجموعة .** — تؤلف اناشيد عبد يهوه الأربع وحدةً متماسكة تتصل بكتاب تعزية اسرائيل اتصالاً بيناً . ومع ذلك فهناك من اختلاف الافكار ما يدل على ان هذه الاناشيد قد وضعت على حدة ، وكأنها مستقلة عما سواها .

ويبدو ان واضع الصيغة الاخيرة من الكتاب قد انتبه الى ما يوجد

بين هذه الاناشيد وبين سائر الكتاب من تباين فعمل على ادماجها فيه بأن خفف من غلوائها ولين من قوتها ليجعلها في مستوى عقلية معاصريه .

ب. **المؤلف** . — لا سبيل الى معرفة صاحب هذه الاناشيد . وعلى كل فهو ليس بمجدد مبدع ، للاسباب التالية :

عندما يصف عبد يهوه بانه «نور الامم»، فانه يذكرنا باشعيا ٨:٢٣ و ٩:١ .

وعندما يصفه بانه اشبه بفرخ شجرة (٥٣:٢) فانه يذكرنا بقول اشعيا :

ويخرج قضيب من جذر يسى
وينمي فرع من اصوله (اشعيا ١١:١) .

عبد يهوه هذا يشبه من وجوه كثيرة شخصية ارميا وتعليمه وحياته .

هذا الشبه بين عبد يهوه وبين ارميا يزداد مع القسم الثاني من اشعيا . فاننا واجدون في كل منهما اوجه الشبه التالية :

— ذراع الله : اشعيا ٤٠:١٠ و ٥٣:١
— تمجيد الله بتمجيد عبده : ٤٤:٢١ — ٢٣ و ٤٩:٣
— رضى الله عن عبده : ٤١:٨ و ٤٢:١
— انتشار ديانة التوحيد بين الوثنيين : ٥١:٤—٥ و ٤٢:١—٤
— تقديس اسرائيل عن يد الله : ٤٥:٢٥ و ٥٣:١١

ج . **شخصية عبد يهوه** . — رأى بعضهم في عبد يهوه هذا اسماً رمزياً للشعب الاسرائيلي ، الذي سيتطهر ويتبرر بواسطة آلامه .

هذا الرأي لا يتفق وبعض ما ورد من الاقوال مما يلي :

جبلني من البطن ...
لأرد يعقوب اليه ،
فيجتمع اليه اسرائيل (٤٩:٥) .

هو اذاً شخص فرد لا جماعة . ولكن من هو ؟ لقد حامت الشبهات اكثر ما حامت حول موسى وارميا .

والحقيقة هي ان هذا الشخص هو شخص في المستقبل لا في الماضي ، وإن استعيرت في وصفه بعض صفات لارميا .

وعلى كل فلقد رأت المسيحية فيه العبد الامثل والخادم الاوفى لله ، يسوع المسيح ، الذي طبق هو على نفسه هذه الشخصية وحقق ما ورد عنها من النبوءات .

وفيما يدور الكلام في سائر اجزاء مجموعة اشعيا حول شخص معنوي جماعي هو اسرائيل ، يدور الكلام في اناشيد عبد يهوه حول شخص فرد معين يسميه « البار ».

هو هذا البارّ ذاته عبد يهوه .

ذلك الذي يخلصه الله من العذاب (٥٣ : ١) ؛ والذي يمجده الله لأنه هدى الشعوب (٤٩ : ٣؛ انظر ٤٤ : ٢٣) ؛ والذي اختاره الله من جوف امّه ، كما فعل بارميا (٤٩ : ١؛ انظر ٤٣ : ١ و ٤٤ : ١)؛ والذي اخيراً سيأتي شعوب العالم بالخلاص (٥٣ : ١١).

ليس لدينا في العهد القديم كله من يضاهي هذا الشخص مكانةً وتعليماً ورسالة . انه مبعث تعليم روحي .

لقد عنى اشعيا بعمل التبرير الذي اطلقه على اسرائيل في ٤٥ : ٢٥، الخلاص الديني والسياسي في آن واحد . اما عمل التبرير الذي نحن بصدده في اناشيد عبد يهوه (٥٣ : ١١) فانه يعني فقط الخلاص من الخطيئة . لأن الخطيئة تسبب اسراً روحياً ، وسيكون خادم يهوه نوراً للعميان المقيمين في الظلمة ، وخلاصاً للاسرى المقيمين في السجون (٤٢ : ٧) .

والخطيئة هي ، علاوة على ذلك ، الابتعاد عن الله . فالخاطئ يتيه في طرق الغواية والضلال بعيداً عن الله (٥٣ : ٦).ولن يخلص الاسرى برجوعهم فقط الى ارض الميعاد ، بل ايضاً برجوعهم الى الله .

لا يأتينا خلاص التبرير اذاً الا من داخلنا . وليست اليد الطولى فيه لا لاسرائيل ، ولا لأورشليم . فالمطامح الوطنية ، التي لا تزال ظاهرة هنا وهناك في كتاب التعزية (٤٤ : ٣ — ٥ ؛ ٤٥ : ١٤ — ١٥) ، لم يبق لها من اثر في اناشيد عبد يهوه ، لتحل محلها النزعة العمومية الشاملة. وكأن صاحب الاناشيد قد خرج من نبوءة ارميا عن خراب اورشليم بالنتيجة المرغوبة (انظر ايضاً اشعيا ٤٥ : ٢١ — ٢٤) . فمنذ الآن فصاعداً سيكون لموقف النفس وحده الكلمة الفصل . فاذا كانت النفس صالحة مستقيمة وجدت الله . وسوف يكون لاستعدادات النفس شأنها ، فتدور المواعظ والارشادات عليها ، لا على ميزة العنصر او الجنس او الديانة . وما عانى عبد يهوه من الاضطهاد والتنكيل ما عانى الا لأنه نحا في رسالته هذا المنحى الروحي .

لا يقوم انتصار الله اذاً بانتصار اسرائيل على مضطهديه من اعدائه بل بانتصار كل نفس مستقيمة على مضطهديها من الخطايا . وإن ما مني به عبد يهوه في رسالته من ظاهر الاخفاق انما هو خطة مرسومة من الله يحقق بها مآربه عن طريق عذاب هذا الانسان البار .

د. **دور عبد يهوه** . — ميزة هذه الشخصية الفريدة من نوعها في العهد القديم كله انه البار ، القدوس ، الذي يتألم ، وبالألم يكفّر عن الناس ويشفع لهم .

انه البار وحسب . لأنه يحمل تبعة خطايا الاخرين دون ان يقترف خطيئة (٢ كور ٥ : ٢١).

يتم هذا التكفير عن طريق البذل والكفالة . كانت هذه الفكرة في مضمون قانون افتداء أبكار الاسرائيليين (الاحبار ٤—٥).الا ان الفكرة هنا ، في اناشيد عبد يهوه ، ترتقي الى مستوى روحاني سام . فهو عبد يهوه يضحي بذاته في سبيل الخطأة جميعاً ، وثنيين كانوا ام اسرائيليين . فتكون النتيجة :

جُرح لاجل معاصينا
وسحق لاجل آثامنا ...
يبرر الصدّيقُ عبدي كثيرين (اشعيا ٥٣ : ٥ ، ١١).

وتأتي هذه الكفارة بالخلاص من الخطيئة ، ذلك الخلاص الذي يتم بالقداسة الحقيقية ، بالرجوع الى الله .

واذا ما قابلنا الفصل الثالث والخمسين من اشعيا مع ما نعرف من التعليم الذائع يومئذ عن الثواب والعقاب في هذا الدهر ، ندرك عمق هذه الفكرة ، فكرة الكفارة والخلاص بالعذاب ، ومبلغ ما بلغ اليه الوحي في تدرجه بالحقائق .

تعليم جديد ، تعليم ابى معاصري يسوع تطبيقه على « المسيح » ، لما وجدوا فيه من عجب ، وقد كان للرسل تجاه آلام معامهم وموته سبب شك وعثرة .

ليست فكرة ذبيحة عبد يهوه بمستقلة عن فكرة « المسيح بن داود » . الا انها تفتح آفاقاً جديدة ، فتنبئ بالخلاص العام الشامل ، حتى أقاصي الارض ، حتى « الجزر » ، وتنتظر الناموس ، يأتيها به عبد يهوه ، «فينشر العدل بين جميع الشعوب » (٤٢ : ١—٤) .

عبد يهوه اذاً هو ايضاً معلم الحكمة . فهو يسعى الى الاقناع لا الى الاكراه (٤٢ : ٣) ، وسوف يخلّص الكثيرين بتعليمه. وقد ارسله الله الى الشعوب الوثنية ليحمل اليها ديانة التوحيد .

ولذا فهو بمثابة وسيط لعهد يعقد مع البشرية كلها :

جعلتك عهداً للشعب ونوراً للامم (اشعيا ٤٢ : ٦) .

وسيلقى عبد يهوه من المجد ما لم يلقه احد ، نتيجة لما قام به من عمل:

لأجل عناء نفسه يرى ويشبع
وبعلمه يبرّر الصدّيقُ عبدي كثيرين ....
فلذلك اجعل الكثيرين نصيباً له ،

والاعزاء غنيمته . (اشعيا ٥٣ : ١١–١٢)

كانت كتب الحكمة ، تمشياً مع التعليم التقليدي ، تمنّي رجلَ الحكمة بخلود الاسم وحسب . اما هنا فان عبد يهوه سيخلد حقاً في حياة لا تنتهي :

فانه اذا جعل نفسه ذبيحة إثم
يرى ذرية ، وتطول ايامه . (اشعيا ٥٣ : ١٠)

هذا التناسق الذي تم هنا بين فكرة « المسيحية » وبين هذا التعليم الروحي سوف يعود اليه يوماً كتاب الامثال (١ — ٩).

الخلاصة :

أسبغ العهد القديم هنا ، في بضع صفحات ، على شخص عبد يهوه ، كل ما جمعه طوال تاريخه من ثروة ، فسما به الى روحانية فائقة ، وخصه بدور عجيب رائع . فهو النبي ، والوسيط ، ومعلم الحكمة ، والبار . وقد انكره مواطنوه لأنه نزه فكرة الخلاص عن كل شائبة مادية ، ولم يميز بين نفس ونفس . ولذا فقد قدم ذاته ذبيحة تكفير وفداء ، كانت للبشرية كلها سبيل الخلاص ، وكانت له سبيل الخلود وسبب ذرية لا تحصى .

هو يسوع المسيح ابن الله قد حقق بالتمام هذه النبوة التي بها بلغ العهد القديم ذروته .

العهد في الصبر والانتظار

مقدّمة

الحياة الدينية :

هذه الحقبة هي حقبة الكيان اليهودي الذي به يختتم العهد القديم تاريخه بالمسيح .

هي ، بالحقيقة ، حقبة تهيئة للعهد الجديد بمقدار ما هي حقبة اختتام للعهد القديم . والوسط الديني في تلك الحقبة ، ولا سيما في السنين الاخيرة منها ، هو الوسط الذي سيولد فيه المسيح ، والذي سيكون فيه للفريسيين والصادوقيين من الاثر ما أخذنا نراه لهم بوضوح منذ النصف الاول من القرن الثاني قبل المسيح .

في هذا الوسط بوجهيه الاثنين من الممارسات الخارجية والروحانية الباطنية ، ستنشأ شخصيات الانجيل . فللفريسيين والصادوقيين وجهه الاول . فهم « لا يحتاجون الى توبة » بل بالاحرى « يشكرون الله على انهم ليسوا كسائر الناس ... ولا كهذا العشار ... » . ووجهه الثاني لسواهم ، من امثال زكريا واليصابات ويوسف ومريم . فهؤلاء هم ابناء ابراهيم الحقيقيون ، الذين يعبدون الله بالحق والروح .

لم يبلغ القوم مبلغهم هذا بين عشية وضحاها . فلقد انقضى بين العودة من الاسر ومجيء المسيح زهاء خمسة قرون ، تقلب فيها العائدون شتى التقلبات ، وتعرض فيها ايمانهم بالله وتمسكهم بناموسه الى اخطار الوثنية اليونانية وفتنتها . حتى الحرية انقلبت احياناً وبالاً عليهم ، فهناك من يرى ان السيطرة الاجنبية في زمن الاسر كانت لهم عوناً من قبل الله على حفظ صفاء الايمان وحيويته .

الا اننا نرى بجانب ذلك حركة ازدهار جديد في الوحي . فأخذ الكتبة يجمعون ارث الآباء ويدونون حكمة الاجيال وقد طبعوها بطابع ديانة التوحيد ، وبلغوا بها مبلغها من النضوج والكمال . وآخر كتاب ملهم كان «كتاب الحكمة». ولهذا الكتاب روابط فكرية عديدة بانجيل يوحنا ورسائل القديس بولس .

لم تقتصر النهضة التي هي مفخرة الشعب اليهودي على المجال العقلي ، بل تعدته الى مجال الحياة العملية ، فرسخ الايمان فيما بينهم ، وأدوا في حروب انطيوخوس ابيفانيوس شهادة الدم ، فكانوا طلائع الشهداء المسيحيين .

واخذ الايمان اليهودي يسعى الى الانتشار ، واخذت الكتب المقدسة تجوب البلاد وتتداولها الايدي ، وقامت حركة رسالة خارج فلسطين عملت على كسب الاتباع الجدد .

وخمد نهائياً صوت الانبياء الذين تكلموا عن « الازمنة المسيحية » . الا ان الرجاء لم يخمد في قلب اسرائيل ، وما كانت المحن الا لتزيده اضطراماً : متى سيأتي « ذلك الآتي » ؟ متى ستنطلق الاصوات بصرخات « مبارك الآتي باسم الرب » ؟

اننا الآن لعلى ملتقى الطرق بين العهدين القديم والجديد. وكأن القديم يستجمع كل قواه لينطلق الانطلاقة الاخيرة قبل ان يزول . والروح القدس يبعث في النفوس ولا شك بفيض من انواره ليعدّها لاقتبال تعليم العهد الجديد .

لا يسير التقدم مع ذلك في هذه الحقبة سيرًا متواصلاً مطردًا . والقمة التي بلغتها اناشيد عبد يهوه لن يبلغها بعدها بالغ . الا ان هنا من التحقيقات ما يعد تقدماً راهناً ، وإن وقعت ردّات عابرة ونكسات جزئية هنا وهناك .

علينا الآن ان نتتبع خطى الله عبر سني هذه الحقبة ، متحرّين ما قام به من عمل في كل مجال وزمان .

الوسط التاريخي العام:

١ . **مرسوم كورش** . — احتلت جيوش كورش مدينة بابل في السادس عشر من تشرين عام ٥٣٩ . وما لبث الفاتح ان اعرب عن عزمه باطلاق كل الاسرى المسبيين ليعودوا الى بلادهم ويعبدوا آلهتهم بمقتضى شرائعهم .

وقد حفظ لنا كتاب عزرا نص المرسوم الذي اصدره كورش عام ٥٣٨ بشأن اليهود .

هكذا قال كورش ملك فارس :

« جميع ممالك الارض قد اعطانيها الرب اله السماوات ، واوصاني بان ابني له بيتاً في اورشليم التي بيهوذا . فمن كان منكم من شعبه اجمع فالهه يكون معه ، فليصعد الى اورشليم التي بيهوذا ويبن بيت الرب اله اسرائيل ، وهو الاله الذي في اورشليم . وكل من بقي في احد المواضع حيث هو متغرب ، فليمدده اهل موضعه بالفضة والذهب والمال والبهائم ، فضلاً عما يتطوّعون به لبيت الله الذي في اورشليم » (عزرا ١ : ٢—٤ ؛ قابل مع ٢ اخبار ٣٦ : ٢٣) .

٢ . **اثر الاحداث الخارجية في حياة العائدين الدينية** . — بعد ان عادت الجماعة اليهودية الى ارض الوطن ظلّت حياتها الدينية رهينة الاحداث التي طبعت تاريخها الخارجي بطابعها .

آ . لم يجد الاسرى العائدون ارضَ الميعاد خاليةً من السكان اليهود. فلقد بقي في اورشليم وضواحيها اسرائيليون عديدون ظلوا يمارسون عاداتهم ، ويحتفظون بالقليل الذي بقي في ايديهم . وقد احتل بعضهم حقول المسبيين وبيوتهم ، مما ادى ، حين عاد الجيل الجديد من الاسرى ، الى مشاكل مادية لا تحصى .

اما الذين لم ينزحوا عن البلاد فقد ظلت حياتهم الدينية ضئيلة . لدينا على ذلك المثل الذي ضربه ارميا عن التينة (٢٤) . فلم يكن بدّ من

اصطدام يقع بينهم وبين هؤلاء العائدين الذين طهرتهم المحنة ، وانعشت الآلام ايمانهم .

ويشتد التباين بين الجماعتين بسبب الجوار مع السامريين الذين شابت دياناتهم شوائب من الوثنية لا يقبل بها رجالٌ مثل رجال العودة صفت عقيدتهم وسمت مبادئهم .

ب. طرأ على حياة ما قبل الجلاء تغييرات جوهرية . فزال الاستقلال الذي نعم به اليهود قروناً طويلة ، واصبحت الحياة الوطنية بأيد اجنبية تشرف عليها عن كثب فتطبعها بطابعها . فكورش لن يدوم ولا سلالته ، وذو القرنين لن يلبث ، بعد ما يبطش بالفرس ويبني امبراطوريته ، ان يترك المسرح لخلفائه من بني لاغوس والسلجوقيين والانتيغونيين يتقاسمون أسلابه. وها هو النسر الروماني يرفرف على تلك الممالك اليونانية على وشك ان ينقض عليها ، فيحتل الشاطئ الغربي من البحر الابيض المتوسط ، ثم يلقي يداً على مقيدونيا ويداً اخرى على آسيا .

ولا غرو ان يسلك كل من هؤلاء الملوك الغزاة سياسته الخاصة فيتأثر اسرائيل بها .

ج. هذا التمازج والاختلاط بين الشعوب ، وهذا الاحتكاك الطويل بمدنيات زاهرة عامرة ، كان له اثره العميق في حياة اسرائيل العقلية والأدبية والدينية. واننا لنجد في الفكر اليهودي لتلك الحقبة عناصر جديدة عديدة تمت بصلة قريبة او بعيدة الى الآداب الاجنبية . الا ان الديانة الموسوية كانت متأصلة في شعب سينا كالزرعة القوية . فهي ما انفكت تنمو وتقوى مدى الحقب . وما انفكت ايضاً ، لما فيها من قوة وحيوية ، ولما اتصفت به من جوهر فريد وطبيعة خالصة ، تتغذى بما تجد حولها من افكار ، وتستعمل حتى الالفاظ الوثنية ذاتها ، ثم تظل هي هي لا تفقد شيئاً من شخصيتها . هذه العناصر المختلفة التي استقتها مما حولها نجدها سواء في المزامير ، ام في الامثال ، ام في مشكلة العذاب والثواب .

ونلمس هنا لمس اليد ، مرة اخرى ، النهج الذي ينهجه الله مع شعبه ، نهج التدرج في سبيل التقدم والكمال .

اهم احداث هذه الحقبة

التاريخ	الاحداث السياسية	الحياة اليهودية الدينية	الكتب المقدسة المعاصرة
		١. الحقبة الفارسية	
		(٣٣٣-٥٣٨)	
٥٣٨	مرسوم كورش		
٥٣٧		قافلة العودة الاولى بقيادة زربابل	
		اي ششبصر	
٥٢٢		القافلة الثانية (؟)	
٥٢٠		حجاي	
		زكريا	
٥١٥		الانتهاء من اعادة بناء الهيكل	في القرن الخامس :
			الامثال
٤٥٠		ملاخيا	ايوب
٤٤٥		رسالة نحميا الاولى	يونان
٤٢٥		رسالة نحميا الثانية	راعوت
٣٩٨		عزرا في اورشليم	نشيد الاناشيد
٣٣٣	الاسكندر يتغلب على داريوس في معركة ايسوس		
		٢. الحقبة اليونانية	
		(١٤٣-٣٣٣)	في القرن الرابع :
٣٣٠		آ. حكم بني لاغوس البطالسة في مصر	عزرا
		بناء هيكل غريزيم المنشق	نحميا
			اخبار الايام : الاول والثاني
اواخر الرابع		ترجمة الكتاب المقدس الى اليونانية	في القرن الثالث :
		(الترجمة السبعينية)	الجامعة

التاريخ	الاحداث السياسية	الحياة اليهودية الدينية	الكتب المقدسة المعاصرة
٢٠٠	معركة البانيون انتصر فيها انطيوخوس الثالث ملك سوريا فانفتحت له كل فلسطين	ب. حكم السلاجقة في آسيا	في القرن الثاني : يشوع بن سيراخ استير طوبيا دانيال يهوديت
١٦٨	اضطهاد انطيوخوس الرابع ابيفانيوس		
١٦٦		ثورة المكابيين	كتاب المكابيين الثاني
١٥١		يوناتان ، الكاهن الاعظم ، يتقلد السلطة السياسية	
١٤٣	اعفاء اليهود من الجزية		
		٣. حقبة الاستقلال (١٤٣ – ٦٣)	
١٠٨	فتح السامرة وهدم هيكل غريزيم		في القرن الاول : كتاب المكابيين الاول
٩٠	ثورة الفريسيين على اسكندر يانيوس	انشاء جماعة الأسينيين .	الحكمة
٦٣		بمبيوس يفتح القدس	
		٤. الحقبة الرومانية (من ٦٣ حتى المسيح)	
٤٠	روما تعترف بهيرودس ملكاً على اليهودية		

الفصل الاول

تعزيز الكيان اليهودي
تحت حكم فارس
(٥٣٨ - ٣٣٣)

المصادر :

١ . الكتب المقدسة :

الكتاب الاول والثاني من اخبار الايام . — قام احد رجال الهيكل الذي يطلق عليه اسم المسجل فسجل بين عام ٣٥٠ و ٣٠٠ مجموعة تاريخية مؤلفة من كتابي اخبار الايام، ومن ملحق لهما مؤلف من كتابي عزرا ونحميا .

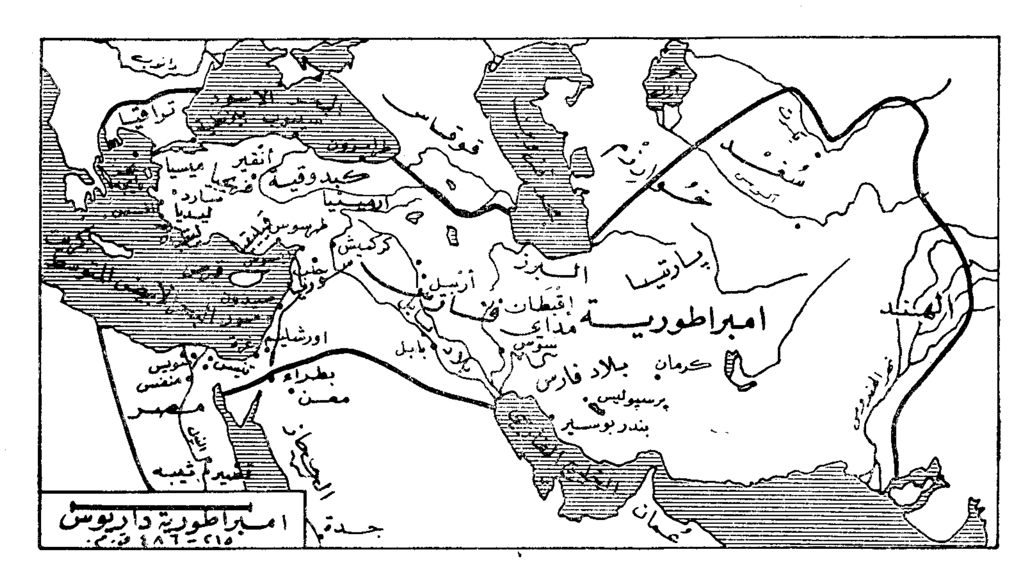
ليست هذه الكتب بتاريخ تلك الحقبة السياسي بقدر ما هي صورة لعقلية العائدين الدينية .

كتابا عزرا ونحميا . — يرسمان لنا صورة تاريخية عن بدء البعث .

هي مجموعة ذات قيمة تاريخية كبيرة تشتمل على وثائق للادارة الفارسية ووثائق من خزانات الهيكل ، وذكريات لشخصين راويين .

والافضل ان نقدم كتاب نحميا على كتاب عزرا . وبذلك نلقي على الامور نظرة اصح ، ونحلّ ، ولو بعض الحل ، ما لا سبيل على غير هذه الصورة الى حله .

حجاي ، زكريا ، ملاخيا . — تقدم الكلام عن هؤلاء الانبياء .



٢ . الكتب الاخرى :

الكتاب الثالث لعزرا . — هذا الكتاب الذي تقدم في الترجمة السبعينية على كتاب عزرا ، هو كتاب منحول وضع في القرن الثاني قبل المسيح ، يضم مجموعة من الاخبار لراوية من الرواة . الا انه لا يخلو من قيمة تاريخية .

مخطوطات آرامية لجزيرة الفنتين (Elephantine) .— هي وثائق ادبية وادارية تبلغ الستين كتبت على ورق البردي بالآرامية ، وقد جرى اكتشافها بين ١٩٠٣ و١٩٠٦ . انها تطلعنا على احوال اليهود القاطنين في مصر على النيل قبل القرن الخامس قبل المسيح .

كتب هؤلاء اليهود الى اورشليم يطلبون ، بعد انهيار الهيكل الذي بنوه في جزيرة الفنتين ، السماح لهم بتجديده . ولما لم يحظوا بجواب أرسلوا طلباً آخر في تشرين من عام ٤٠٨ الى كهنة السامرة .

★

أهم مميزات هذه الحقبة :
١. تعليم الانبياء الأخيرين .
٢. عبادة الكتاب المقدس .
٣. اقامة صلوات المزامير.
٤. نشأة ادب الحكمة .

١ . — تعليم الانبياء الآخرين

بعد استعدادات طويلة شدت قافلة من المسبيين راحلة الى فلسطين في ربيع عام ٥٣٧ .

وكان على رأس القافلة رجل اسمه زربابل، هو ولا شك ششبصّر ذاته ، مع يشوع رئيس الكهنة الذي هو ابن آخر رئيس للكهنة في اورشليم ، وقد قتله نبوكدنصر (٢ ملوك ٢٥ : ١٨ — ٢١).

كانت القافلة تضم حوالى اربعين الفاً (عزرا ٢ : ٦٤ ؛ نحميا ٧ : ٦٦). وقد بقي كثير من اليهود في بابل لأسباب عديدة منها قلة المبالاة، والحرص على ما جمعوا في ارض المنفى من ثروة ، والأمل بمساعدة من ينزح الى الوطن ومدهم بالنفوذ والمال .

وانطلقت القافلة تحدوها ترانيم الآيات الحماسية :

أعدوا في البرية
طريق الرب ،
واجعلوا سبل الهنا
في الصحراء قويمة .
كل واد يمتلئ ،
وكل جبل وتل
ينخفض ...
ارفعي صوتك بقوة
يا مبشرة اورشليم ،

ارفعيه ولا تخافي .
قولي لمدائن يهوذا :
هوذا الهكم . (اشعيا ٤٠ : ٣ — ٤ و ٩)

وبلغت القافلة فلسطين في الصيف ، وتوزعت في البلاد تحتل كل ارضها. الا ان الوثائق تتكلم فقط عن اورشليم والضواحي .

وبادر العائدون الى بعث العبادة بغيرة مقدسة .

وكان اول ما قاموا به بعد ان استقر بهم المقام ان بنوا مذبحاً للمحرقات حتى تقدم عليه الذبائح دون انقطاع .

الا ان الصعوبة كانت في اعادة بناء الهيكل وقد مضى على خرابه خمسون عاماً .

وهب السامريون يريدون ، لسبب نجهله ، ان يساهموا في البناء . فأبى عليهم اليهود ذلك لما كانوا عليه من فساد الدين. ووقع الاختلاف بين الصفوف، ونشبت الخصومات والعداوات (عزرا ٤ : ٤ — ٥) وتوقف العمل . ولن يعودوا اليه الا بعد خمسة عشر عاماً اي حوالى عام ٥٢٠ . اما الآن فقد دب اليأس الى القلوب، لا سيما وقد جرّت عليهم حملة قمبيز على مصر عام ٥٢٥ ويلات الحروب المعتادة .

وجاءتهم حوالى ٥٢٢ (؟) قافلة ثانية بالعون والمدد . الا ان اكثر ما كانوا بحاجة اليه يومذاك كلام نبوي يبعث الهمم ويشدد العزائم وينير السبيل .

حجاي :

وفي اليوم الاول من تشرين لعام ٥٢٠ قام حجاي خطيباً في القوم اثناء احتفال ديني ، فانهال عليهم تقريعاً على توانيهم في بناء بيت الله:

أفحانَ لكم
ان تسكنوا في بيوتكم المسقّفة
وهذا البيت خرب ؟...

هكذا قال رب الجنود :
وجّهوا قلوبكم الى طرقكم ،
اصعدوا الى الجبل واتوا بالخشب
وابنوا البيت ،
فأرضى به واتمجد ، قال الرب . (حجاي ١ : ٤، ٧، ٨)

وأخذت ألسنة السوء تذكر ما كان للهيكل القديم من رونق وبهاء . فما ابعد هيكل الغد عن هيكل الامس ، لا سيما والمعدات غير متوفرة والامكانات ضعيفة . وما كانت هذه الروح الا لتثبط العزائم وتخمد الحماسة . واذا بحجاي يعود بعد شهر الى الكلام ، فيكشف عما سيكون للبناء الجديد من شأن ، اذ ستشرق عليه « الازمنة المسيحية » :

من الباقي فيكم ،
الذي رأى هذا البيت في مجده الاول ؟
وكيف ترونه الآن ؟
أليس هو في عيونكم كلا شيء ؟
فالآن تشدَّد يا زربابل ...
وسيكون مجد هذا البيت الاخير
اعظم من الاول . (حجاي ٢ : ٣ — ٤ ، ١٠)

لقد كان حجّاي ، بما بذل في سبيل الهيكل من جهد ، سليل حزقيال ووريث رسالته .

زكريا :

وقام زكريا في الوقت ذاته واعظاً في عمال الهيكل يحرضهم ويشدّد عزيمتهم . وسيظل حتى عام ٥١٨ يكلمهم عن اورشليم الجديدة مهبط البركات السماوية ومقر العلي :

رنمي وافرحي يا بنت صهيون ،
فهاءنذا آتي واسكن في وسطك (زكريا ٢ : ١٠) .

اقوال هذين النبيين في بناة الهيكل تكوّن الفصول الثمانية الاولى من المجموعة . ولقد كان لها مفعولها ، اذ انتهى بناء الهيكل في عيد الفصح من عام ٥١٥ (عزرا ٥ — ٦) .

لزكريا ، كما لمعاصره حجاي ، روابط وثيقة بالعالم الكهنوتي ، على نحو حزقيال . وله نبذة عن الملائكة (توطئة لدانيال) ، وأوصاف من نوع الرؤيا تذكّر بحزقيال .

وأضاف مضيف ، بعد قرنين ، آيات اخرى الى مجموعة زكريا ، وقد رأى ما رأى حجاي قبله من اقتراب « الازمنة المسيحية » ، وشاهد في تلك الازمنة ملك السلام يدخل المدينة المقدسة محمولاً على أتان حقير (زكريا ٩ : ٩).ثم عمد الى مثل الراعي الذي ضربه قديماً حزقيال فطبقه على الظروف الحاضرة .

ونذكر بهذه المناسبة ان الرسل قد طبقوا زكريا ١١ : ١٢—١٣ على خيانة يوضاس (متى ٢٧ : ٩) ؛ وان يسوع قد رأى في آية زكريا ١٣ : ٧ صورة لهرب الرسل يوم قبض عليه اعداؤه (متى ٢٦ : ٣١) ؛ وان زكريا يتكلم عن « مطعون » (انظر يوحنا ١٩ : ٣٧) هو شبه عبد يهوه، الا انه اكثر اتصالاً بالشعب اليهودي .

القسم الثالث من اشعيا (٥٦—٦٦) :

تجري هذه الفصول في اطار تاريخي احدث من اطار الفصول ٤٠— ٥٠؛وقد ترجع بعض الفصول الى عهد كان الهيكل فيه قد اعيد بنيانه دون الاسوار (مثلاً ٦٠ : ١٠ ؛ ٦١ : ٤ ؛ ٦٢ : ٦) . وقد ظن جامعها انه احسن صنعاً بوضعها في هذا المكان . هي مجموعة قصائد مجهولة الواضع تشيد كلها بمجد « اورشليم المسيحية » ، وبالدعوة الشاملة الى الايمان بالله . على انها لا تخلو ، مع نزعة فردية ، من قومية حادة .

١. نزعة دينية فردية . — ليس اسرائيل العودة شعباً وامة بمقدار ما هو جماعة دينية . الا ان هذه الجماعة ليست بكاملة . فالخطايا ماثلة امام عيني

النبي ، من تقوى خارجية ، وجور على الضعيف ، وعبادة للأوثان (٥٨ ؛ ٥٩ : ٧ — ٨ ؛ ٦٥ : ٣ — ٤) .

فالله لم يعد بالخلاص شعباً بكامله ، بل افراداً هم اولئك الذين يظلون أوفياء لله . هم الاتقياء الودعاء الذين لهم كعبد يهوه « قلب منسحق » يشعر بضعفه ويشعر ايضاً بالثقة بالله الذي يهب الحياة . الى هؤلاء يوجه الله كلمات مثل هذه : « يا مختاري » ، « يا عبيدي » (٦٥ : ١٣—١٥) . ذلك لان الله اصبح قريباً من عبيده الى حد انهم لم يعودوا يكتفون بمجيئه على صورة مسيح زمني ، بل اخذوا يطلبون منه ان يظهر لهم مباشرة ، بذاته :

ليتك تشق السماوات وتنزل !... (اشعيا ٦٤ : ١)

اما الاسرائيليون الذين نقضوا العهد فانهم لن يستأهلوا الوعود القديمة .

بهذا تنقسم جماعة اسرائيل الى قسمين . اذ ليس كل من ولد من ابراهيم ولادة جسدية يحظى بالخلاص (يوحنا المعمدان في متى ٣ : ٨—٩)

٢ . نزعة قومية . — سيأتي الخلاص ، وسينتقم الله من الشعوب الوثنية ، وسيكون الانتقام هائلاً :

فدست الشعوب في سخطي
واسكرتهم في غضبي (اشعيا ٦٣ : ٦) .

سوف يتوب الوثنيون ولا شك ، وسوف يعقدون مع الله ميثاقاً ، كما في القسم الثاني من اشعيا . فيترتب عليهم عندئذ ان يمارسوا ناموس موسى ، من تقديم المحرقات ، وحفظ السبوت ، وإقامة الصلاة في الهيكل (٥٦ : ٦ — ٨) .

ومما يسترعي الانظار ان اورشليم والشعب المختار سيؤتيان مجداً عظيما (لاسيما في ٤٠—٤٢) . هذه القومية هي اظهر في القسم الثاني من اشعيا (قارن بين ٤٠ : ٩ و ٦٢ : ١١ ؛ وكذلك بين ٤٠ : ٣ و ٦٢ : ١٠). تبدو اورشليم في هذه الآيات وكأنها نقطة تجمُّع للاسرائيليين المتشتتين يجدون

فيها وحدتهم . اورشليم هذه ، المدينة المقدسة ، التي اعاد يهوه بناءها ، انها ترتدي بهاء « المسيح ».

وستقبل امم الارض عليها اقبالهم على مصدر نور الله . وسيأتونها بكنوزهم زينة لهيكلها .

ما اعظم الفرق بين مواعيد حزقيال وكتاب تعزية اسرائيل ، والصعوبات والمشقات التي يعانيها اليوم بناة الامة. ولذا فقد اتت صورة « المستقبل المسيحي » هذه تعزي النفوس وتثأر للحاضر الشاق .

ملاخي :

ليس لدينا من وثائق تاريخية عن الحقبة التي ما بين ٥١٦ و ٤٥٨ . ولذا فالتاريخ في هذه الحقبة غامض المعالم .

جاء آخر انبياء المجموعة حول عام ٤٥٠ . اسمه ملاخي ، اي رسولي (هل هو اسمه الحقيقي ام لقبه ؟) . ويخبرنا هذا النبي عن مساوئ عديدة تسربت الى جماعة العائدين آلت الى افساد العبادة . فلم تكن الذبائح تقدم الا من نفاية الحيوانات . واخذ الناس يحتالون على جباية ضريبة الهيكل (ملاخيا ١ و ٣) .

ونظراً لقلة اليهوديات العائدات من الأسر اخذ العائدون يتزوجون من الوثنيات. فكانت تلك الزواجات المختلطة مما سيثور له نحميا النبي وقد رآها تنتشر على مرأى من الكهنة ومسمع :

> انما كان عهدي مع لاوي للحياة والسلام. وآتيته التقوى فاتّقاني وهاب اسمي ... اما انتم فعدلتم عن الطريق، وشككتم كثيرين في الشريعة ، ونقضتم عهد لاوي (ملاخي ٢ : ٥ ، ٨) .

وخاض ملاخي المعركة . فجاء له ، بجانب التأنيب والتقريع ، وصف رائع لذبيحة المستقبل ، تلك الذبيحة التي رأت الكنيسة فيها ذبيحة القداس (ملاخي ١ : ١١) :

لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسم عظيم في الامم
وفي كل مكان تُقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة .

وللملاخي وصف آخر من اوصاف المسيح : انتظار المنادي السابق للمسيح (٣ : ١—٦) .

عوبديا :

تقع مجموعته بين عام ٥٠٠ و ٤٠٠ ، وقد مر لنا ذكر له .

يونان :

١. النوع الادبي . — ليست مجموعته بالنبوة ، ولا بسيرة حياته . بل هي رسالة قام بها يونان في نينوى (١) .

صدر الامر ليونان بان يدعو اهل نينوى الى التوبة . فأبى وركب البحر الى ترشيش هارباً . واذا بعاصفة تهب على المركب فيلقي البحارة الذنب على يونان ويطرحونه في البحر ، فيبتلعه الحوت ، ويصلي يونان فيقذف به الحوت الى الشاطئ . ويذهب يونان الى نينوى ويعظ الناس ، فيتوبون ويغفر الله لهم . الا ان يونان لم يرضَ عن غفران الله ، فيأخذ الله يشرح له طرق رأفته واسباب رحمته .

لا مجال الى تصنيف الكتاب بين الكتب التاريخية :

— قام يونان برسالته في القرن الثامن (٢ ملوك ١٤ : ٢٥) . الا ان لغة الكتاب ترجع الى زمان عزرا ونحميا . فهو اذًا من اواسط القرن الخامس .

— تسرد الرواية عددًا كبيرًا من المعجزات لأسباب طفيفة ، مما يدل على ان هناك نوعاً من البديع ليس الا .

— لا تخلو الرواية مما هو بعيد الاحتمال :

من الوجهة النفسية اولاً : اذ لا وحدة في شخصية يونان . وليس ما أتته نينوى من توبة فجائية كاملة ، دون ادنى مقاومة ، بالطريقة التي يسلكها الله مع الناس .

ومن الوجهة التاريخية ايضاً : فلا يعقل ان ينادى بدعوة مثل هذه في مدينة مثل نينوى .

الا ان هناك تعليماً مزدوجاً من السهل استخراجه :

— سيصير اسرائيل يوماً رسولاً لله لدى الوثنيين (انظر الى اناشيد عبد يهوه) .

— ان الاحكام التي يصدرها الله على الوثنيين بالافناء هي دائماً احكام مشروطة وان اتت في صيغة الاطلاق .

عمد صاحب الكتاب هنـــا الى نبي قديم فبنى روايته هذه يبغي بها تعليماً، مستعيناً ببعض ما جاء من اقوال في ارميا وحزقيال . فالكتاب هو كتاب تعليم ليس الا .

ب . رسالة يونان الشاملة :

عندما سأل موسى الله قائلاً : «ارني مجدك» ، أجابه الله بوصف لذاته : « الرب اله رحيم ورؤوف طويل الاناة كثير المراحم والوفاء » (الخروج ٣٤ : ٦) . وكذلك في المزمور ١٠٣ أو ١٠٢ : ٨ ؛ او في يوئيل ٢ : ١٣ . في كل هذه المواضع تنطبق عواطف الله على اسرائيل وحده . اما في كتاب يونان فان عواطف الله تشمل النينويين ذاتهم ، اولئك الوثنيين الذين لعنهم الانبياء (٤ : ٢) . فموقف الرحمة من لدن الله يستجيب الى موقف التوبة من لدن الانسان . وبذلك ينشأ عهد شخصي بين الله والانسان . وهنا يحذو يونان حذو ارميا وحزقيال .

يوئيل :

آ . الزمان : عندما ظهر يوئيل واخذ يتكلم كان الاسرى قد عادوا الى أوطانهم ، الا الذين اشتراهم اليونان . وتم بناء اورشليم والهيكل (٤ : ١ و ٦ ؛ ١ : ١٤ ، ١٧) . نادى النبي اذاً بدعوته في عهد الحكم الفارسي حوالى عام ٤٠٠

ب . بعض مميزاته : كراهية الاجنبي (يتفجر تهديداً لادوم) . لا إلماع ولا تلميح الى مسيح شخصي : الفرس يساعدون على بعث الجماعة اليهودية . قد نكون هنا امام طقس ديني من طقوس التوبة وضع بمناسبة زحف الجراد .

٢ . عبادة الكتاب المقدس

الكتبة:

نشأت عبادة الكتاب وترعرعت إبّان الاسر. ولا عجب ، فلقد كان الاسرائيليون الأتقياء يستعيضون عن البعاد والهجران وعن توقف الذبائح والطقوس ، بالتأمل في ناموس يهوه ، باحثين فيه عما تنبأ لهم به ارميا من أسباب العهد الجديد . وكانت فروض العبادة تقوم يومئذ بقراءة موضع من الكتاب المقدس وبالاستماع الى شرح له .

ولكن ما كان الكتاب المقدس يومئذ ؟ أجزاء متفرقة منها التاريخي ، ومنها التعليمي ، واهمها كتب موسى . وقد اخذ الانبياء يحتلون فيه مكانتهم .

وكانت نسخ الكتاب قليلة جداً لا تفي بالمطلوب .

وقامت لسد الحاجة جمعية الكتبة أو السفرة ، فلعبت منذ العودة الى الوطن دوراً عظيم الاهمية :

آ. أخذ الكتبة ينقلون النصوص المقدسة .

ب . وبهذه المناسبة قاموا بعمل جليل من تطبيق القوانين على الظروف (كما فعل حزقيال بتثنية الاشتراع) ، ومن ربط ما بين التاريخ والتشريع ، ومن جمع النصوص المقدسة .

ج. قام الكاتب هكذا مقام المعلم ، حتى سمي الكتبة والسفرة في الانجيل بمعلمي الناموس .

د . كان للكاتب شأنه المتزايد ، حتى اصبح يحتل في المجمع المقام الأرفع . ولسوف يأتي زمان يفوق فيه حتى الكهنة مكانة واعتباراً .

ﻫ . لما بلغ درس الناموس مبلغه من الاهمية لدى الجماعة اليهودية ، اصبح للكتبة شأنهم في التوجيه الديني ، فصاروا المرشدين الروحيين الرسميين للشعب المختار .

ديانة الكتاب المقدس:

كان لمكانة الكتاب شأنها في تكوين فروض السبت في المجمع . فكانت تُقرأ منه بعض مواضع كل سبت ، آية آية ، ثم تترجم الجملة منه على الفور الى الآرامية ، لأن الشعب لم يعد يفهم العبرية . وبعد القراءة يقوم من ذوي المكانة الرفيعة او من الغرباء البارزين من يشرح الموضع الذي تلي على المسامع . تلك كانت العادة المتبعة في المجامع في زمن المسيح (لوقا ٦ : ١٦) .

كان الله يقصد من الكتاب العزيز تغذية النفس اليهودية . الا ان الكتاب لا يأتي بفائدته هذه الا اذا وجه توجيهاً روحياً ، بحيث ان الانسان اذ يكتشف فيه الاوامر التي اصدرها الله الى شعبه ، يطبقها على نفسه ، فيخلص من اوامره للجماعة الى اوامره للفرد .

وليس لتعليم الانبياء من غاية سوى البرارة الداخلية والطهارة الداخلية والعبادة الداخلية . ولقد آن الاوان لان نغوص الى ما وراء الحرف لنصل منه الى الروح .

لكن هناك خطران يعترضان هذا السبيل :

ـ يخشى ان تؤخذ الوعود المسيحية مأخذ الثأر لدين او لوطن .

ـ يخشى ان يقصر الكمال الروحي على تتميم وممارسات واوامر خارجية كالذبائح والاصوام والصدقات والمواقف الجسمية .

وهكذا نشأ للحركة الدينية تياران نجدهما في « الازمنة المسيحية » يرتقي اصلهما الى زمن السبي (اذ اخذوا يطبقون تعليم ارميا) ، ويبلغ ازدهارهما مبلغه في زمن قيام اليهودية. احدهما التيار « الروحي » الذي

سيكون له في حروب القرن الثاني قبل المسيح شهداؤه وابطاله ، والذي به سيتسامى نخبـــة الفريسيين وجمهور الاسينيين . وثانيهما التيار «المادي» الذي يتمسك من الناموس بحرفه فينحرف الى الكبرياء والرياء (انظر لعنات المسيح في متى ٢٣) .

نحميا وعزرا:

ابلى كل منهما في سبيل ناموس موسى البلاء الحسن .

نحميا . – رجل تفكير وروية ونظرة متفائلة . شديد لكن في حدود الامكان ، له كل صفات الزعيم المطاع . هو متمسك كل التمسك بالناموس ، وعلى ذلك جدير باعمال رمزية ينهج فيها نهج الانبياء الاقدمين (٥:١٣) .

يتمتع في دولة الفرس بمكانة ونفوذ ، وبسعيه انسلخت اليهودية عن السامرة وكانت تابعة لها منذ ٥٨٦ ، فنالت بفضله استقلالاً ادارياً تاماً .

قدم نحميا الى اورشليم للمرة الاولى حوالى عام ٤٤٥ ، وكانت غاية مجيئه مادية في ظاهرها اذ كان مزوداً بما يلزم من السلطات ليرفع اسوار المدينة . وقد انهى ما اتى لأجله في اقل من شهرين .

وكان نحميا يبغي من وراء ذلك ان يجعل الجماعة اليهودية في مأمن من الطوارئ ، حتى تستطيع ، بعدما مضى على عودتها من الاسر زهاء قرن ، ان تعيش الناموس بتمامه ، في حمى اسوارها المتجددة .

لم يقتصر عمل نحميا على تشييد الاسوار .

قام بما هو اعظم : قرأ على الشعب ناموس موسى قراءة علنية واعية مقرونة بالشروح . ودامت القراءة اياماً عديدة انتهت بتجديد عقد العهد ، ودوّن كل ذلك في وثيقة رسمية وقع عليها الكهنة واللاويون والشيوخ (١٠). ثم مكث هذا المصلح الكبير في اورشليم اثنتي عشر سنة راقب فيها عن كثب حفظ العهد وتطبيقه .

ورحل عام ٤٣٣ ، ليعود حوالى ٤٢٥ الى اورشليم على اثر اخبار سيئة وردته . فكان اصلاحه هذه المرة اشد حزماً .

لم يكتف بان طلب من الجميع حفظ راحة السبت ، ومن الكهنة احترام الهيكل وحسن ممارسة وظيفتهم ، بل هاجم ايضاً الزواج بالاجنبيات .

لقد سبقه حزقيال الى ذلك . فهو اذ تنبأ ببعث المدينة من انقاضها اراد من المصلحين ان يتصفوا باكبر قدر من القداسة . ولا قداسة للشعب باختلاط الدم والزواج من عبدة الاوثان (تثنية ٧ : ٣—٤) .

اما نحميا فقد كان في هجومه شديداً كل الشدة :

> وفي تلك الايام ايضاً رأيت يهوداً قد تزوجوا نساءً اشدوديات وعمونيات وموآبيات . وكان نصف كلام اولادهم بلغة اشدود ، ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية ... فخاصمتهم ، ولعنتهم ، وضربت منهم رجالاً ، ونتفت شعرهم ، واستحلفتهم بالله ان لا تعطوا بناتكم لبنيهم ، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم (نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٥) .

جاء اصلاح نحميا شاملاً لم يستثنِ احداً حتى الكهنة . فلقد أعلن انه طرد ابن يوياداع رئيس الكهنة بسبب زواجه من ابنة حاكم السامرة (١٣ : ٢٨) .

كان لهذا العمل نتائجه البعيدة . فقد شيد اهالي السامرة هيكلاً لهم منشقاً عن اليهود على قمة جبل غريزيم سنة ٣٣٠ .

عزرا . — انه مثال الكاتب وقدوة « معلم الناموس » . أَمَّ اورشليم عام ٣٩٨ تلبية لحاجة ملحة للاصلاح وهو شيخ طاعن السن . فجاءها على رأس قافلة جديدة من بضعة آلاف من الرجال المتحمسين ضمّهم الى غيرهم من اليهود الاوفياء كي يؤلفوا جماعة متجددة تنعزل عن سواها ممن لا يمارسون الناموس .

الا ان هذا الايمان كان مقروناً بشدة قصوى .

وحرم مرة اخرى الزواجات المختلطة ، وأعاد النساء الاجنبيات من حيث اتين (عزرا ١٠) .

لا نعلم عن مدى نشاط عزرا اكثر من ذلك.الا انه لا بد من القول انه كان في اصل القوانين غير المكتوبة التي تناقلتها الألسنة فكانت في زمان المسيح تحتل احياناً مرتبة فوق الناموس وارفع من الشريعة (متى ٢٣ : ١٦ — ٢٢) . وهذا يدل على ما ابلى عزرا من بلاء في سبيل التوراة .

انتقاض على الاصلاح : كتاب راعوت

موضوع الكتاب . — رحل احد سكان بيت لحم اسمه ابيملك مع زوجته نُعمي وابنيه محلون وكليون الى ارض موآب. فتزوج ابناه هناك من موآبيتين . ثم مات الرجل ومات بعده ولداه . فعادت نعمي ومعها راعوت احدى كنتيها . ورضي بوعز ، احد ملاّكي الارض، بان يتزوج براعوت ليقيم نسلاً لأبيملك . وسمي الولد باسم عوبيد فكان ابا يسى ، احد اجداد المسيح .

معنى الكتاب . — هو اصغر كتب العهد القديم ، وينتمي الى طائفة الكتب التاريخية .

الا ان له مع ذلك غاية خاصة وُضع لها .

فهو ينبه تكراراً على ان راعوت التي هي موآبية وبالتالي وثنية ، قد ضمّها الله الى شعبه لانها قبلت بالعهد الموسوي ؛ لا بل زادها الله حظوة في عينه بان جعل منها جدة لداود (انظر متى ١ : ٥) .

تبدو هذه النزعة الشعوبية وكأنها جواب على نحميا وعزرا وقد اخذا بالاصلاح باكثر ما استطاعا من الشدة والتعصب .

لذلك يكون تاريخ وضع الكتاب حوالى ٤٥٠ قبل المسيح .

٣ . — صلاة المزامير

كان لهيكل سليمان جوقة موسيقية خاصة . وكان داود باعث فن المزامير ومنظم طقوس العبادة .

الا ان هناك مزامير كثيرة وُضعت بعده. حتى في ديار المنفى قام شاعر ملهم فتغنى بحزنه وشجاه على توقيع المزامير :

على انهار بابل ، هناك ،
جلسنا فبكينا
عندما تذكّرنا صهيون ...
هناك سألَنا الذين سبَونا نشيداً ...
أن رنموا لنا من ترانيم صهيون .
كيف نرنّم ترنيم الرب
في ارض غربة ؟ (مزمور ١٣٧، أو ١٣٦ : ١ — ٤)

نهج كثيرون نهج داود في وضع المزامير ، حتى كان زمان الملكية كله يعجّ بهم . ولم يوقف الجلاء هذا التيار من الشعر الوجداني الديني . الا انه بلغ اوج ازدهاره بعد العودة الى ارض الوطن ، اي في القرن الخامس .

هذا ما حدانا على وضع نبذة صغيرة عن المزامير في هذا المكان .

نوع المزامير :

المزمور هو قصيدة من الشعر الوجداني الغنائي ذات صور متنوعة وتعابير جريئة (١٠٤ أو ١٠٣ : ٢ — ٣ ، ٩٨ أو ٩٧ : ٨) . وان ما نجده في المزمور من التناغم والحداء والتجاوب يذكرنا بحركة الجسم في تمايله الرتيب كما نراها اليوم في بعض الاوساط المدرسية العربية بين التلاميذ ومعلميهم :

ليعج البحر وملؤه ،

والمسكونة وسكانها !
لتصفّق الانهار ،
ولترنم الجبال جميعاً ! (٩٨ أو ٩٧ : ٧ – ٨)

والمزمور هو ايضاً قصيدة من الشعر الديني يعبر فيها الشاعر عن عواطف النفس في اتصالاتها بالله . الا انه ليس مع ذلك بقصيدة مسيحية ، لأن العواطف التي يعبر عنها هي ، كما ذكرنا آنفاً ، عواطف عصره وبيئته :

الرب حظ قسمتي وكأسي ،
انت عُمدة قُرعتي .
حبال التقسيم وقعت لي في اراضي خصبٍ
وميراثي جليل . (مزمور ١٦ أو ١٥ : ٥ – ٦)

والمزمور هو اخيراً قصيدة طقسية وُضعت لتُتغنَّى ، او لتمهد للغناء وتهيّئ له :

اعترفوا للرب لانه صالح
لأن الى الابد رحمته
ليقل اسرائيل :
ان الى الابد رحمته ...
الرب معي ، لا أخاف .
وماذا يصنع بي البشر ؟ (مزمور ١١٨ أو ١١٧ : ١–٢ ؛ ٦)

المجموعات :

بعد ما وُضعت المزامير واستخدمت في الطقوس جمعت في زمر حسب مواضيعها :

آ . المجموعات الصغيرة القديمة ، منها :
مزامير ملكوت يهوه : من مزمور ٩٥ – ١٠٠
مزامير الصعود والارتقاء : من ١٢٠ – ١٣٤

ب . ثم ثلاث مجموعات أوسع : من ٣ — ٤١ ، ومن ٤٢ — ٨٩ ، ومن ٩٠ — ١٥٠ .

ج . واخيراً مجموعات خمسة قامت على اساس استعمال اسم الله :

— المزامير التي اسم الله فيها يهوه : من ١ — ٤١

— المزامير التي اسم الله فيها الوهيم : من ٤٢ — ٧٢

— المزامير التي فيها الله متعدد الأسماء : من ٧٣ — ٨٩

— المزامير التي اسم الله فيها يهوه : من ٩٠ — ١٠٦

— المزامير التي اسم الله فيها يهوه : من ١٠٧ — ١٥٠

عدد هذه الصلوات يبلغ ١٥٠ . وقد تألفت في حقبة تتراوح بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث قبل المسيح (وربما القرن الثاني) .

ويبدو ان الانتهاء من وضعها كان حوالى عام ٣٠٠ ، وهو زمان وضع كتب «اخبار الايام» . اذ ان الفصل السادس عشر من الكتاب الاول للاخبار يورد بعض مقتطفات للمزامير ٩٦ (أو ٩٥) ؛ و ١٠٥ (او ١٠٤) ، و ١٠٦ (او ١٠٥) . وقد تكون هذه المقتطفات اضافات دخلت بعدئذ في المتن .

المزامير والكتاب المقدس :

أُدرج كتاب المزامير في لائحة الكتب المقدسة منذ بدء القرن الثاني قبل المسيح .

ونقل باكراً الى اليونانية في الترجمة السبعينية ، وربما في القرن الثالث (حوالي ٢٥٠) . وفي عام ١٣٢ كانت المزامير معروفة لدى صاحب ترجمة يشوع بن سيراخ .

وفي القرن الرابع بعد المسيح أعاد القديس ايرونيموس النظر في الترجمة اللاتينية المعروفة آنذاك (٣٨٣) . ثم اعاد النظر فيها مرة ثانية في عام ٣٨٧ على ضوء الترجمة السبعينية .

وظهر حديثاً للمزامير ترجمة لاتينية جديدة .

نوع المزامير الادبي :

١ . **الترانيم والاناشيد** . — فيها تمجيد لله عن عجائب مخلوقاته (١٠٤ أو ١٠٣، انظر ايضاً ٨، ٢٩، ١٤٨)، وعن اياديه البيضاء على شعبه المختار (١٠٥ او ١٠٤ ؛ ١١٤ او ١١٣) .

٢ . **الصلوات** . — منها فردية لشخص (٥ او ٤) ، او للملك (٢٠ او ١٩)، او لشيخ (٧١ او ٧٠) ، او لمريض(٦ ، ٣٨، ٤١، أو ٥: ٣٧ ، ٤٠) .

ومنها جماعية تتعلق بسقوط اورشليم (عام ٥٨٦) وعواقبه : ٩٤، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٧ (او في طبعة اليسوعيين ٩٣، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٦) .

ومنها احياناً فعل ثقة : ٤ ، ١١، ١٣١ (او في طبعة اليسوعيين ٣، ١٠، ١٣٠)، وكثيراً ما صلاة شكر : ١٨، ٢١، ٣٠، ١٢٤ (او ١٧، ٢٠، ٢٩، ١٢٣) .

٣ . **التعليم** .— تمتزج احياناً الحكمة بالناموس . وقد يبدو الناموس وكأنه والوصايا والنبوءات شيء واحد . واكثر ما يردده المغني مصير الانسان، والثواب والعقاب ، وعبر التاريخ، والسعادة التي يجدها المؤمن في خدمة الله والطاعة لأوامره (٨، ١٤ ، ٧٣ ، ٧٨ او في طبعة اليسوعيين ٧، ١٣، ٧٢، ٧٧) .

ليس من حاجز اذاً بين المزامير وكتب الحكمة . فالحكمة التي يزاولها الكاتب ويدرسها على طريقة معلم الناموس هي ذاتها تنساب الى نفس صاحب المزامير .

لدينا مثال على ذلك المزمور التاسع عشر (او في ترجمة اليسوعيين الثامن عشر) . فهو يبدأ بقصيدة عن الخليقة (٢ — ٧)وينتهي بتمجيد الناموس (٨ — ١٥) .

فاذا ما قابلنا بين هذا المزمور وآخر الفصل الثامن من كتاب الامثال نلاحظ ان الكلام يذهب في الموضعين من المجال المادي الى المجال الادبي : فهي الحكمة وضعت الجمال في الخليقة المادية ، وهي ذاتها تضع الجمال ايضاً في الاعمال البشرية .

كما ونلاحظ نزعة التعميم والشمول التي هي في اصل هذا النوع :

في الارض كلها ذاع منطقهم
وفي اقاصي المسكونة كلامهم (مزمور ١٩ أو ١٨ : ٥)

والمزمور الاول ، الذي هو بمثابة مقدمة للمزامير كلها ، هو مزمور حكمة . فانه يشيد بمديح الناموس الذي يضمن حفظه السعادة :

طوبى للرجل الذي ... في شريعة الرب هواه
وفي شريعته يهذ نهارًا وليلاً !
فيكون كالشجر المغروس
على مجاري المياه .
فيؤتي ثمره في اوانه ،
وورقه لا يذبل (مزمور ١ : ١ — ٣) .

يجدر بنا ان نقابل بين هذه القطع والمزامير ١٩ ، ٣٤ ، ١١٩ (أو ١٨ ، ٣٣ ، ١١٨) .

نشعر ونحن نقرأ هذه المزامير ، بأننا لا نقرأ لشخصين هما الكاتب والمغنّي يكتبان بعد العودة من الاسر نوعين من الادب ، بل لشخص واحد يتناوب نوعين من الادب : فتارة يسكب عواطف قلبه امام الله ، وتارة يعرض التعليم والحكمة . فالقرن الخامس هو الذروة لنوع ادب الحكمة ولنوع ادب المزمور .

٤ . **النبوءة** .— ننظر هنا في المزامير التي تتكلم عن ملكوت الله والتي لها صبغة « مسيحية » .

آ .ــ مزامير ملكوت الله. ــ نرى في هذه المزامير، التي وضع اكثرها في العهد الفارسي ، الخصائص التالية :

١ . لا يدور الكلام فيها عن المسيح ، بل عن الله الذي يملك ، في حين ان سلالة داود تبدو وكأنها انقرضت الى الابد . فيخطر بالبال ضربٌ من ملك الله على الطريقة الموسوية. انظر الى نشيد العذراء حيث لا يذكر المسيح ، ونشيد زكريا حيث يدعى يوحنا نبي العلي (لوقا ١ : ٤٦ ــ ٥٥ ؛ ٧٦) .

٢ . فكرة ملك الله مستوحاة من العهد الموسوي اذ ملك الله حقاً ، وتذكرنا في الوقت القريب بحزقيال (٢٠ : ٣٣« انا املك عليكم ») . وتذكرنا ايضاً بالقسم الثاني من اشعيا (٥٢ : ٧ «ما اجمل على الجبال اقدام المبشرين ، المسمعين بالسلام ، المبشرين بالخير ، المسمعين بالخلاص ، القائلين لصهيون : قد ملك الهك ») .

٣ . يبدو ملك الله هذا على شكل حدث عظيم يشبه باهميته خلق العالم :

ــ تتقدمه دينونة يرسم اوصافها الانبياء بالوان الرؤيا وصورها (مزمور ٩٧) فتزول من العالم الخطيئة ومظاهرها .

ــ ثم يعقب هذه الدينونة ظهور رحمة الله في حماسة الارض كلها . فلا يبقى من ملك وسيادة الا للحق والعدل : هو عهد قداسة ينبلج فجره (راجع روم ٨ : ١٩ ــ ٢٢) .

٤ . تندمج شعوب الارض كلها في شعب واحد هو شعب اله ابراهيم (مزمور ٤٧ : ١٠).وتتغير الطبيعة ذاتها فتشترك في الانقلاب الذي يقع في حياة البشر (مزمور ٩٦ : ١١ ؛ ٩٨ : ٧) .

ب ــ المزامير ذات الصبغة المسيحية.ــ نذكر اهمها واخص ما فيها :

المزمور ٢ : يعلن ان المسيح هو ابن الله . فيضع الله في اورشليم ملكاً يخضع له كل الشعوب الوثنية . نذكر بهذه المناسبة وعد ناتان لداود

(٢ صموئيل ٧ : ١٢ ـ ١٦) اذ يتعهد بان ينظر الى سليمان نظره الى ابنه . الا ان هذا المزمور يعلن ببيان اجلى عن هذه البنوة الالهية ، مضيفاً اليها صفة السيادة الشاملة والسلطان العام .

المزمور ٤٥ : يشيد بزواج المسيح الملك من اسرائيل .

المزمور ٧٢ : لم تبلغ الفكرة «المسيحية» فيه بعد كمالها ، فهي لا تزال ناقصة . والمزمور يعزو الى المسيح سلطة سياسية يعود بها على شعبه برخاء وخيرات زمنية . الا ان له خصائص يجب الالتفات اليها تصف مملكة المسيح على انها مملكة تسود فيها الحكمة والسلام على وجه الارض كلها .

المزموران ٣٩ و ١٣٢ : يبدآن بنبوة ناتان الى داود (٢ صموئيل ٧ ؛ ١ ملوك ٨ : ٢٥ ؛ ١ اخبار ١٧) .

المزمور ١١٠ : يسير على غرار المزمور ٢ ، لكنه يتممه . فالمسيح هنا يتصف بصفات الهية ويتقلد سلطانه مباشرة من الله .

انه العجيب الآتي كما في دانيال ، والمرتدي شارات الكهنوت . ظهر ملكيصادق ملكاً وكاهناً في آن واحد ؛ ومثله المسيح الذي سيكون كاهناً الى الابد دون ان يكون من سلالة هارون (انظر عبر ٧) فالمزمور يعبر لنا عن فكرة في المسيح متقدمة جداً .

الخلاصة . ـ ما المزامير سوى تعبير حي عن ايمان شعب برمته وعذابه ورجائه .

٤ . ـ ادب الحكمة

كان لمصر وبابل حكمتهما . فأدب الحكمة ادب عالمي . وقد دخل اسرائيل على يد سليمان عندما نشأت جماعة الكتبة . الا ان هذه الحكمة الغريبة لم تحتفظ في اسرائيل بطابعها العلماني الوثني . فقد جاءت اقدم مجموعات الحكمة الاسرائيلية متشربة بديانة التوحيد . ومع ذلك فهي تستخدم ، مثل الحكمة الغريبة ، العناصر الدينية الاساسية لتطبقها على

اساس سعادة الفرد ، وتتكلف موقفاً لا ـ اسرائيلياً .

وفي حقبة الانبياء من السهل ان نكتشف في كتب اشعيا وارميا وحزقيال روحاً ،لا بل نهجاً ينهجه المؤلفون (اشعيا ٩:٥؛ ٢٨:٢٣ — ٢٩ ؛ ارميا ٤:٢٢ ؛ حزقيال ١٨ ؛ انظر ايضاً الى ما قلناه عن المسيح في اناشيد عبد يهوه) .

الا ان الطريقة التي بها استخدم صاحب الامثال (١ — ٩) كتب التثنية واشعيا وارميا ، ذاهباً بها مذهبه ، ناحياً بها منحاه ، تدل على ما كان للطريقة النبوية من الاثر في حكمة حكماء العصر .

وفي جماعة ما بعد العودة ازداد « الحكماء » ،وقد صاروا مرشدي الشعب الروحيين ، ايغالاً في روحانية الحكمة ، فأخذوا يتغذون بالكتب السابقة الملهمة ، ويسبغون من روحها على سائر انواع الادب؛ وهم يسعون بنوع خاص الى اكتشاف حكمة الله ، يرون اهم مظاهرها سواء في الكون الذي خلقه ام في تاريخ الشعب الذي اصطفاه . ثم يخلصون منها في حياتهم العملية الى زبدتها ، وهي ان رأس حكمة الانسان في مخافة الله والسير في طرقه . ولذلك نرى كتب الحكمة تمزج ، حسب الظروف والحاجة ، بين روح الله والخبرة اليومية .

هذه هي كتب الحكمة وكلها ترجع الى العهد الفارسي : كتاب الامثال ، كتاب ايوب ، نشيد الاناشيد .

كتاب الامثال (حوالى ٤٨٠) :

انه مجموعة من شتات يرتقي ابعدها الى سليمان (امثال ١:١٠ —٢٢ ١٦ ؛ ٢٥ — ٢٩) ، ويرتقي اقربها (١ — ٩) الى ما بعد العودة ، فتكون مقدمة للمجموعة كلها .

نجد في الاجزاء القديمة حكمة بشرية مستقاة من الخبرة اليومية ، على شكل خواطر هي تارة ساخرة لاذعة ، وتارة حكم وعبر :

الجواب اللين يردّ الحنق،
والكلام المؤلم يثير الغضب (الامثال ١٥: ١).
المعوز يتكلم بالتضرع،
والغني يجاوب بالغلاظة (الامثال ١٨: ٢٣).

ونجد في الاجزاء الحديثة علم الحكمة، يدل على ذلك الفصل الثاني بنوع خاص.

تتوجه الحكمة بكلامها الى كل البشر، عقلاء وجهلة، دون استثناء، فتمنح الجميع تعليما رفيعاً عجيباً (٨: ١ — ١١).

هذه الحكمة تتصف من طبعها بالفهم والمشورة (اشعيا ١١: ٢) تنفحهما البشر، فيستعين بهما الملوك والعظماء على اسعاد شعوبهم. لكأننا امام اعلان رسمي عن فاتحة عهد «مسيحي» دون «مسيح» رسمي. (٨: ١٢ — ٢١).

كانت الحكمة قبل خلق العالم، وهي على صلة وثقى مع الله. فهي ذات وجود مطلق. وعندما اعطى الله الوجود خلائقه كانت الحكمة واقفة بجانبه تلهمه، وتنظمها، وكأنها تعبث (٨: ٢٢ — ٣١).

وينتهي الفصل بارشاد ادبي: فالحكمة هي للانسان مصدر حياة ادبية، وعليه لكي يكون سعيداً ان يسير على هديها (٨: ٣٢ — ٣٦).

كتاب ايوب (حوالى ٤٥٠):

هو الضمير يثور على الاوضاع والحلول التقليدية.

خسر ايوب اولاده وخيراته، فهو مريض وفقير. وقد تركه الاهل والاصدقاء، شأن كل فقير، الا ثلاثة منهم اتوا يزيدون بكلامهم في بلاياه اذ يزعمون ان الله انما ضربه لانه خاطئ. فينكر ايوب عليهم اقوالهم، لأنه بريء. انها مشكلة الثواب والعقاب يطرحها العهد القديم مرة اخرى على بساط البحث.

ينكر ايوب كل الانكار الفكرة التقليدية السائدة بان العذاب هو دائماً قصاص عن ذنب ؛ هذه الفكرة تأصلت في الشعب المختار الى حد ان الرسل انفسهم كانوا متأثرين بها (يوحنا ٩ : ٢) . واخذ ايوب يشيد بمدائح الرب ، دون ان يتمالك مع ذلك من الشكوى المريرة .

بهذا الكتاب نذهب من الكاتب ذي الحكمة النظرية الى الكاتب ذي الاتصال بالعذاب .

الجواب على مشكلة العذاب هذه نجده في الحكمة الالهية ذاتها . انها فوق الطبيعة ، وبالتالي تفوق مدارك الانسان وقواه الطبيعية . فلا سبيل الى فهمها في النظام الادبي الاخلاقي فهماً كاملاً :

لكن من اين تأتي الحكمة ،
والفطنة اين مقرها ؟
انها محجوبة عن عيني كل حي ،
ومتوارية عن طير السماء .
الهاوية والموت قالا :
قد بلغ مسامعنا خبرها .
الله يبصر سبلها
وهو عالم بمكانها
لأنه يبلغ بطرفه أقاصي الارض
ويحيط بجميع ما تحت السماوات .
واذ جعل للريح وزناً
وعاير الرياح بمقدار ،
وجعل احكاماً للمطر ،
وسبيلاً للصواعق القاصفة ،
حينئذ رآها واخبر بها
واثبتها وسبرها .
وقال للبشر :

ها ان خشية الرب هي الحكمة
واجتناب الشر هو الفطنة (ايوب ٢٨ : ٢٠ — ٢٨) .

لا يستطيع الانسان ان يسبر غور تدابير الله . لكن ما اعظم شقاء الانسان امام حكمة الله ! ولذلك فالله يطلب من ايوب ان يتخلى عن شعوره ببراءته الشخصية لكي ينصرف بكليته الى عبادة قداسة الله :

فأجاب ايوب الرب وقال :
قد علمت انك قادر على كل امر ،
فلا يتعذر عليك مُراد .
من ذا الذي يلبس المشورة من غير علم ؟
اني قد نطقت بما لا ادرك
بمعجزات تفوقني ولا اعلمها ...
كنت قد سمعتك سمع الاذن ؛
اما الآن فعيني قد رأتك
فلذلك انكر مقالتي ،
وأندم في التراب والرماد (ايوب ٤٢ : ١ — ٦) .

هذا الخضوع المتواضع لسر تدابير الله ومقاصده هو العبرة العملية الكبرى لكتاب ايوب .

نشيد الاناشيد (القرن الرابع قبل المسيح) :

هذه التسمية التي تعني النشيد بمعناه المطلق الاكمل تقودنا الى مشكلة لم يتوصل الباحثون الى حلها الى الآن .

يخيل الينا لاول وهلة اننا امام مجموعة من اغاني الحب وضعت بمناسبة زواج ، بألوان واقعية صارخة واوصاف تدهشنا فننكرها احياناً .

لقد أولها التقليد اليهودي تأويلاً رمزياً ، قائلاً ان النشيد انما يصف علاقات الله باسرائيل . وقد اخذ التقليد المسيحي بعده بهذا التأويل

وتوسع فيه مرسلاً اياه على ذلك الزواج السري الذي عقد بين المسيح وكنيسته ، وبين المسيح والنفس البشرية .

كان لموضوع الحب والزواج شأنه في كتاب النبي هوشع ، ثم في كتب ارميا وحزقيال . وقد طرق نشيد الاناشيد الموضوع ذاته وبث فيه تلميحات واشارات عديدة من طرف خفي الى اقوال من الكتاب المقدس لا يفطن اليها الا النبيه (انظر خاصة الى هوشع ٢ ؛ ارميا ٣١ ، حزقيال ٢٣ ؛ اشعيا ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢) .

اختار يهوه اسرائيل زوجةً له يوم عقد عهد سينا. ولكن لما خان اسرائيل العهد واتخذ له آلهة وثنية هجره الله فكان الجلاء . الا ان الجلاء انما كان تأديباً منه ، والمحنة كانت سبيلاً الى التوبة ، وكان العذاب ثمناً للمحبة والوفاء . فأعاد الله اليه عروسته كأن لم يكن من فراق وهجران . انه ازدهار الازمنة الاخيرة ، اذ تتدرج علاقات المحبة بين الزوجين حتى تبلغ كمالها .

وتابع هكذا الكتبة الملهمون عملهم . فالحكمة التي يطرونها انما هي تلك التي تقوم على الامانة للعهد والوفاء لله .

ادب الحكمة هو ادب حقبة ما بعد العودة ، وقد تسرب الى الفكر اليهودي في كل مجالاته ومظاهره .

للمطالعة

١ . المزمور ٩٣ (او ٩٢) . هو مزمور ملك يهوه . انه يملك على الطبيعة بواسطة القوانين الثابتة التي اخضعها لها ، ويملك على اورشليم بالهيكل الذي جعله مقر سكناه :

الرب قد ملك ولبس البهاء .
لبس الرب العزة
وتنطّق
لقد ثبتت المسكونة فلن تتزعزع .

عرشك ثابت منذ البدء
منذ الازل انت .
رفعت الانهار ، يا رب
رفعت الانهار صوتها
رفعت الانهار عجيجها :
ما اعظم صوت المياه الغزيرة ،
طغيان امواج البحر !
بل ما اعظم الرب في العلى !
شهاداتك صادقة جداً
ببيتك تليق القداسة ،
يا رب طول الايام.

٢ . المزمور ١١٠ (او ١٠٩) . لهذا المزمور صبغة « مسيحية » . فالمسيح سيكون ملكاً وكاهناً :

قال الرب لسيدي :
اجلس عن يميني
حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك .
عصا عزتك يرسلها الرب
من صهيون تسلط فيما بين اعدائك .
ان شعبك متطوع يوم قدرتك
في بهاء القداسة ،
من الجوف قبل الفجر لك ندى ولادتك .
أقسم الرب ولن يندم :
انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق .
السيد عن يمينك
يحطم الملوك يوم غضبه .

الفصل الثاني

بين اليهودية والوثنية تحت الحكم اليوناني

(٣٣٣ ـ ١٤٣)

تتميز هذه الحقبة بمقاومة اليهودية للمدنية الوثنية : هل على اسرائيل ان يتساهل في علاقاته مع العالم الوثني بغية كسبه الى اليهودية ، ام يتشدد فيرفض كل مبادلة معه تحاشياً لأخطاء الماضي ؟

سيتكيف موقف اليهود طبقاً لموقف الفاتحين ومراميهم :

ـ ففي عهد البطالسة المتسامحين تنفتح اليهودية على العالم خارج فلسطين لغزوه .

ـ وفي عهد السلاجقة المضطهدين تنكمش اليهودية على ذاتها في مقاومة عنيدة تصل حتى شهادة الدم في سبيل حفظ الوحي وصيانته من كل فساد .

١ . ـ حكم البطالسة بني لاغوس

تكونت في الاسكندرية مستعمرة يهودية هامة . ولا غرو ، فلقد سلبت مصر ألباب الاسرائيليين منذ القديم . وكان لازدهار اليونانية بعدئذ فيها اثر في بعض اسرائيليي فلسطين ، فهجروا اليها في موجات متتابعة .

وكان الاسكندر قد استهوى اليهود بما منحهم من حقوق المساواة مع اليونانيين انفسهم ، ووافق خلفاؤه على هذه المساواة . وتكاثروا في الاسكندرية حتى كان لهم فيها بين احياء المدينة الخمسة حي خاص بهم ،

هو حي الدلتا الواقع جنوبي القصور الملكية .

وبذلك تم لهم عقد اوثق الصلات بالمدنية اليونانية .

حدث مثل هذا التطور في سني الجلاء . فلقد كانت العبرية ، لغة الكتاب ، نسياً منسياً لدى العائدين الى اورشليم . فكانوا يتكلمون لغة الغالب ، اللغة الآرامية ، التي كانت وقتئذ لغة آسيا الرسمية — وكان ذلك من اليهود علامة انفتاح على العالم الخارجي .

وحدث ، بدءاً من القرن الرابع قبل المسيح ، تطور مشابه بين اليهود المقيمين خارج فلسطين . فلقد رفع فتح الاسكندر اللغة اليونانية الى مقام اللغة الرسمية لحوض الابيض المتوسط . ولما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية عادلت اليونانية فيها المصرية ، ان لم نقل فاقتها .

وكانت المستعمرة اليهودية في الاسكندرية ، وهي من الاهمية بمكان ، تتكلم اليونانية في مبادلاتها التجارية مع سكان المدينة ، وفي علاقاتها مع المسافرين الغرباء ، الذين كانوا كل يوم في ذهاب واياب من المرفأ واليه .

ليس تبادل الاتصالات بواسطة تبادل اللغة بالامر الخاص بمصر . فانه سيعم قريباً كل فلسطين . ولدينا على ذلك برهان — وقع بعدئذ — فكان بين ٥٠٠ كتابة اثرية يهودية اكتشفت في روما للقرن الاول المسيحي ٧٥٪ منها باللغة اليونانية وواحدة فقط باللغة الآرامية .

وليس بمستبعد ان يكون كثيرون من يهود الاسكندرية ، منذ القرن الثالث ، لا يتكلمون سوى باليونانية .

صيغة جديدة لتاريخ اسرائيل :

قام صاحب « اخبار الايام » باعادة النظر في قسم كبير من تاريخ اسرائيل مستخدماً لذلك نصوصاً من كتاب صموئيل وكتاب الملوك ومقتطفات من اقوال الانبياء .

وضمن هذا الاطار التاريخي فكرة دينية هي هذه : ان الله دعا

اسرائيل الى اقامة ملك الله في بلاده ، بخلاف سائر ممالك الارض .

ويسود هذا التاريخ وجه داود الذي حقق ملك الله في شعب الله بعد أن وحّد نزعاته وجمع شمله ، ولم يسمع فيه الى صوت اغراء السلطان المطلق.

كما ويحتل فيه اللاويون وخدمة الهيكل المكان الرفيع .

اراد كاتب الاخبار اذاً بكتابه ان يبرّر التطور الداخلي الذي حدث في اسرائيل حققته جماعة العائدين من الاسر ، فيظهره في احسن مظهر له واروع معنى .

وفي سبيل ذلك اختار بين الحوادث التاريخية التي وصلت اليه ما يخدم غايته ويلائمها .

فلم يذكر ، ولا بكلمة ، خطيئة داود المزدوجة ، لا بل رسم لداود صورة منزهة عن كل عيب (انظر ١ اخبار ١٠—٢٨) . كما لا يفوت اللبيب ما طرأ على نبوة ناتان من الانحراف ، فلم يعد فيها سليمان وحده بذي الشأن ، بل هي سلالة داود كلها ستملك الى الابد (١ اخبار ١٧ : ١—٢٧ ؛ انظر ايضاً ٢ اخبار ٦ : ٤—١١ ؛ ١٣ : ٥ ؛ ٢١ : ٧) .

وعلاوة على ذلك فقد افسح الكاتب في كتابه مكاناً واسعاً رحباً لأربعة من الملوك عدّهم اكثر الملوك تشبها بداود وتقفياً لخطاه : سليمان ، يوشافاط ، حزقيا ، يوشيا . وحتى في تاريخ هؤلاء أسدل الكاتب الستر على بعض الحوادث ، فلم يذكر مثلاً ما كان من تقديم سليمان القرابين للالهة الوثنية (١ ملوك ٣ : ١—٣ ؛ هذه الايات يخلو منها بدء الكتاب الثاني من الاخبار) .

ومن جهة اخرى فان الكاتب يعزو موت شاول الى اسباب دينية (١ اخبار ١٠ : ١٣) ، وكذلك جلاء تَغْلا تْفلاسّار لقبائل شرقي الاردن (١ اخبار ٥ : ٢٦) ، لا سيما خراب اورشليم عام ٥٨٦ (٢ اخبار ٣٦ : ١٣—٢١) .

ونفهم ، من وجهة النظر هذه ، ما دور المملكة الشمالية في الكتاب .

فالسكوت التام يلفها منذ الانشقاق ، ولا ذكر الا للذين خضعوا لخلفاء داود . وهذه ايضاً وجهة نظر عزرا ونحميا : فهم يرون اسرائيل الحقيقي في يهوذا وحده (نحميا ١١ : ٤ ؛ ١٢ : ٤٤–٤٧ ؛ عزرا ١ : ٥ ؛ ٤ : ١) .

ترجمة الكتاب العبري الى اليونانية :

آ . **الحادث** . — نقرأ في مقدمة كتاب يشوع بن سيراخ ما يلي : « لما كنا قد تلقينا من الشريعة والانبياء ومن اقتفى اثرهم كثيراً من الفوائد الجليلة الحرية بان يثنى لأجلها على ادب اسرائيل وحكمته ، وكان اللائق بارباب المطالعة ان لا يقتصروا على التعلم وحده بل ان يشركوا من عداهم في فوائد علمهم مشافهة ومكاتبة ، كان ذلك داعياً لجدي يشوع بعد ان لزم تلاوة الشريعة والانبياء وسائر اسفار آبائنا ورسخ فيها كما ينبغي ، ان أقبل هو ايضاً على تدوين شيء مما يتعلق بالادب والحكمة ، ليقتبس منه الراغبون في التعلم ، ويزدادوا من حسن السيرة الموافقة للشريعة . فلذلك ارغب اليكم ان تقبلوا على المطالعة بانعطاف وتيقظ ، وان تصفحوا عما وقع لنا من القصور في اصابة الالفاظ الملائمة للمعاني ، لأن ما يعبر عنه بالالفاظ العبرانية لا يبقى على قوته اذا نقل الى لغة اخرى. بل ان الشريعة والنبوات وسائر الاسفار بينها وبين نصها الاصلي فرق ليس بقليل » .

هو اذاً كاتب اسمه يشوع وضع هذا الكتاب حوالى عام ١٨٠ . وجاء حفيده ثمانين عاماً بعده فنقله الى اليونانية . ويخبرنا المترجم بهذه المناسبة ان الكتاب المقدس كله كان في ذلك الوقت قد نقل الى اليونانية .

ب . **كيف تم ذلك ؟** — جرت محاولات عدة ، كما جرى بعدئذ في ترجمة الانجيل . فالترجمة اليونانية المتداولة الآن قد تحققت على مراحل ، وكان اول ما ترجم كتب موسى ، اخذت تتداولها الايدي في مستهل القرن الثالث قبل المسيح .

وجاء اسم الترجمة — السبعينية — من الاسطورة الواردة في رسالة لأريسته

Aristée حوالى عام ١٥٠ ، جاء فيها ان ٧٢ شيخاً حُجر عليهم في ٧٢ غرفة ، ثم خرجوا بعد ٧٢ يوماً ومعهم ٧٢ ترجمة كلها طبق الاصل. هي ولا شك اسطورة . الا انهـــا تدل على ان الترجمة جاءت مطابقة بفحواها للاصل كل المطابقة .

ج . **اهمية هذه الترجمة** . — هي من الاهمية بمكان عظيم .

يذكر فيلون، الكاتب اليهودي الشهير من القرن الاول للمسيح، ان يهود الاسكندرية كانوا يحيون كل سنة ذكرى هذه الترجمة شكرًا لله على منته بها عليهم .

والحق ان هذه الترجمة كانت ضرورية للقراءة في مجامع مصر . الا انها فتحت ثغرة في السور الذي يفصل اسرائيل عن العالم الوثني .

تقع هذه الترجمة الخطيرة بين حدث ادبي وموقف عملي ، وتنم عن تطور مبين في الافكار .

اما الحدث الادبي فهو كتاب يونان الذي وضع في القرن الخامس ، وفيه يظهر النبي يونان بمظهر رسول الله الى الشعوب الوثنية ، تلك الشعوب التي هي اهل للتوبة ، جديرة بالايمان الصحيح .

واما الموقف العملي فهو الموقف الذي اخذ اليهود يقفونه من الشعوب الوثنية: موقف دعوة الى اليهودية وتبشير بين الوثنيين. وقد كسبت اليهودية بذلك اناساً كثيرين منهم الانصار الذين يسميهم الكتاب «خائفي الله» ، ومنهم « الاتباع » الذين اختتنوا فاصبحوا يهودًا حقيقيين .

قد لا نكون بلغنا بعد الى هذا الشمول الذي به تزول الفوارق (انظر اعمال الرسل ١ : ٦) الا اننا نشهد تطورًا أكيدًا يسير الى الشمول ، الى العالمية ، الى الكنيسة الجامعة .

بين الحكمة اليهودية والمدنية اليونانية :

ما موقف الحكمة اليهودية من فتنة المدنية اليونانية وتأثيرها على العقول؟

لدينا الجواب على ذلك في كتابين مختلفين : كتاب الجامعة ، وكتاب يشوع بن سيراخ .

١ . كتاب الجامعة (حوالى ٢٥٠ ؟)

الكاتب المجهول الاسم هو احد ارباب الحكمة (١٢ : ٩). لقد دوّن لنا خبرته ، فتقمص شخصية سليمان ، واتى لنا بما علمته اياه الحياة عن اللذة ، والغنى ، والعمل ، والسعي وراء الحكمة :

ما كان فهو الذي سيكون ،
وما صُنع فهو الذي سيصنع ؛
فليس تحت الشمس شيء جديد .
رُب امر يقال عنه : انظر هذا جديد .
بل قد كان في الدهور التي سلفت قبلنا ...
وجّهتُ قلبي لمعرفة الحكمة ،
ومعرفة الجنون والحماقة .
فعرفت ان هذا ايضاً كآبة الروح .
لأن في كثرة الحكمة كثرة الغمة ،
ومن ازداد علماً فقد ازداد كرباً .
ثم ناجيت قلبي قائلاً : هلم
فأبلوك بالفرح .
واذا هذا ايضاً باطل ...
فكرهت الحياة ،
اذ ساء في العمل الذي يعمل تحت الشمس ،
لأنه كله باطل وكآبة الروح .

(الحكمة ١ : ٩ — ١٠ ؛ ١٧—١٨ ؛ ٢ : ١—٢، ١٧)

لا يتطرق الكاتب الى المدنية اليونانية بقليل او كثير ، الا انه يذود عنا اغراءها وفتنتها : فليس ما يملأ النفس البشرية غير الله .

وقادته تأملاته هذه في الحياة الى مرارة الخيبة والى تشاؤم النظرة ، وقد لا يكون هذا التشاؤم طبيعة فيه .

ـ مصير العاقل والجاهل واحد :

ان الذي يحدث للجاهل يحدث لي انا ايضاً .
إذن فلمَ حكمتي هذه الوافرة ؟ (٢ : ١٥)

ـ لا يد للانسان في ما يحدث :

وعلمت ان كل ما يعمل الله يدوم مدى الدهر ،
لا يزاد عليه ولا ينقص منه . (٣ـ١٤)

عند الموت يترك المرء لغيره ما جنت يداه ، لا بل انه لا يتمتع بثمرة غناه حتى في حياته :

وكرهت جميع ما عانيت تحت الشمس من تعبي
الذي سأتركه لانسان يخلفني (٢ : ١٨) .
الذي يحب الفضة لا يشبع من الفضة ،
والذي يحب الثروة لا يجتني ثمرتها (٥ : ٩).

ـ لا تؤدي كل فضيلة الى السعادة ، ولا يتكلل كل سعي بالنجاح :

صدّيقٌ يهلك في برّه
ومنافقٌ تطول ايامه في شرّه (٧ : ١٦).
رأيت عبيداً على الخيل
وأمراء ماشين على الارض كالعبيد (١٠ـ٧).

الا ان الكاتب لا يقتصر على وصف السيئات والنقائص ، ولا يتوقف على مظاهر بطلان المساعي البشرية ؛ فموقفه السلبي يأتي بنتيجة ايجابية : فهو يدعو الى عيش الحياة على ما اعطاناها الله والاستسلام فيها لمشيئته .

ـ الحياة لا تبخل على الانسان بالحسنات ، انما عليه مع ذلك ان لا يتمادى في شيء :

لا تكن صدّيقاً بافراط
ولا تكن حكيماً فوق ما ينبغي ...
لا تكن منافقاً بافراط
ولا تكن احمق لئلا تموت قبل ساعتك . (٧:١٦–١٧)

– فليكتف الانسان بالتمتع بالحياة يوماً فيوماً . فهو واجد سعادته في حياة العائلة والمجتمع ، على ان يعيشها تحت نظر الله ، وفي سعة من ثمرة يديه :

فاذهب كُلْ خبزك بفرح ،
واشرب خمرك بقلب مسرور ...
لتكن ثيابك بيضاء في كل حين ،
ولا يعوز رأسك الدهن .
تمتع جميع ايام حياتك الفانية
بالعيش مع المرأة التي احببتها وأوتيتها . (٩:٧–٩)

٢ . **يشوع بن سيراخ (حوالي عام ٢٠٠)**

يجيب كتاب الجامعة على اسئلة الحياة اجوبة سلبية ضمنية . اما كتاب يشوع فانه يجيب عليها اجوبة ايجابية مباشرة .

وضع يشوع كتابه خمسين سنة بعد كتاب الجامعة ، اثناء المعركة بين البطالسة والسلوقيين .

هو رجل الماضي ، الحريص على قديمه ، الامين على تراثه . الا انه ايضاً رجل الانفتاح والتسامح . فهو في آن واحد يحافظ على ايمان الشعب اليهودي ثم يعمل على تحبيب هذا الايمان للغرباء . ففي نظره لا حكمة حقيقية خارج شعب الله .

يشتمل الكتاب على خواطر عامة عن الحكمة الالهية ، وعلى مواعظ وارشادات يطبق بها الحكمة على الحياة اليومية .

تتجلى الحكمة الالهية في الخليقة وتنزل على اسرائيل . فالتاريخ يخبر

بما لا يقبل الشك ان الشعب المختار هو وحده ، بما شمله الله من حماية منذ اجداده ، خازن هذه الحكمة الالهية . ولذلك فالكاتب يحاول خلال الكتاب كله ان يؤلف فيما بين الحكمة والناموس . بذلك يقوم دور الكتبة الرفيع .

آ . **الحكمة الالهية** . — مصدرها الله (١ : ١) . الا انها تتميز عن الله . فهي الوسيط بينه وبين العالم . ومع ذلك فهي وكلمته وروحه شيء واحد :

انى خرجت من فم العلي
بكرًا قبل كل خليقة .
وجعلت النور يشرق في السماوات على الدوام ،
وغشيت الارض كلها بمثل الضباب .
وسكنت في الاعالي
وجعلت عرشي في عمود الغمام.
انا وحدي جلت في دائرة السماء
وسلكت في عمق الغمار ...
قبل الدهر ، من الاول حازني
والى الدهر لا ازول ...
اني مددت اغصاني كالبطمة
واغصاني اغصان مجد ونعمة .
تعالوا الي ايها الراغبون فيَّ
واشبعوا من ثماري . (٢٤ : ٥—٨ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٦)

هذه الحكمة هي شخص ، او على الاقل هي صفة متقمصة شخصاً . وقد سبق فالتقينا بهذا التعليم في الفصل الثامن من كتاب الامثال . فلدينا هنا مهبط لوحي « الكلمة » . ولسوف يستوحي يوحنا هذه الآيات في كتابة مقدمة انجيله .

ب . **الحكمة والناموس** . — يمد الله بحكمته من يريد من البشر

(١ : ٨ — ١٠) وقد حباها الذين يحبهم ، اي شعبه المختار . وحباهم معها وصايا ناموسه (١٧ : ١٢) .

ويعلن الكاتب بهذه المناسبة عن وحدة الحكمة والناموس ، وهي فكرة قد المع اليها الكتاب فيما سبق (انظر مقدمة يشوع حيث الحكمة والوحي واحد) .

وبعد ان وضع في فم الحكمة قولها :

من اكلني عاد الي جائعاً
ومن شربني عاد ظامئاً (٢٤ : ٢٩ في ترجمة اليسوعيين).

يضيف على الفور :

هذه كلها هي سفر الحياة وعهد العلي وعلم الحق.
ان موسى امر بالشريعة ...
هو يفيض الحكمة كيشون
ومثل دجلة في ايام الغلال (٢٤ : ٣٢—٣٣ ، ٢٥) .

ونفهم بعد ذلك ان يشعر الذي يمارس الناموس بشبع كمن تغذى بالطيب من الطعام . فالحكمة التي يتضمنها الناموس تسري الى الانسان . اما الذي يدرس الناموس ولا يعمل به فانه يحرم الحكمة ويسير الى الهلاك (٣٢ : ١٤ — ١٥ . راجع متى ٢٣ : ٣ « انهم يقولون ولا يعملون »).

ج . **دعوة الكاتب** . — تتطلب مهمة الكاتب اوقات فراغ ولا تتفق والحرفة اليدوية. فعلى الكاتب ان يهذّ بالناموس، ويسبر غور الامثال والحكم ، ويوالي قراءة الانبياء . انه ذو ثقافة ، دأبه الاسفار يوسع بها مداركه وخبرته ، دون ان يهمل الصلاة الى الله الذي يستطيع وحده ان يمده بروح الفهم . وبذلك يكتسب الحكمة ويفقه بها غيره ، ويأتيهم عن وصايا الناموس بالشروح والاجتهادات الصحيحة ، فيغني بثمرة جهوده تراث الآباء من الحكمة . فيطري عندئذ معاصروه عمله «ولا يندثر ذكره» (٣٨ : ٢٤ — ٣٩ : ١١) .

لا يكتفي المؤلف بوصف الكاتب المثالي بل يرينا اياه حياً في شخصه. فما كتابه ، بالحقيقة ، سوى مجموعة من الوصايا والحكم والنظريات التي تتعلق بمسائل الحياة ، وقد عرضت باسلوب شديد الاتصال بالكتاب المقدس ، مفتوح عليه في نواح عديدة .

سيكون لهذا الكتاب انتشار واسع بين يهود الخارج ، فيكون الصلة بين اليهود المؤمنين وبين الوثنيين ذوي النية الطيبة ، ممهداً بذلك الطريق الى مبادئ الاداب المسيحية .

٢ . — حكم السلوقيين

باندحار مصر عام ٢٠٠ وسقوط فلسطين في ايدي ملوك سوريا انفتحت صفحة جديدة من تاريخ يهود اورشليم .

لم يكن الاسياد الجدد على شيء من التسامح والتساهل . بل العكس كانوا مصممين النية على ان يخلقوا من عناصر ممتلكاتهم الشتى الوحدة الدينية . فكان على اليهود سكان فلسطين ان يرضخوا لسلطان اسيادهم فيقبلوا ولو بالقوة ، العادات الدينية اليونانية .

مراحل الاضطهاد:

١ . **محاولة استدراج .**— دعم انطيوخوس ابيفانيوس جهده حزباً موالياً لليونانيين ، رئيسه رجل اسمه ياسون توصل بمساعدة الملك السلجوقي الى رئاسة الكهنة . وقد اغدق الملك على هذا الحزب كل الامتيازات ولكن دون جدوى لأنه كان قليل العدد ضئيل الشأن .

٢ . **ضغط وإكراه .** — ولا سيما في ظروف ثلاثة :

— انشاء مدرسة رياضية قامت لها قائمة اليهود المتدينين مستنكرين قيام الشبان بالتمارين الرياضية عراة الاجسام .

— سلب الهيكل عام ١٦٨ مع المنارة ذات الشعب السبع ومذبح العطور .

– بناء قلعة بجوار اسوار الهيكل .

٣ . **الحملة على العبادة اليهودية** .– بدأت في كانون الاول من عام ١٦٧قام بها خبير باساليب القمع والاضطهاد جيء به من انطاكية ، على الصورة التالية :

– نصب تمثال للمشتري في صحن الهيكل .

– توقيف الذبائح اليهودية واستبدالها بذبائح وثنية تقدم على مذبح نصب بجوار مذبح المحرقات .

– الاكراه ، تحت طائلة الموت ، على تأدية العبادة الوثنية .

– تحريم حفظ السبت وممارسة الختانة ، واقتناء كتب الناموس واستنساخها .

٤ . **مقاومة اليهود** .– هي مقاومة سلبية ، ثم ثورة سافرة ، رغم مروق الجماهير لا سيما من اهل المدن .

آ . المقاومة السلبية . – على شكل هجر المدن الى الصحراء والبراري (١ مكابيين ٢ : ٢٩) ، وبذل الحياة في شهادة الدم (٢ مكابيين ٦ : ١٩).

قام النازحون عن ديارهم باعداد اسباب الثورة ، بينما كان الباقون في اورشليم من كهنة ورؤساء قد انحازوا الى حزب اليونانيين .

ب . الثورة السافرة . – قام على رأس الثورة عائلة متتيا الكهنوتية ، التي لقب اعضاؤها فيما بعد بالمكابيين ، واسسوا السلالة الحشمناية .

وعلى اثر انتصارات عديدة رجع الثوار الى اورشليم فطهروا الهيكل واعادوا بناء المذبح ، وعيدوا في كانون الاول من عام١٦٤عيداً سموه عيد التدشين ، هو العيد التي يسميه انجيل يوحنا بعيد التجديد (يوحنا ١٠ : ٢٢) .

واضطر ديمتريوس الثاني في عام ١٤٣ الى الاعتراف باستقلال اليهود السياسي والديني .

الاضطهاد في الكتاب المقدس:

دانيال . — لا وحدة ظاهرة في مجموعة دانيال . فبعض فصوله كتبت باليونانية (٣: ٢٤—٩٠ ؛ ١٣؛ ١٤) ، وهي على شكل ملحقات بسيطة . وبعضها كتب بالعبرية (١—٢: ٤ ؛ ٨—١٢)،وبعضها الآخر كتب بالآرامية (٢: ٤—٣: ٢٣ ؛ ٣: ٩١—٧—٢٨) .

تنتمي الفصول الستة الاولى الى النوع التعليمي . فهي عبارة عن روايات تقوية (دانيال وملوك بابل) على شكل روايتي استير او يهوديت. والفصول الستة التابعة لها تنتمي الى نوع الرؤيا .

الا ان مجمل الكتاب يتصف بوحدة داخلية قوية : فهو يكشف لليهود المضطهدين عن المعنى الديني للمحن والشدائد التي تنتابهم .

تاريخ كتاب دانيال . — يحصي المؤلف اربع امبراطوريات تتوالى منذ نبوكدنصر . ويبدو ان الرابعة هي امبراطورية انطيوخوس ابيفانيوس (١٧٥—١٦٤). فالحوادث التي يسردها تتفق كل الاتفاق وتاريخ الاضطهاد الذي يعانيه اليهود يومئذ .

ومن المحتمل ان يكون المؤلف قد استخدم مجموعة قديمة سكبها بقالبه ، وهو يبغي ان يبعث في اليهود المضطهدين روح الشجاعة والثبات.

تعليم كتاب دانيال . — قاد الله شعبه طوال القرون التي وليت العودة من الاسر قيادةً راعى فيها خير الشعب ومصلحته . وها النهاية وشيكة وقوات الشر ستخذل ، والله سيعلن عن قدرته في مشهد رائع .

ان الشعب ينتظر ملكوت الله بفارغ الصبر . ألا فليعلم ان هذا الملكوت لن يكون على ما امّل وتصور .

ليس ملكوت الله هذا مملكة اسرائيل تعود وقد اتسعت رقعتها ، فهذه زالت من الوجود . ان ملكوت الله هو ملكوت الابرار ، وسيعلنه الله كوقوع الصاعقة ، وسيكون ملكوتاً عاماً لا ينقضي ، بل يدوم الى الابد (٧: ١٤؛ قابل مع كلام الملاك في البشارة : لوقا ١: ٣٣) .

ولهذا الملكوت الجديد هيكل جديد. كان هيكل حزقيال يتصف بالقداسة المطلقة. اما هيكل دانيال فانه يتصف بالروحانية، فيرمز بذلك الى كنيسة المسيح: هيكل قوامه المؤمنون الذين سيملك المسيح عليهم. فهو اذاً تمهيد للتعليم عن جسم المسيح السري (دانيال ٩ : ٢٤).

يبدو المسيح في دانيال على شكل رجل غريب سري: انه شبه انسان (٧ : ١٣).

اذا قارنّا هذه الرؤيا برؤيا حزقيال فاننا نستطيع ان نقول ان الذي يسميه دانيال بابن الانسان انما هو ظهور الله المحتجب ونوع من تجسد مجد الله.

لا يذكر المؤلف شيئاً عن سلالة المسيح الداودية. فلقد ضاعت في غياهب الظلمة. ولذا فوعد الله، الذي لا يزال قائماً، سيتحقق بعمل من قدرته هو عمل الغالب المنتصر. فالمسيح سيأتي من السماء.

هذا ما حدا المسيح على اتخاذ اسم «ابن الانسان» (دانيال ٧ : ١٣) الذي ينم عن حقيقته بوصفه المسيح (متى ٢٦ : ٦٤) وعن غنى هذا الاسم في دلالته ومعناه.

القيامة. — يأتي دانيال على ذكرها بوضوح. فهي الجواب للذين يحجمون عن بذل الحياة والاموال. فيقول لهم: ان بذل الحياة والاموال في الحرب ضد انطيوخوس حفظاً لايمان الاجداد، ليس بالصفقة الخاسرة «وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون بعضهم للحياة الابدية وبعضهم للعار والرذل الابدي» (دانيال ١٢ : ٢).

كتابا المكابيين. — سمي الكتابان باسم ابطال الكتاب الاول. والكتابان مستقلان الواحد عن الاخر، وان رويا كلاهما تاريخ ملك ابيفانيوس. فلقد وضع الاول في عام ١٠٠ والثاني في عام ١٢٠ قبل المسيح.

وضع الاول باللغة العبرية كاتبٌ يهودي من اورشليم . هو تاريخ أزمة دينية قامت في فترة تتراوح بين ١٧٥—١٣٥ ، وقعت فيها حوادث وفواجع . هو اذًا كتاب تاريخ يعتمد على مستندات خطية او شفهية . وقد ألفه صاحبه تأليفاً بالمعنى الذي نفهمه اليوم لكلمة التأليف .

اما الثاني فهو بمثابة ملخص لكتاب من خمسة اجزاء ، يسرد ما وقع فيما بين ٧٦ و ١٦١ ، كتبه ياسون القيرواني حول ١٥٠ ؛ اما صاحب الكتاب الاصلي فاننا نجهل اسمه . والكتابان ، الاصلي والملخص ، كتبا باليونانية .

هو تاريخ تقوي ولاهوتي . تاريخ تقوي لان التقوى هي لدى الكاتب قبل الدقة ؛ وتاريخ لاهوتي لان الحوادث المذكورة تظهر في جو من الحماسة رائع ، فتعلن يد الله القدير في حماية شعبه وانقاذه .

كتاب ينم عن تعلق شديد بنصوص الناموس ، ويسجل تقدماً عظيماً في مواضيع الوحي . فلقد اصبحت قيامة الموتى من العقائد المنتشرة في اسرائيل (٢ مكابيين ١٢ : ٣٢—٤٦) .

روايات تقوية . — نضع تحت هذا الاسم كتباً ثلاثة لا صلة لها مباشرة بثورة المكابيين ، انما تعكس شواعر اليهود وعواطفهم في النصف الاول من القرن الثاني قبل المسيح . هذه الكتب هي : استير ، وطوبيا ، ويهوديث .

انها تسرد بعض حوادث هي ولا شك تاريخية الا انها لا تنتظم في سياق الكتب التاريخية الرسمية ، لما تشتمل عليه من رموز ، او لأسلوبها القصصي الروائي ، او للوسط الخارج عن زمانها . فهي انما تبغي بث روح التقوى واضرام نار الشجاعة .

استير . — كتب بالعبرية في اوائل القرن الثاني ، وهو يبين ما تستطيعه امرأة ضعيفة من جليل عمل ، ويبعث في قلوب اليهود ثقة بالله لا تتزعزع ، ويجعلهم بان يؤمنوا بان قوى الشر لن تغلب وتنتصر الى النهاية .

طوبيا . — كُتب بالآرامية في زمان الكتاب السابق. وهو يبدو لأول وهلة وكأنه لا يتأثر بما يحل بالشعب اليهودي من اضطهاد ملوك سوريا، فيرسم لنا صورة عائلة يهودية مثالية . الا انه يطرح هو ايضاً مشكلة محنة البار وعذاب البريء ، ليجيب عليها : بان المحن ليست دائماً قصاصاً من الله ، بل قد تكون اداة بين يديه يطهر بها النفوس التي يصطفيها .

يهوديت . — كُتب على الارجح بالعبرية حوالي ١٥٠. وهو يصور لنا ، على غرار كتاب دانيال، الحرب الضارية القائمة بين الله والبشر. وهذه امرأة ضعيفة تقوم ، بايمانها ، بمثل ما قامت به استير من انقاذ شعبها .

ازدهر الوحي اذاً في هذه الحقبة ، حقبة الكفاح والنضال في سبيل الايمان ضد الوثني الغاشم ، وقد سطت على اليهودي في ذلك الوقت كل عواطف الحقد والبغض ، لأنه ليس مسيحياً ، ونحن لا ننتظر منه عواطف المسيحي . الا انه جدير كالشهداء المسيحيين بان يبذل دمه في سبيل ايمانه ، يحدوه امل عظيم بقرب « الازمنة المسيحية » .

هذه الساعة لم تحن بعد . فهناك شدائد اخرى تنتظره ولا تلبث ان تقوم في وجهه .

الفصل الثالث

شقاق داخل اليهودية في حقبة الاستقلال

(١٤٣ - ٦٣ قبل المسيح)

تتميز هذه الحقبة (١٤٣ — ٦٣) :

آ . بالصعوبات الداخلية : عجزت السلطة اليهودية السياسية هذه المرة ايضاً عن البقاء في المسلك الديني التقليدي القويم .

ب . بختام كتب العهد القديم . وكان آخر كتبه « الحكمة » ظهر حوالى عام ٨٠ .

١ . — الصعوبات الداخلية

. — خلف يوناتان في قيادة الحرب أخاه يهوذا المكابي ، الذي توفي عام ١٦٠ . وتقلد علاوة على السلطة المدنية السلطة الدينية اذ انتخبه الشعب حبراً اعظم. وعند موته خلفه في منصبيه هذين اخوه سمعان ، خامس اخوته .

كانت اذاً بيد المكابيين مقاليد السلطتين ، وهذا غير شرعي ولم يحدث منذ شاول .

ولما تسلم يوحنا هرقانس (١٣٤—١٠٤) ابن سمعان الملقب بحشمناي زمام الامور خطا الخطوة الاخيرة في سبيل الحكم فنصب ذاته ملكاً واسس السلالة الحشمناية ، التي لم تكن مع ذلك من قبيلة يهوذا .

هذا الانتهاك لحرمة القوانين أثار في الشعب السخط والمقاومة ، لاسيما وان هؤلاء الملوك كانوا ينزعون نزعة التوسع القديمة ، حتى اصبحت مملكة يوحنا شبيهة بمملكة داود . وسعوا ، مع ميلهم الى الاخلاق اليونانية ، ان ينشروا دينهم ، فاستولى يوحنا على شكيم عاصمة السامريين وهدم

هيكل غريزيم المنشق عن هيكل اورشليم وفرض شريعة الختانة على الادوميين ، ثم ضم اليه السامرة كلها في عام ١٠٨ .

المقاومة:

نظم حركتها الفريسيون .

كان بين الذين عاضدوا ثورة المكابيين عام ١٦٧ جماعة من اليهود يدعون بالحسيديين اي الاتقياء .

الى هذه الجماعة انضم فيما بعد عدد كبير من الفريسيين والصادوقيين والاسينيين ، وكلهم يلتهبون غيرة للذود عن حياض ديانة العهد .

وما ان استتب الامن وعاد السلام حتى رفع هؤلاء جميعاً ، وقد تنكروا لكل جديد غريب ، راية المعارضة .

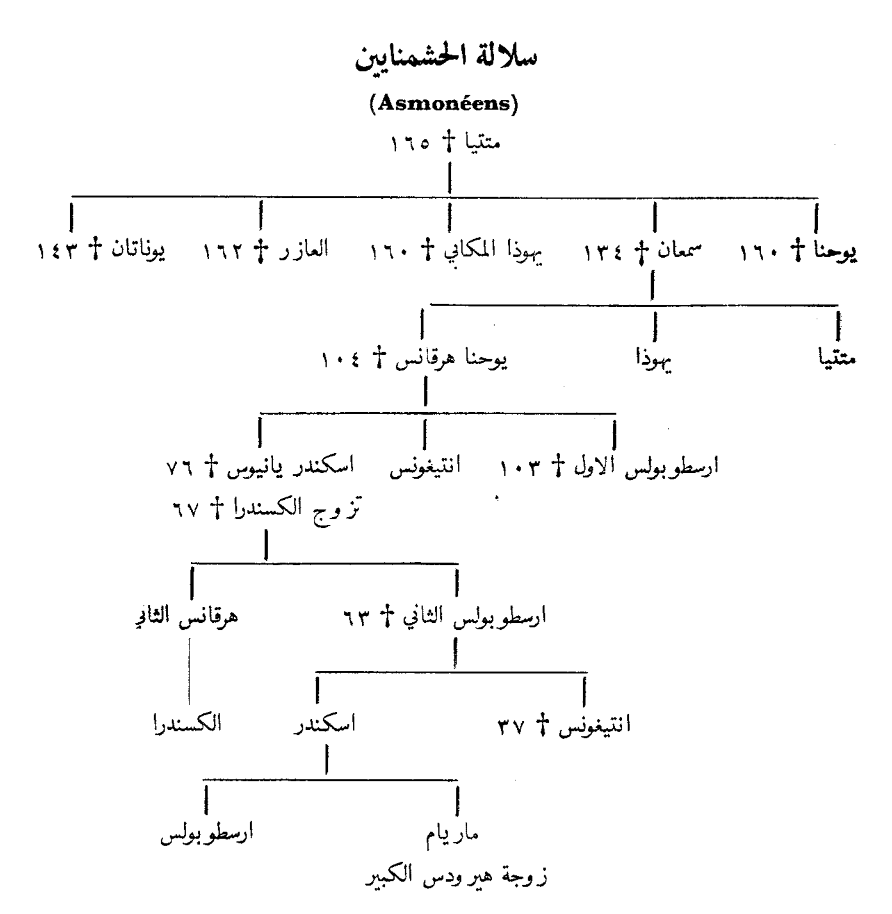
ذلك لان الملك يوحنا قد عهد ببعض دوائر الحكومة الى بعض الاشراف الذين يدعون الى الجديد والتجديد ، فعضد بذلك الحركة التي عرفت فيما بعد بحركة الصادوقيين ، بينما اخذ يضطهد الفريسيين المتشددين.

هذا التصادم بين المتشددين والمتحررين بلغ اشده مع اصغر اولاد الملك يوحنا ، ذلك الذي خلف اباه باسم اسكندر يانيوس(١٠٣—٧٦) . فتوالت اعمال التحدي والقمع بين الطرفين الى ان اعلن حزب الفريسيين الثورة السافرة ، التي كلفت الامة خمسين الف قتيل ، وقد امر الملك بصلب ثمانمائة اسير في اورشليم ، ثم جاء بنسائهم واطفالهم فذبحهم تحت انظارهم وهم يحتضرون .

ولما مات الاسكندر تولت امرأته الكسندرا الحكم فعقدت ، تبعاً للنصيحة التي زودها بها زوجها الراحل ، الصلح مع الفريسيين . وبذلك احتل الحزب الفريسي في البلاد مكانة رفيعة جعلته سيد الموقف وصاحب الكلمة النافذة في اليهودية الى ما شاء الله .

سلالة الحشمنايين

(Asmonéens)



كان بين المخطوطات التي اكتشفت عام ١٩٤٧ في قمران كتاب مدراش ، اي شرح ، لكتاب النبي حبقوق فيه تلميح ، على ما يبدو ، الى اضطهاد الملك اسكندر يانيوس للفريسيين .

وكشفت الحفريات في المكان ذاته عن مقر جماعة هامة تعيش عادة مشتتة في مجاهل صحراء يهوذا ، وقد تجمعت هنا في بيوت هي اشبه بأديرة ، وقبرت موتاها في مقبرة عامة بالقرب من البيوت . هي ولا شك جماعة من الاسينيين كانت تعيش حيث اكتشفت المخطوطات ، وما

المخطوطات هذه سوى مكتبة هذه الجماعة . هل من صلة بين الاسينيين والحسيديين ؟

قد تكون الحوادث جرت على الصورة التالية :

قاوم الحسيديون حكم الملك يوحنا هرقانس ، وانشقوا عنه . وانضم اليهم بعض « الفريسيين » عندما ثار الاضطهاد عليهم ، مع بعض الكهنة الذين تنكروا للحركة التساهلية التي سار عليها رفاقهم « الصادوقيون » .

ولما استرد الفريسيون سلطتهم ومكانتهم لم يبق منهم في صفوف الحسيديين سوى القليل ، بينما ظل الاسينيون في عزلتهم لاسباب لا نعرفها.

الفتح الروماني :

لما ماتت الكسندرا خلفها ابنها هرقانس على العرش ، فيما كان يشغل ايضاً وظيفة رئيس الكهنة . وانتزع منه اخوه ارسطوبولس العرش والحبرية معاً . فجاء انتيباطر الادومي واشعل نار الفتنة بين الاخوين . وكان بمبيوس قد فتح سوريا . فلما درى الاخوان انه قائم في الجوار حاول كل منهما ان يكسب عونه . ولما باءت مفاوضات بمبيوس مع الاخوين بالفشل زحف القائد الروماني بجيشه الى اورشليم وضرب عليها الحصار ثم دخلها في عهد شيشرون في خريف ٦٣ . وبذلك قضي على استقلال اليهود .

٢ . ـــ خاتمة الكتاب المقدس : « الحكمة »

ختم يهودي ذو ثقافة يونانية مجموعة كتب العهد القديم في عام ٨٠ ، في الاسكندرية ، بكتاب اخير هو كتاب « الحكمة » .

هي مرة اخيرة يقوم فيها يهودي متشرّب من تعاليم الكتاب ووحيه ، بجواب على المشكلة القديمة التي تعرض لليهودي : ما موقف اليهودية من الوثنية ؟

يجيب بانه ليس على اليهودي ان يبحث مفتشاً عما هو بين يديه: عن الحكمة. فهي في الشعب المختار. والحقيقة ان ما وجدناه في كتاب الامثال نجده الان في كتاب الحكمة، انما اكثر وضوحاً، وأبلغ تعبيراً، حتى لنشعر وكأننا من هذه الاوصاف امام شخص.

الا ان الرجل مشبع بالثقافة اليونانية، بافكارها وتعابيرها الفلسفية وعلومها. فأثر الثقافة اليونانية في الكتاب بليغ عميق.

اما الثقافة اليهودية فأثرها في ما تمثلته واستوعبته مما حولها محولة اياه الى ذاتها، على ما بيّنا آنفاً. وابلغ دليل على ذلك خلود النفس (الحكمة ٣: ١-٩). فلقد وجدت مشكلة ايوب والجامعة حلها الشافي، على نور هذا الكتاب. فما الحياة سوى استعداد لما بعدها. ولسوف يصطلح الخلل يوماً ويعود التوازن، ولا بد من ان يحق الحق ويزهق الباطل، فتعقب السعادة مرارة الخيبة على الارض.

عبّرت المزامير بقوة عن الامل بالبقاء مع الله بعد الموت (المزمور ٧٣، او ٧٢: ٢٣-٢٨). واقام يهوذا المكابي الصلوات لأجل موتى الحرب بدافع من ايمانه بالقيامة (٢ مكابيين ١٢: ٤٣-٤٦). الا ان ما وجدناه في المزامير على شكل احساس سري وأمل مبهم سوف نجده منذ الان في ابلغ تعبير واوضح بيان في كتاب «الحكمة».

كان للفلسفة الافلاطونية ولا شك يدها في ذلك.

لقد تمثل الوحي هذه الفلسفة واستوعبها فأينع بها تعليم الانبياء والمزامير والحكماء. وتهيأ للتعليم المسيحي تعابيره الموفقة وكلماته ذات المدلول البليغ عن المسيح، كتلك التي سنجدها في بولس الرسول ويوحنا الانجيلي:

اما نفوس الصديقين فهي بيد الله،
فلا يمسها العذاب.
وفي ظن الجهال انهم ماتوا،
وقد حسب خروجهم شقاءً،

وذهابهم عنا عطباً ؛
أما هم ففي السلام .
ومع انهم قد عوقبوا في عيون الناس
فرجاؤهم مملوء خلوداً.
وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم
لأن الله امتحنهم
فوجدهم اهلاً له .
محّصهم كالذهب في البودقة
وقبلهم كذبيحة محرقة .
فهم في وقت افتقادهم يتلألأون
ويسعون سعي الشرار بين القصب .
ويدينون الامم ويتسلطون على الشعوب ،
ويملك ربهم الى الابد.
المتوكلون عليه سيفهمون الحق
والامناء في المحبة سيلازمونه
لأن النعمة والرحمة لمختاريه (الحكمة ٣:١–٩) .

الفصل الرّابع

اليهوديّة بانتظار المسيح
تحت الحكم الرّوماني
(منـــذ ٦٣ قبل المسيح)

الاطار السياسي

ولاية هيرودس . — من عام ٦٣ الى عام ٤٠ ظل اليهود عرضة للشقاق الداخلي .

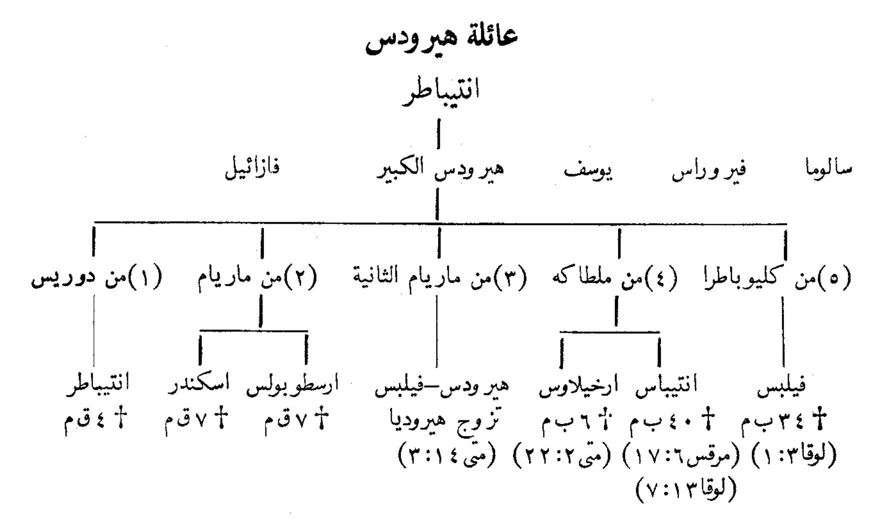
في ٦٣ رقّى بمبيوس الى الحبرية العظمى هرقانُس وفرض عليه انتيباطر وزيراً . وكانت فلسطين تؤدي الجزية لروما وترتبط بولاية سوريا الرومانية .

وفي عام ٤٧ اعترفت روما بهرقانُس ملكاً على اليهود ، بينما نال انتيباطر لقب حاكم وابناه لقب وكلاء : فازائيل لأورشليم وهيرودس لليهودية .

وفي عام ٤٢ عين انطونيوس ابني انتيباطر حاكمين على اليهودية .

وفي عام ٤٠ انتهز انتيغونس ، أحد أبناء ارسطوبولس الثاني ، فرصة زحف البارثيين فاستولى على اورشليم واعـــاد حكم الحشمنايين (Asmoneéns) فانتحر فازائيل وهرب هيرودس الى رومـــا حيث استطاع بحيلته وكيده ان يستميل اليه انطونيوس ثم اوكتافوس فيحصل على لقب ملك اليهودية . ولكي يبرر موقفه ويوطد ملكه اقترن باميرة من سلالة الحشمنايين هي ماريام ابنة اخي انتيغونس .

عائلة هيرودس



وفي عام ٣٧ استولى هيرودوس على اورشليم بمساعدة الكتائب الرومانية ، فاستتب له الامر ، وارتقى العرش « ملكاً صديقاً لروما وشريكاً للشعب الروماني » .

حكم هيرودس . — كانت قاعدة ملكه ان يحافظ على صداقة الرومانيين مهما كلفه الامر . ومن مظهر هذه السياسة :

— استمال اليه عطف اوغسطوس بعد معركة اكسيوم (٣١).

— بنى على انقاض عاصمة السامرة مدينة سابسطيا (= اوغسطوس) ، وعلى الساحل مدينة قيصرية .

— يشرف برج انطونيا على الهيكل وكانت فرقة من الحرس الروماني ترابط فيه ليل نهار .

— بعث بابنيه ارسطوبولس واسكندر الى روما ليتلقيا فيها علومهما (٢٣) .

اما سياسته الداخلية فكانت شهوة الحكم تمليها عليه .

طغى طغياناً دموياً غاشماً ضد كل معارضة تذر قرنها . ففتك بالاشراف الموالين لسلالة الحشمنايين ، وقضى على عدد من اعضاء عائلته : فقضى على سهره ارسطوبولس (٣٥) ، وخاله يوسف (٣٤) ، وهرقانُس الثاني جد امرأته (٣٠)، وماريام امرأته (٢٩)، والكسندرا حماته (٢٨) ، وسهره كستوبار (٢٥)، وولديه اسكندر وارسطوبولس (٧)، وانتيباطر ابنه البكر (٤) .

حاول مع ذلك ان يستميل اليه رعاياه بالضرب على وتر العزة القومية : فضم الى مملكته غزة ، واريحا ، والسامرة ، وبعض مدن الديكابول ، والباتانيد ، والتراكونيتيد ، حوران ، حتى وصل بزحفه الى حدود مملكة داود وسليمان .

استخدم ما له من الكلمة المسموعة في روما فساعد اليهود المهاجرين .

أعاد بناء اسوار العاصمة ، وباشر بناء الهيكل عام ٢٢٠ فحمل الكهنة على تعلم مهنة البناء لكي يقوموا بالاعمال في الاماكن المحرمة على غيرهم . وكان يهدم من الهيكل جزءاً ثم يبادر فيبنيه لكي يطمئن الشعب ويسكن قلقهم .

الاّ انه لم يلبث ان اصطدم بالشعب لأنه كرّر محاولة انطيوخوس ابيفانيوس بان يطبع البلاد بطابع المدنية اليونانية : فبنى مسرحاً ، وشيّد مدرجاً للالعاب تقام حفلاتها كل سنة خامسة على شرف اوغسطوس .

اما رئاسة الكهنة فكانت تعطى بالمزايدة . وكان اليهود لا يغتفرون لهذا المغتصب الغريب اصله الادومي .

موت هيرودس . — ووقع هيرودس مريضاً بما نظنه بسرطان الامعاء. ولما زاد المرض نقلوه الى الحمامات المعدنية فلم يطق احتمالها فانتقلوا به الى اريحا حيث قضى نحبه في عام ٤ قبل التقويم المسيحي (٧٥٠ من روما)، بعد ان أصدر أوامره بقتل عدد كبير من ضحاياه ممّا يدل على ما انطبع عليه من ميل الى السيطرة والبطش .

الادب الديني :

ختم كتابُ « الحكمة » الذي وضع عام ٨٠ مجموعة العهد القديم . الآ ان هناك ادباً دينياً خارج نطاق الوحي والالهام لا بأس من ذكره .

هي اولاً الكتب المنتحلة (Apocryhes) . انها ليست بملهمة ولا هي من المجموعة الرسمية . الا انها تعكس صور زمانها .

ففي القرن الثاني قبل المسيح ظهر «كتاب اخنوخ» ، «وكتاب اليوبيل» ، و « وصايا رؤساء الاسباط الاثني عشر» .

وفي العهد الروماني ظهرت « مزامير سليمان » ، وهي مجموعة ١٨ مزموراً وُضع اكثرها بعد فتح اورشليم او بعد موت بمبيوس ، تتضمن معلومات هامة عن النزعات الدينية لتلك الحقبة من الزمن .

ربما كان لهذه المجموعة اكثر من مؤلف . الآ انها كلها تنزع نزعة فريسية ، فيتجلى فيها ، مع الوفاء للعهد والطهارة الشرعية الدقيقة ، الاعتقاد بالبعث :

ولذلك فهم يرثون « الحدش » والظلمات والهلاك ،
فلا يكونون في ايام رحمة الابرار .
لأن صدّيقي الرب سيرثون الحياة بالفرح (١٤ : ٥—٦).
نصيب الخطأة هو الهلاك والظلمة
فتتبعهم معاصيهم الى اسفل « الحدش » (١٥ : ١١).
كانت نفسي ، وهي بعيدة عن الله ، في غمرات الموت
قرب ابواب « الحدش » برفقة الاشرار (١٦ : ٢) .

اما عن المسيح فأقوالهم تلزم الطريق التي انتهجها الأنبياء . فهي تنسب اليه تلك الصداقة الحميمة مع الله التي ألمع اليها اشعيا في ١١ :

انه قدير بأعماله قوي بخوف الله ،
يرعى قطيع الرب بالايمان والبرارة ،
فلا يترك منه مريضاً في مرعاه ...

تلك هي عظمة ملك اسرائيل ، أقامها الله
لتسود بيت اسرائيل ، تأديباً له (١٧ : ٤٧) .

ليس للشمول والتعميم في القسم الثاني من اشعيا من قوة التعبير مثل ما لهما هنا :

انظر ، يا رب ، وابعث اليهم بملكهم ، ابن داود ،
في الزمن الذي تعرفه ، يا الله ، حتى يملك على اسرائيل عبدك.
منطقه بالقوة حتى يحطّم الحكام الظالمين...
فيبيد الوثنيين الاشرار.

ويستدرك بعد قليل :

وسيرحم كل الأمم التي تقف خائفة بين يديه .

الآ ان هذه الفكرة ليست بالفكرة السائدة في المزمور :

فليبادر الله برحمته الى اسرائيل ،
انه سوف ينقذنا من رجاسة اعدائنا :
فهو الرب ملكنا دائماً والى الابد (١٧ : ٢٣ وما بعده) .

الحياة الدينية :

آ . **الايمان بوحدة الله**

كان من نتائج الجلاء والاضطهاد انهما رسّخا في النفوس ديانة التوحيد حتى ان الكثيرين كانوا على استعداد ، سواء أكانوا تحت الحكم اليوناني ام الروماني ، لتأدية شهادة الدم في سبيل ايمانهم . ولقد خَبَرَ هيرودس ذلك .

اخذ اليهود يفهمون ان أمّتهم لم تخلق لمستقبل سياسي ، بل لحفظ وديعة الايمان بالله ونشر انوارها بين الشعوب الوثنية : « اسمع يا اسرائيل ، ان الرب إلهنا رب واحد » .

سيكون مفهوم وحدة الله هذه ، العقبة الكبرى في سبيل تعليم المسيح بين مواطنيه (مرقس ١٤ : ٦١—٦٤ ؛ يوحنا ١٠ : ٣٣) .

ب. الايمان بقداسة الله

يحتلّ الله مكاناً لا يرقى اليه احد ، فيكتنفه من الاجلال والاحترام ما لا يجسر معه احد على التلفظ باسم يهوه ، فيستعيضون عنه بمرادفاته : الرب ، القدير ، العلي ، المبارك .

ج. الصلاة

حسبنا ما قلناه عن المزامير في هذا الموضوع . ونزيد بأن المزامير هي تغذية التقوى الفردية كما هي قوام الصلاة الطقسية .

واليك الصلاة التي يتلوها اليهودي البارّ مرتين في يومه :

> اسمع يا اسرائيل ، ان الرب إلهنا رب واحد . فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك ؛ ولتكن هذه الكلمات التي انا آمرك بها اليوم ، في قلبك ؛ وكرّرها على بنيك ، وكلّمهم بها اذا جلست في بيتك ، واذا مشيت في الطريق ، واذا نمتَ ، واذا قمتَ ... واعقدها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك (تثنية الاشتراع ٦ : ٤—٨) .

د. الذبائح والقرابين

من كل ما ورد منها في كتاَبيْ الاحبار والتثنية نذكر ثلاثة :

١ . المحرقة . — يغسل الكاهن يديه في بحر النحاس ثمّ يبسطهما على الحيوان الذي يريد تضحيته ، ثم يذبحه ويصعد بدمه الى المذابح ويرشّه على الحجر ، فيما يقوم اللاويون بسلخه وتقطيعه ، ثم يضعونه على نار حامية لا ينطفئ وقيدها ، فيحترق .

٢ . التقدمة او التضحية . — لا يحترق الحيوان بكامله في التقدمة او التضحية كما في المحرقة. فللرب منه هنا الاجزاء الحيوية فقط بينما يأكل

الباقي مقدّموه؛ وهم يعتبرون بذلك ان الله ، اذ قبل التقدمة ، قد قدّسها ، وبتقديسه اياها قدّس كل من أكل منها .

٣ . تقدمة البخور . — يدخل الكاهن الاقداس حيث يقوم مذبح العطور ، وبيده جمر اخذه من مذبح المحرقات ، فيضعه على مذبح العطور ويذري فوقه البخور . وبذلك تنتهي التقدمة : « فلتصعد اليك يا رب صلاتي كعطر طيب الرائحة » .

هـ. اماكن العبادة

المجمع . — يتجه المجمع عادةً نحو اورشليم ، ويشتمل على ثلاثة اروقة : رواق للرجال ورواق للنساء ، وفي اعلى الرواق الثالث بين الرواقين منصّة للقراءة يسدل وراءها ستار ، وتقوم بين الحائط والستار خزانة الاسفار المقدسة . فلا مذبح ولا تماثيل ولا ما يشبه . وامام المنصّة بعض المقاعد لأعيان المحلة .

هيكل اورشليم . — يمتد في مدخل الباحات الخارجية رواق مسقوف يقوم على اعمدة ؛ هناك يعلّم علماء الناموس .

الباحة الاولى هي باحة الشعوب ، وقد حظر على الوثنيين ان يتجاوزوها الى ما بعدها تحت طائلة الموت .

هناك يقوم الباعة بحيواناتهم ليبيعوها للذبائح ، والصيارفة بموائدهم ليقدّموا للغرباء النقد اللازم لضريبة الهيكل .

باحة الشعب تؤدي الى باحة النساء ، ثم الى باحة الرجال . ويفصل باحة الرجال عن باحة الكهنة حاجز بسيط يقوم بعده بحر النحاس ومذبح المحرقات .

وبعد ذلك يقوم المكان المقدس ، الذي يشتمل على الأقداس وعلى قدس الاقداس .

انهما اشبه بمعبدين مسقوفين محجوبين عن انظار العامة . ففي الاقداس

يقوم الكاهن المناوب مرتين في النهار بتقدمة البخور . ويلج الحبر الاعظم قدس الاقداس مرةً في السنة ، يوم التكفير ، ليرشّه بدم الأضاحي.

و. الاعياد والزيارات

العيد الرئيسي هو عيد الفصح : يُحتفل به بين آذار ونيسان، ذكرى خلاص الشعب من عبودية المصريين، فيدوم سبعة أيام لا يأكلون فيها الاّ الخبز الفطير. يفتتحون العيد بعشاء قوامه حمل الفصح فيذبحونه ويقدّمونه حسب طقس مسمّى.

عيد العنصرة (بين ايار وحزيران): يحيونه ذكرى لعهد سينا، وشكرًا لله على حصاد السنة .

عيد المظال (أو الخيام ، بين ايلول وتشرين): يحيونه ذكرى لمكوث اسرائيل في الصحراء تحت الخيام ، وشكرًا لله على قطف العنب.

عيد التدشين : ذكرى تجديد تكريس الهيكل بعد ما دنّسه انطيوخوس ابيفانيوس عام ١٦٥ .

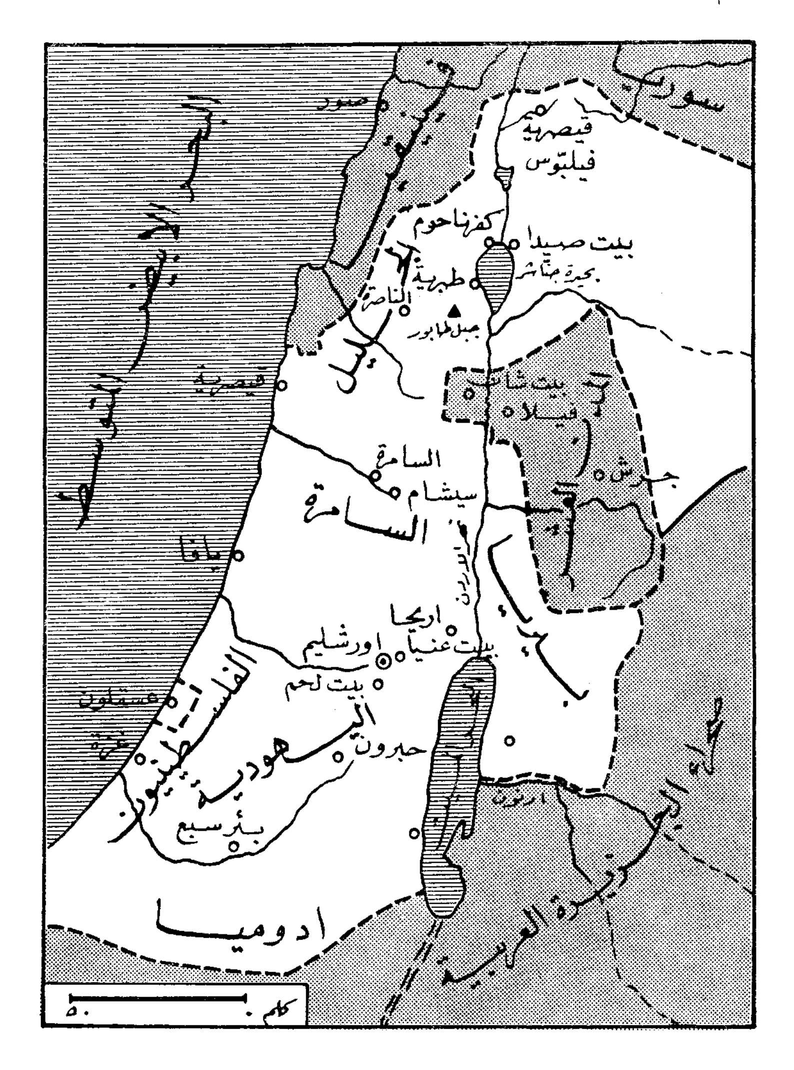
ز. الحركات الروحية

وقعت الأمة كلها تحت سيطرة الفريسيين ، فهم مرشدو الشعب وقادته الروحيون ، بينما كان الصادوقيون لا يحظون من الشعب الاّ بالخوف والاحتقار .

الاّ اننا نميّز في الأمة حركتين : حركة التقوى القانونية الخارجية التي تعتمد لبلوغ الكمال على تتميم فرائض الناموس بحذافيرها، طبقاً لشروح واجتهادات علماء الناموس الأشهرين. وحركة التقوى الداخلية التي تنتظر بتواضع وصبر تحقيق وعود الله لشعبه ، فتحاول ان تستخرج لها من الناموس والانبياء والحكماء قاعدة حياة روحية .

الى هذه الحركة الاخيرة تنتمي النزعة الدينية الحارة التي تأخذ بالحياة الرهبانية ، وباشتراكية المال ، وبالتطهيرات الناموسية العديدة ، وبتوبة

القلب المقرونة بالتواضع والتضحية والمحبة . هذا ما كشفه لنا كتاب « دليل النظام » لجماعة الأسينيين في قمران .



مطالعات

١ . — مزمور « مسيحي » غير ملهم من القرن الاول قبل المسيح :

انظر يا رب، وابعث اليهم بملكهم ، ابن داود ، في الزمن الذي تعرفه ، يا الله ، حتى يملك على اسرائيل عبدك .

عندئذ يجمع شعبك المقدس ويقوده بعدل، ويدين اسباط الشعب الذي قدسه الرب إلهه .

وستكون الأمم والشعوب خدّاماً له تحت نيره، فيمجد الرب على مرأى من كل الارض ، ويطهر اورشليم ويقدسها، فتعود كما كانت ، حتى لتقصدها الشعوب من اقاصي الارض لترى مجدها ، فتأتيها بأبناء المدينة الضعفاء بمثابة تقادم وذبائح، فترى مجد الرب ، ذلك المجد الذي كلّلها به الرب . وهو يملك، ملكاً عادلاً ينيره الله ، فيملك عليهم ، ولا يقع بينهم في أيامه ظلم ، اذ يكون الجميع مقدّسين ، ويكون مسيح الرب ملكاً عليهم . وهو لن يضع أمله في الجياد ، والفرسان ، والأقواس، ولن يسعى الى تكديس الذهب والفضة للحرب ، ولن يحشد الجماهير عدّةً له ليوم الحرب. فالرب الاله هو ملكه، ورجاؤه وهو قوي برجائه بالله (مزامير سليمان ١٧ : ٢٣، ٢٨—٣٨) .

٢ . — البركة : نص البركة التي تختم كتاب « قانون الجماعة » الاسينية ، الذي اكتُشف بين مخطوطات قمران . ويحسن بنا مقابلته بالآيات المقدسة التالية : يوحنا ١ : ٣؛ مزمور ٨ : ٥؛ تكوين ٣ : ١٩؛ روم ٩ : ٢٠ .

تباركتَ ، يا الله ، اذ تفتح للعلم قلب عبدك . رسّخ اعماله كلها في العدل ، وامنح اولاد جاريتك — على ما تريد مشيئتك في المختارين من البشرية — ان يقفوا بين يديك دائماً . اذ بدونك ليس من سبيل قويم ، وبدون ارادتك لا شيء صالح.

علّمتَ كل علم . كل موجود انما وجد بارادتك ، وبدونك ليس من يقدر ان يعزم على ما يقاوم فكرك ، وان يدرك كل مقاصدك المقدسة ، وان يتبصر بأسرارك العميقة ، وان يفهم بدائع اعمالك وقوة قدرتك . من يستطيع ان ينظر الى بهاء مجدك ؟ ومن هو الانسان ازاء بدائع اعمالك؟ وهل يستطيع ابن الانثى ان يقف بين يديك؟ انه جبل من طين ولا تقوم له قائمة الاّ بأكل الدود . انه ليس بصخر ، فما هو سوى تراب مجبول وسيعود الى التراب . ماذا يقول التراب الذي جبلته اليد ؟ وماذا يقدر ان يفهم ؟

صوفية انتظار

نستطيع ان نستخلص من اسفار العهد القديم عناصر للحياة الروحية وافرة . الاّ ان هناك عنصراً يجدر بنا ان ننوّه بذكره لأنه يضفي على تاريخ العهد القديم ، لا بل على تاريخ البشرية القديم كل معناه : هو الانتظار.

١ . **الانتظار** . — نلمس هذا الانتظار في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس . فبعد الخطيئة الاولى جاء الاعلان السري عن مجيء المسيح المخلص . ونعلم عن ابراهيم انه « اراد ان يرى يومه » . ولم يرض موسى ان يزاول بيديه القويتين الشعب ذا الرقاب الغليظة الاّ لأنه كان يعمل للمستقبل ؛ ولم يعقد عهد سينا الاّ لأنه كان يعمل في سبيل ابن البيت الذي سينزل بين ذويه ليعطيهم العهد الحقيقي الجديد . ولم يقرّع الانبياءُ الشعب على خطايا ماضيه الاّ لكي يستطيعوا ان يبشروه ايضاً بغده المسيحي . وكأن محن الجلاء والاضطهاد في الزمن الاخير قد ألهبت الرغبات والآمال واضطرت الله الى انجاز وعده القديم : « ليتك تمزّق السماوات وتنزل» . تلك كانت صرخة تلميذ اشعيا بعد العودة من الاسر ، وهذا كان سؤال يوحنا المعمدان للمسيح : « أأنت الآتي ؟ »

٢ . **انه انتظار عامل شاغل** . — فالله ، على ما روت عنه الاسفار المقدسة ، لم يقبل بانتظار ساكن جامد . فجاء تاريخ الشعب المختار كله جواباً على ما طلب الله منه من عمل . فان كان هذا العمل لا يُعَدّ نجاحاً فهو دون شك مشاركة وتجاوب . فلقد كان على ابراهيم ، عندما تلقّى الدعوة ، ان يعيش ايمانه الجديد عيشاً . وكان على موسى ، عندما قاد الشعب الى الخلاص ، ان يقضي حياته وحيداً فلا يأتيه من البشر سلوان ، وان ينهيها بالتضحية الكبرى فلا يدخل ارض الميعاد . وكان على ارميا ان يصف العهد الجديد دون ان يشهده ، وعلى حزقيال ان يعمل على تهيئة

البعث الذي لن يراه، وعلى الشعب كله ان يحقق خطوةً خطوةً المثل الأعلى الذي حمله فناءت به منكباه . وقصارى القول : كانت هذه الحقبة الطويلة من الانتظار دعوة دائمة الى التضحية والتسامي . فاذا بشوق البشرية القديم ينتعش ويقوى ، على مرّ قرون الانتظار الثمانية عشر ، خلال الرفض والقبول والنجاح والاخفاق ، فيقطع بنهاية تاريخ العهد القديم شوطاً ، ويحقق مرحلة من خطة الله الازلية .

٣ . **انتظار دائم** . — هذا الانتظار لم ينته ولن ينتهي . وكتاب رؤيا يوحنا يختتم صفحاته على صرخة الشوق هذه : « تعالَ ايها الرب يسوع » . فالمسيح لم يأت الاّ لوقت قصير ، ثم عاد الى ابيه ليعدّ مكاناً ، فيما الكنيسة تتابع طريقها على الارض في انتظار لا ينتهي .

« اني آتي اليكم كاللص » . لم يقل يسوع هذا القول ليخيفنا بل ليحدونا على الانتظار . وليس بأدل على معنى الانتظار من قول بولس الرسول : « فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى أن يأتي » (١ كور ١١ : ٢٦) . وسيكون مجيئه لكل منا يوم موته ، فيطلب منه حساباً عن الوديعة : « لأنك كنت أميناً ... ادخل فرح سيدك » .

لا ينتهي الانتظار الاّ في آخر العالم ، اذ يكون جسم المسيح السرّي قد بلغ قامته ، وتكون محبة الانسان قد تجاوبت مع محبة الله . وعندئذ يأتي عمانوئيل ، يسوع المسيح ابن الله ، فيسلّم الى ابيه مفاتيح الملكوت ، ذلك الملكوت الذي هو ، على ما نادى به موسى ، « ملكوت احبار وشعب مقدس » . وعلى دعوة الله ومحبته تجيب الكنيسة : « آمين » .

ملحق

رَفضُ العَهْدِ الجَدِيد :

إسرائيل بعد المسيح

من موت هيرودس (عام ٤ قبل التقويم المسيحي) الى انقراض دولة اليهود (١٣٥ بعد المسيح)

خلف أرخيلاوس اباه هيرودس . غير ان اوغسطوس قيصر لم يلبث، على اثر فتن يهودية ومنازعات عائلية ، ان خلع ارخيلاوس عام ٦ بعد المسيح وأحل محله على اليهودية حاكماً رومانياً(هو بيلاطس في عهد المسيح).

ونشبت عام ٦٦ ، على اثر مظالم اقترفها الرومانيون ، ثورة اذكى نارها جماعة الغُيُر . فاحتلّ طيطوس اورشليم عام ٧٠ ، وشبّت النار في الهيكل فاحترق ، وذهب آلاف اليهود قتلاً أوسبياً .

ونشبت عام ١٣٢ ثورة اخرى بقيادة باركبيكه، الذي اراد ان يبعث الدولة اليهودية . فقمع الامبراطور ادريانوس الثورة عام ١٣٥ وقضى على الدولة الناشئة ، فقتل وسبى. ثم حرّم ممارسة الديانة اليهودية .

من ١٣٥ حتى العصر الحاضر

اعاد الاباطرة الانطونيون حرية الدين ، فأثبتها من بعدهم قسطنطين وخلفاؤه .

وكانت الوحدة الدينية تقوم على مركزين : احدهما في الجليل ، والآخر في بلد الرافدين . وشرع معلمو مدرسة طبريا منذ القرن الثاني بعد

المسيح بتشكيل الكتاب المقدس بالاشكال الصوتية وكانت تكتب قبلاً بالاحرف الحلقية وحدها .

وكان القرن الرابع عشر لليهود القرن الذهبي من العصور الوسطى . فكانوا في الاندلس العربية اصحاب الغنى والجاه والثقافة .

وانحطت بعد ذلك مكانتهم الاجتماعية في اوروبا. فكانوا فيها كالغرباء لا ثقافة ولا شأن . الاّ انهم ظلوا ، لتعاطيهم الربا ، ارباب المال والثراء .

وعرفت فلسطين اثناء تلك القرون فاتحَين : العرب منذ القرن السابع ، والترك منذ القرن الثالث عشر.

اثناء الحكم التركي قطعت الاشجار على نطاق واسع تخلصاً من الضرائب عليها ، فأقفرت البرية ، واهملت الزراعة الجبلية .

الخاتمة

نخلص من دراستنا هذه ، وقد بلغنا خاتمتها ، الى بعض نتائج عملية :

١. كل تاريخ انما هو تاريخ بشر . ولذا فعلينا ان نبحث، عندما نكتب تاريخ شعب العهد القديم ، عن حقيقة بشرية : فرغيف الخبز وجرّة الماء زوّد ابراهيم بهما هاجر (تكوين ١٢ : ١٤) يطلعاننا على حقيقة ابراهيم . وثورة ارميا الباطنية (ارميا ٢٠ : ١٤) تنم لنا عن تهيّج حساسية متألمة .

علينا ان نبحث ، اذ ندرس هؤلاء الاشخاص ، عن طريق روحي ، حتى اذا ما سلكناه نرى بدهشة اننا نلتقي معهم ، على اختلاف المنطلق ، في الصعوبات والآلام ذاتها ؛ وان مشاكلنا هي مشاكلهم ؛ وان يد الله تأخذنا بالتأديب والتهذيب كما أخذتهم . فموسى رجل وحيد لا يجد حوله من سند بشري دائم ، ومشكلة حزقيال هي ان يجد وسائل للرسالة ناجعة ، واشعيا يزداد يوماً بعد يوم فهماً لقداسة الله .

٢. هذا التاريخ يتضمن رسالة لنا من لدن الله . ولذا فالواجب يقضي بان نلتقط المعارف الدينية التي نتبيّنها ، وان نكشف عن نية الله التي تسيّر الوحي ،وان ندرك الحياة التي تتسرّب شيئاً فشيئاً الى الأشخاص.

ولا سبيل الى الكشف عن نية الله المضمرة الاّ بالنظر الى تحقيقها في العهد الجديد، فلا ندرك مثلاً المعنى العميق للفصح اليهودي الاّ اذا امعنّا النظر في مسيح العشاء السرّي ومسيح جبل الجلجلة . وقد أعلن البابا بيوس الثاني عشر في رسالته عن درس الكتب المقدسة : « لقد دبّر الله اقوال العهد القديم وأحداثه تدبيرًا عجيباً جعل الماضي منه يرمز بصورة روحية الى ما سيحدث في عهد النعمة الجديد » .

ومن المفيد ان نسأل الليتورجيا ايضاً ، التي تعبر عن نية الله بطريقتها

الرائعة . انها ، مثلاً ، تفهمنا ، بحفلات اسبوع الآلام والقيامة ، معنى الخطيئة الاصلية ، والفصح اليهودي ، وعبور البحر الاحمر ، وعمود الغمام ، ورؤيا العظام اليابسة .

ويبقى بعد ذلك ان ندرك مدى الحياة التي تجري ، خلال هــذا التاريخ كله ، بين الاشخاص ، وذلك باطلاعنا على ما بلغوا اليه من الاتحاد مع الله ، وباستماعنا الى ما يلقونه علينا ، ولا سيما الانبياء منهم ، من التعليم . انه لعمل شاق ، لكنه جزيل الفائدة وافر الثمار .

كلام الله اذاً موجّه الينا . فقد وجّهه الله اولاً الى الشعب المختار ، ثم بواسطته الى البشرية جمعاء . فلنا فيه نحن ايضاً تعليم وموعظة . انه يذهب الى انسان كل زمان ومكان ليعمل فيه عمله : «كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع اليّ فارغة ، بل تتمّ ما شئته وتنجح فيما ارسلته له» (اشعيا ٥٥ : ١٠) .

تاريخ العهد اذاً هو مرحلة من خطة الله نحن جزء منها . لا بل نحن واجدون في تاريخ كل شخص من أشخاص العهد ما يرسم صورتنا وينسج تاريخنا .

الفهارس

آسيا الصغرى — سوريا	ما بين النهرين	كنعان	مصر
	١ . حقبة الآباء وموسى		
		استوطن : الكنعانيون	
	السلالة الاشورية	(شعب اولي) ٣٠٠٠	السلالة الثانية عشرة
	الثالثة ٢٠٩٠ — ١٩٦٠	: الأموريون ٢٥٠٠	٢٠٠٠ — ١٧٨٥
	حورابي ١٧٢٨ — ١٦٨٦	: الحوريتيون ١٨٥٠	غزو الرعاة (Hyksos) ١٧٢٠
		ابراهيم حوالى ١٨٥٠	
		هجرة العبرانيين الى مصر حوالى ١٦٥٠	خلع سلالة الرعاة ١٥٨٠
			امينوفيس الثالث ١٤١٢–١٣٧٥
اصل الميتاني ١٥٠٠	الكسيتيون في بابل ١٥٠٠	سيطرة مصر على كنعان ١٥٥٠ — ١٢٢٥	امينوفيس الرابع ١٣٧٥–١٣٥٨
ذروة الحثيين ١٢٧٠		خروج العبرانيين من مصر حوالى ١٢٢٥	رعمسيس الثاني ١٢٩٢–١٢٢٥
			منفتاح ١٢٢٥ — ١٢١٥
	٢ . حقبة القضاة والملوك		نصب منفتاح حوالى ١٢٢٣
	— اشور —	دخول العبرانيين كنعان حوالى ١١٨٥	
	تغلا تفلاسار الاول ١١١٤ — ١٠٧٦	حقبة القضاة ١١٨٥ — ١٠٣٥	
		انشاء الملكية ١٠٣٥	
		داود حوالى ١٠٠٠	السلالة الثانية والعشرون (بوبست)
		الانشقاق ٩٣٥	٩٤٧ — ٧٠٢

٣ . من الانشقاق الى نهاية مملكة اسرائيل

اشور		يهوذا		اسرائيل		مصر
		رحبعام	٩٣٥ — ٩١٤	ياربعام الاول	٩٣٥ — ٩١٠	
		آبيام	٩١٤ — ٩١١	ناداب	٩١٠ — ٩٠٩	
		آسا	٩١١ — ٨٧١	بعشا	٩٠٩ — ٨٨٦	
				ايلة	٨٨٦ — ٨٨٥	
				زمري	٨٨٥	
اشورنازير بال				عمري	٨٨٥ — ٨٧٤	
الثاني	٨٨٣ — ٨٥٩			بناء السامرة	٨٨٠	
شلمنصر الثالث	٨٥٨ — ٨٢٤	يوشافاط	٨٧١ — ٨٤٨	احآب	٨٧٤ — ٨٥٣	
					ايليا	
معركة قرقر	٨٥٤			احزيا	٨٥٣ — ٨٥٢	

أشور	يهوذا	إسرائيل	مصر
		اليشع	
	يورام ٨٤٨ — ٨٤١	يورام ٨٥٢ — ٨٤١	
	احزيا ٨٤١	ياهو ٨٤١ — ٨١٤	السلالة الثالثة والعشرون (تيبا) ٨٣٨ — ٧٤٠
	عتليا ٨٤١ — ٨٣٥		
اداد نيراري الثالث ٨١٠–٧٨٣	يوآش ٨٣٥ — ٧٩٦	يوآحاز ٨١٤ — ٧٩٨	
	امصيا ٧٩٦ — ٧٨١	يوآش ٧٩٨ — ٧٨٣	
	عزيا ٧٨١ — ٧٤٠	ياربعام الثاني ٧٨٣ — ٧٤٣	
	اشعيا	**عاموس ويوشع**	
		زكريا ٧٤٣	
		شلوم ٧٤٣	
تغلاتفلاسار الثالث ٧٤٥–٧٢٧	يوتام ٧٤٠ — ٧٣٦	منحيم ٧٤٣ — ٧٣٨	
		فقحيا ٧٣٨ — ٧٣٧	
سقوط دمشق ٧٣٢	آحاز ٧٣٦ — ٧١٦	فاقح ٧٣٧ — ٧٣٢	
	ميخا	هوشع ٧٣٢ — ٧٢٤	السلالة الرابعة والعشرون (سايس) ٧٢٦ — ٧١٢
شلمنصر الخامس ٧٢٦ — ٧٢٢		سقوط السامرة ٧٢١ في يد سرجون الثاني	
سرجون الثاني ٧٢١ — ٧٠٥			

اشور	يهوذا	اسرائيل	مصر
	٤ . نهاية مملكة يهوذا		
سنحاريب ٧٠٤ — ٦٨١	حزقيا ٧١٦ — ٦٨٧		
سقوط لاكيش ٧٠١	منسى ٦٨٧ — ٦٤٢		السلالة السادسة والعشرون
اشوربانيبال ٦٦٨ — ٦٢٦	آمون ٦٤٢ — ٦٤٠		بسميتيك الاول ٦٦٣ — ٦٠٩
سقوط تيبا ٦٦٣	يوشيا ٦٤٠ — ٦٠٩		
سقوط نينوى ٦١٢	ناحوم		
بابل	**ارميا**		
	صفينا - حبقوق		
نبوبولاسر ٦٢٥ — ٦٠٥	معركة مجدّو ٦٠٩		
معركة كركميش ٧٠٥	يوآحاز ٦٠٩		نكو الثاني ٦٠٩ — ٥٩٤
نبوكدنصر الثاني ٦٠٤ — ٥٦٢	يوياقيم ٦٠٩ — ٥٩٨		
	يوياكين ٥٩٨		
الفرس	صدقيا ٥٩٨ — ٥٨٦		بسميتيك الثاني ٥٩٤ — ٥٨٨
	سقوط اورشليم ٥٨٦		ابرياس ٥٨٨ — ٥٦٨
	٥ . حقبة الجلاء الى بابل		
كورش ٥٥٩ — ٥٢٩	الجلاء الى بابل ٥٨٦ — ٥٣٨		
انتصار كورش على	**حزقيال**		
كريسوس ٥٤٦	**كتاب تعزية اسرائيل**		
سقوط بابل ٥٣٩	مرسوم كورش بالعودة ٥٣٨		
	القوافل الاولى الى فلسطين ٥٣٧		

الفرس		فلسطين		مصر	
		٦ . اليهود تحت حكم الفرس			
قبيز	٥٢٩ — ٥٢٢	**حجاي زكريا**		قبيز في مصر	٥٢٥
داريوس الاول	٥٢٢ — ٤٨٥			الحكم الفارسي الاول	٥٢٥ — ٤٠٤
		تدشين الهيكل	٥١٥		
احشورش الاول	٤٨٥ — ٤٦٥				
ارتحششتا الاول	٤٦٥ — ٤٢٤				
		ملاخي – عبديا			
		اعادة بناء اسوار اورشليم	٤٤٥		
احشورش الثاني	٤٢٤				
		الحملة على الزواجات المختلطة	٤٣٣		
داريوس الاول	٥٢٤ — ٤٠٤				
ارتحششتا الثاني	٤٠٤ — ٣٥٨				
		عزرا في اورشليم	٣٩٨	استقلال مصر	٤٠٤ — ٣٤١
ارتحششتا الثالث	٣٥٨ — ٣٣٧	**يوئيل**			
ارسيس	٣٣٧ — ٣٣٥				
داريوس الثالث	٣٣٥ — ٣٣٠				
اسكندر يكسر داريوس الثالث في معركة ايسوس				الحكم الفارسي الثاني	٣٤١ — ٣٣٣
نهاية امبراطورية الفرس	٣٣٣			اسكندر في مصر	٣٣٣

اسكندر ذو القرنين (٣٣١ — ٣٢٣) يستولي على مصر وفارس

السلوقيون		٧ . اليهود تحت حكم البطالسة من بني لاغوس والسلوقيين		البطالسة من بني لاغوس	
		بناء هيكل يهودي منشق على جبل غريزيم	٣٣٠		
سلوقس الاول الأعور	٣١٢ — ٢٨٠			بطليموس الاول سوتير	٣٢٣ — ٢٨٣
		حكم بني لاغوس	٣٠١ — ٢٠٠		
				بطليموس الثاني فيلادلف	٢٨٣ — ٢٤٦
انطيوخس الاول سوتير	٢٨٠ — ٢٦١				
انطيوخس الثاني ثيوس	٢٦١ — ٢٤٧			بطليموس الثالث اورجتيس	٢٤٦ — ٢٢١
سلوقس الثاني كلنيكوس	٢٤٧ — ٢٢٦				
سلوقس الثالث كيرونوس	٢٢٦ — ٢٢٣			بطليموس الرابع فيلوباطور	٢٢١ — ٢٠٣
انطيوخس الثالث الكبير	٢٢٣ — ١٨٧				
سلوقس الرابع فيلوباطور	١٨٧ — ١٧٥	معركة بانيون (٢٠٠) وحكم سلاجقة آسيا		بطليموس الخامس ابيفانوس	٢٠٣ — ١٨١
انطيوخس الرابع ابيفانوس	١٧٥ — ١٦٣	الاضطهاد الديني ومقاومة المكابيين	١٦٨	بطليموس السادس فيلوميطور	١٨١ ؛ ١٤٥
انطيوخس الخامس اوباطور	١٦٣ — ١٦٢				
ديمتريوس الاول سوتير	١٦٢ — ١٥٠				
اسكندر الاول بالاس	١٥٠ — ١٤٥				
ديمتريوس الثاني نيقاطور	١٤٥ — ١٣٨	استقلال اليهود	١٤٣	بطليموس السابع اورجتيس	١٤٥ — ١١٥
	١٢٩ — ١٢٥				

روما		فلسطين		مصر	
		٨ . حكم الحشمنايين والرومانيين			
عائلة كركوس	١٣٣ — ١٢٢	يوحنا هرقانس	١٣٤ — ١٠٤		
ماريوس	١٠٧ — ١٠٠	سقوط السامرة	١٠٨		
		ارسطوبولس الاول	١٠٤ — ١٠٣		
		اسكندر يانيوس	١٠٣ — ٧٦		
سيلا	٨٨ — ٦٨	اضطهاد الفريسيين	٩٠		
		اسكندر سالوما	٧٦ — ٦٧		
سوريا ، مقاطعة رومانية	٦٣				
		ارسطوبولس الثاني	٦٧ — ٦٣		
قنصلية شيشرون	٦٣	سقوط اورشليم بيد بمبيوس	٦٣		
		هرقانس الثاني	٦٣ — ٤٠	قيصر يفرض بطليموس اوليت ملكاً على مصر	٥٩
بمبيوس	٥٢ — ٤٨				
قيصر	٤٨ — ٤٤			موت بمبيوس في مصر	٤٨
		انتيغونس	٤٠ — ٣٧		
معركة اكسيوم	٣١	هيرودس الكبير	٣٧ — ٤	انطونيوس يتزوج كليوباطره	٣٧
				اوكتافس يستولي على مصر	٣٠
اوكتافس يتسمى باسم اوغسطوس	٢٧				



الفهرس العام

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

انجزت المطبعـة الكاثوليكية في
بيروت طبع هـذا الكتاب في
العشرين من شهر آذار سنة ١٩٦٢

٥٣٢٥/٣/٢٠-٣-٦٢



المكتبة الشرقية ، ساحة النجمة - بيروت

مكتبة الكتب المسيحية

أحدث الكتب


روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf

مارس 24, 2018


العهد الجديد

كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – إعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018


روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018


مقالات

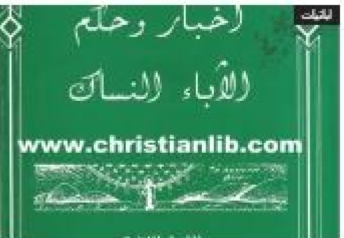
لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

مارس 21, 2018

كتب روحية


روحية

كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوستراداميس – د ق لبيب مشرقي pdf



ابائيات

كتاب من اخبار و حكم الآباء النساك – نقله عن اليونانية الاب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf



انسانيات

كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنييه – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf


روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf



روحية

كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الاب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على اناجيل القداسات pdf